أزهار الحديقة

بإرجي

للعارف الكبير ، والعلَم الشهير ، بحر المعارف ، وكنز اللطائف
الحسيب النسيب ، سيد كل أديب عاصره وخطيب ، العلامة الفهامة
السيد محمد أبي الهُدى الصيادي الرفاعي الحسيني الحسني الخالدي

رضي الله عنه وقدس سره

يمم ذوي الحــق واعرف قــدر رُتبتهم ... لم يُــدمــج العِطرُ في كل الريــاحينِ
في الخَلــق كالنــاس لكن في خــلائقهم ... طَــوْرُ المــلائــك عن آثــــار تمكين
لله ذلُّــوا وقـــد عــزُّوا يُشـــام بهم ... ذُلُّ المســـاكين في عــز الســلاطين

☆ ☆ ☆

التزم تحقيقه وتدقيقه ، مُتمم ماشيَّده المؤلف برحبه ووارثه روحاً شقيقه
القائم بنشر العِلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحمدي
سيدنا صاحب الفضيلة والعرفان ، الشيخ محمود الشقفة أبو عبد الرحمن

رضي الله عنه وقدس سره

غُني بتنظيم أصله وفرعه ، وترجم المحتفلين بربعه ، بعض اخوان محققه وزرعه

فضيلة الشيخ	فضيلة الشيخ	الشهم العصامي
السيد محمد الحربلي الصيادي	**مصطفى التركماني**	**محمد سليم الحمامي**

فناشر تُراث سادات واسط

عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط

قام بطبعه السادة الأفاضل إبراهيم عبد القادر موسى عبد العال الزعبي
محيي الدين غنام ، محمد سعيد البقاعي ، الأستاذ مصطفى التركماني وابنه البار

﴿ الفذلكة الأُولى ﴾

تترجم حال المؤلف الصادق ومقامه الأجلى

رضي الله عنه وقدس سره

هي من نظمه ولطيف كلمه ، اختار وضعها هنا الناشر خويدم مظهر هديه القائم برحابه ، ووارث جنابه ، مُحقق قصده ، ووارث سمته ومجده ، رضي الله عنهما ، وأماتنا على حبهما :

حللتُ رُموزاً من علوم شريفة ... نأت رُتبة والسر منها مُطلسَمْ
وأوضحت أسرار المعاني التي خفت ... بعصري ويرضى ذاك لو يتكلمْ
بفلسفة لم يُخطئ الشرع حُكمها ... عليها بعالي حُكمه يتحكمُ
آيات عِرفان يُرتّل نصها ... لسان له النحرير في البحث يُفحَمُ
يبزُّ عُقوداً مِن جواهر حِكمة ... عن الفضل والعلم الوسيع تُترجمُ
وقائلةٍ : ما بال حظك نائمٌ ... فقلت : حظوظ السادة الغرّ نُوَّمُ
فقالت : ألم يُدفع بعلمك نومه ... فقلت لها للشك : اللهُ أعلمُ

☆ ☆ ☆

وقال رضي الله عنه :

قيل : بعد العُلا ونَيل الأماني ... نِلت عيش الكفاف لا بالرخاء
قلت : هذا دعاءُ خير البرايا ﷺ ... وأبو الآل مُستجاب الدعاء[1]

☆ ☆ ☆

---

(١) يشير الناظم رضي الله عنه لدعاء النبي ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » وفي رواية : قوتا .

﴿ الفذلكة الثانية ﴾

تصف للعامة لطافة الأزهار ، ورياض نضرة نسيم صَباها معطار ، وتشرح للخاصة بلسان الحقيقة : ما تحكيه أَلْسنة حال أزهار الحديقة فمن أجَلّ وأجمل ما ترجم عنها السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس - رضي الله عنه - في مثل هذه المناسبة اللائقة بهذا الكتاب قوله :

طفح البر بالأزاهر هذا ... ماد لطفاً وذاك هزَّ اهتزازا
وانجلى آخرٌ بطِرزٍ لطيفٍ ... عزَّ في رونق الجمال طِرازا
كلها وحَّدت وبالله هامت ... بفنون حقيقة ومجازا

☆ ☆ ☆

وترجم المؤلف رضي الله عنه بقوله :

حبك الزهر في الرياض فأبدى ... من نسيم الصَّبا لنا أرجازا
جاءنا من هفيفه بمعانٍ ... أخذت للقلوب منا مجازا
كلها ذاكرٌ بنُطق خفيٍّ ... مُظْهِر من رُموزه ألْغازا
عرف العارفون معناها لما ... ركبهم هذه العوالم جازا
يفهم السر من طوى الكون عبدٌ ... طرح الكمَّ أهمل الأحيازا
فإذا قام غاب عن كل شيء ... وإذا نام صحح الإيجازا
هام من هبَّة النسيم على الرو ... ض وخلَّى الفاني وبالله فازا
يالقومٍ بالله طابوا وغابوا ... فيه ذُلاً فعُوِّضوا الإعزازا
ولعمري من عامل الله بالإخـ ... ـلاص لاشك بالجميل يُجازا
ها هم القوم حين هاموا بحب الـ ... ـلـه صارت أسماؤهم أحرازا

☆ ☆ ☆

﴿ نصيحة صحيحة ﴾

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
« الدين النصيحة »

لا نقول للمرتاب : اقرأ للقناعة جميع ما بين دفتيّ الكتاب بل نقول له : اقرأ ما وضعه الناشر على دفّتيه وما اختاره فذلكة وما قدم به قبل بدء الكتاب فيزول ما عنده ـ إن شاء الله تعالى ـ من الشك والارتياب ، ورحم الله القائل :

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار الى دليل

☆ ☆ ☆

هذا إذا كان المتردد المرتاب جاهلاً بشأن المؤلف نزيه الجناب ، أما إن كان تردده عن حسد وغُرور قلّد فيهما عدوّه إبليس الغَرور ، فليس لدائه دواء ، ومُستحيل بُرؤه من فتك تلك الأدواء ، بيَّن ذلك بقوله السيد محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس لوارثه السيد المؤلف رضي الله عنهما :

خُذ إثر سر الكائنات محمد ﷺ   مَن شرفت بجنابه الأسماءُ
وافتح عيون السالكين بهمة   فيها لنور جنابه إيماءُ
واترك صنوف الحاسدين بدائهم   ما للحواسد يابُنيَّ دواءُ
يتلوَّنون مع الهوى لضلالهم   طيشاً كما تتلوَّن الحِرباءُ
عقد العناد غُبارهم فتوسَّدوا   لُجج العناد وكلهم سُفهاءُ
غمزوا الشريعة بالسُقم عقولهم   وبزعمهم جهلاً هُمُ العُرفاءُ

☆ ☆ ☆

﴿ المقدمة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يستحق الحمد حقيقة على نعمة سواه ، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على أشرف خلقه سيدنا محمد النبي الأمي حبيبه ومصطفاه ، القائل : « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وعلى الآل البررة الكرام وفي مقدمتهم باب مدينة العلم ، أمير المؤمنين ، سيد العرب فضلاً عن الأعجام ، حيدرة الكرار في أعظم وأهم معارك فتوحات الإسلام ، المرشد إلى ترويح النفوس بعد تهذيبها بقوله : ان هذه النفوس لتملّ كما تملّ الأبدان فالتمسوا لها طرائف الحكمة . وعلى الصحابة الغُر الميامين الجهابذة الأعلام ، المترنم حاديهم بلسان قاصيهم ودانيهم بين يدي أُستاذهم ومربيهم سيدنا رسول الله ـ عليه أفضل صلوات الملك العلام ـ بقوله :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينة علينا وثبّت الأقدام إن لاقيْنا

☆ ☆ ☆

وعلى الأئمة المجتهدين مَنْ أجمعوا على إباحة السماع إلى السحر الحلال اتّباعاً لنبيهم المشرّع ﷺ مُحلل الحلال ومُحرم الحرام ، وعلى سائر العلماء العاملين الناصحين لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم دون مُواربة أمام مخلوقٍ ولا انهزام ، وعلى السالكين في طلب العلم إثرهم المتخلقين بأخلاق الصحابة

الذين قضوا نحبهم السابقين الشهداء ، والمنتظرين بوقتهم الثابتين على الحق مَنْ نشروا العلم والفضيلة وأعزّ الله بهم الإسلام فكانوا الهُداة السعداء ، وعلى كل مَنْ دان لله تعالى على ما شرع له في المِلّة الحنيفية السمحاء .

أما بعد فقد أكرمنا الله تعالى بأن نقوم بطباعة هذا الديوان المنتقى المختار من خلاصة كُتب أدب الشريعة والحقيقة ، والذي حُقَّ لمؤلفه ـ العلاّمة الكبير ، والجهبذ النحرير ، الأديب اللبيب ، والكاتب الأريب ، شيخ الإسلام ، وأُستاذ الأعلام ، سيدنا ومولانا السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني الحسني ثم الخالدي رضي الله عنه أن يسميه ـ نظراً لما استودع فيه من جواهر النظم والتحقيقات الدقيقة ـ بـ (أزهار الحديقة) فإن لكل مُسمى نصيباً من معنى اسمه ، وقد وجدنا نصيب هذا الديوان من معنى اسمه المعنى بكامله ، ولّما علم الله سبحانه وتعالى رغبة أهل زمننا هذا للنُّزَه والمتنزهات أظهر لهم هذا المتنزه العلمي الجامع النزيه السالم من ذكر الموبقات والخلاعات والتهتكات ومن ذكر النساء الكاسيات العاريات والذي قلَّ أن يخلو متنزه من وجود فتن جميع هذه المحظورات يليق بالسادات والأفاضل والعلماء والصلحاء المتمسكين بتعاليم دين الاسلام حتى ولو في طريق ذهابهم وإيابهم ، فرضي الله عن المؤلف حيث قال في كتابه (الفرقان ، الدامغ بالحق أباطيل أهل البهتان) الذي أبان فيه حسبه ونسبه ، وترجم نفسه بنفسه قال ـ رضي الله عنه ـ :

وسأذكر سيرتي في بيتي ومعاملاتي ووطائي وغطائي وأخذي وإعطائي مختصراً كل ذلك على سبيل الإجمال ، ولكل حقيقة نور يدل على الحال : إني ـ ولله الفضل والمنة ـ لم أتقيَّد بحب طعام أو شراب بل آكل ما أجد ولم أذكر أني تشهيت ، أو طلبت طعاماً وتمنيت ، ولم تستفزني عادات الزمان في الملبس بل

أنا على سيرتي في وطني لم أُغير الطرز الذي نشأت عليه ، ولم أُقيِّد همتي للنوم والقيام بوطاء ليِّن وغطاء جميل عملاً بنص « اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم » ولم أغلظ في الكلام حالة الاستخدام لا على كبير ولا على صغير من حاشيتي لا داخلاً ولا خارجاً ، ولم أترك أحداً منهم يخرج عن ساحة الأدب لا في الأقوال ولا في الأفعال ؛

وأمضيت السنين العديدة وها أنا لم أخرج من بيتي لا لسوق ولا لمتنزه ولا لمحل فرجة بل حديقة نظري الكتب المباركة أقرأ وأكتب تصنيفاً وتأليفاً وأنظم الشِّعر وأرصع الصحائف بالنثر ، وأقطع الوقت ـ ولله الحمد ـ بذكر الله تعالى والثناء على رسوله العظيم وحبيبه الكريم ﷺ وبمدائح الآل والأصحاب والأقطاب والأنجاب والأولياء كافة ، والصالحين والعلماء العاملين ، ولم تنقطع ـ ولله المنة ـ من بيتي الأذكار ولا مدائح النبي الأعظم لا في الليل ولا في النهار ، ولم أُشادد الدين بل تارة أُروِّح النفس بسماع الغَزَل المباح ، وبلطائف الكلام من المزاح ، ولم أعرف التقتير ولم أرض التبذير ، ولم أشغل القلب بجمع شيء من الدنيا ، وقد تركت كل أمري لله هو حسبي ونعم الوكيل . اه

ووجدنا أيضا في هذا الديوان علاوة على المتنزه النزيه جامعة وأي جامعة فيها من سائر العلوم والفنون تصلح للعالم والمتعلم والمتخرج ، وللفقيه الشهير ، والصوفي الكبير ، وللولي الخطير ، والمتعبد الناسك الفقير ، يُسمح لكافة أهل النُّهى والإنصاف ، والذوق السليم من جميع هذه الأصناف ، أن يدخلوا هذه الجامعة ويفحصوا أنفسهم بأنفسهم على مقتضى برامجها الجامعة المباركة الحقيقية ، ثم يعطوا لأنفسهم ما تستحق من الشهادات والدرجات كلّ حسب مقدرته ومكانته التي حققها ، والحَكَم العدل الذوق السليم والإنصاف ، فلا يكون الإعطاء جُزافا ولا يُمازجه إجحافا ، فالإنسان العاقل هو من أعرف

الناس بنفسه - بِغضّ النظر عن الأدعياء المغترين ، والحمقى المجانين فالميزان لكل إنسان متابعة الحضرة المحمدية وكال الإيمان والتحقق بالاحسان ، وفقنا الله جميعاً لذلك ، وحمانا من سائر المزالق والمهالك ، ورضي الله عن إمامنا الشافعي حيث قال :

حياة الفتى والله بالعلم والتُّقى ... وإن لم يكونا لا اعتبار لذاته

☆ ☆ ☆

وكأن هذا الديوان العظيم بحر محيط قد حوى من كل دُرَّة يتيمة ، وجوهرة كريمة ؛ ينطبق على كل مَن يُقبل على مطالعته ويستوعب حقيقته فيجعله محل نزهته ومدرسته قول بعضهم :

ما حوى العِلم جميعاً أحد ... لا ولو مارسه ألف سَنه

إنما العلم كبحر زاخر ... فاتخذ من كل شيء أحسنه

☆ ☆ ☆

وقد جُمع في هذا الديوان المبارك الشريف من كل شيء أحسنه .

وقد انتقينا من هذا الديوان المبارك نموذجا لطيفا يتعلق بالحُب والمحبين من نظم ساداتنا وأئمتنا السادة الرفاعية خاصة وجمعناه بعد أن كان مُفرقاً خدمة لإخواننا المحبين الصادقين ، وأملا بأن يجذب مغناطيس سر كلام ساداتنا الكثير من أهل النُهى المنصفين لاتّباع طريق الحق المبين فاستمع لما قاله المؤلف في أُستاذه السيد محمد مهدي بهاء الدين ، رضي الله عنهما :

يا أيها المهديُ يا من حُبُّه ... في القلب للسر الخفيّ أنيسُ

أقوى على إبليس فيه فيغتدي ... رهن الفرار لناره إبليسُ

لم يَلْوِ قلبي عن هواك مدى المدى ... آنا زُليخاءٌ ولا بلقيسُ

يحدو بـذكركَ مُنشـدي وكأنمـا بحروفــه للقلب مغنــاطيسُ

☆ ☆ ☆

وقد قدمنا لهذا الموجز اللطيف بكلمة ، وأطلقنا عليه هذا الاسم الشيّق العَطِر وهو (شذا عِطر الشريعة والحقيقة) ينبعث من « أزهار الحديقة » عني بتحقيق الأصل وتدقيقه أستاذنا الجليل ، المعلّم المربي لجيل إثر جيل ، العلاّمة الفهامة صاحب الفضيلة سيدنا أبو عبد الرحمن الشيخ محمود بن عبد الرحمن الشقفة - حفظه الله تعالى وحماه - ولما فرغ من ذلك تكرم بتوجيهاته وتوجهاته لبعض إخوانه الذين قاموا بنسخه والتقديم له وتهيئه للطبع وترجمة بعض الرجال الذين وُجِد لهم في هذا الديوان شيء من النظم (بُغية تخميسه أو تشطيره أو تذييله والإلحاق به على نسقه وإيضاح معناه وضبطه ضمن دائرة الشرع المحمدي على أن معظم هذا الديوان هو من نظم المؤلف وأستاذه السيد محمد مهدي الرواس ، وشيء قليل من نظم أسلافهما رضي الله عنهم أجمعين) والإشراف على طبعه وتصحيحه بقدر المستطاع فقدمنا الموجز بالطبع ليتشوق القراء الكرام الى الأصل مصدر النبع فها نحن الآن نقوم بطبعه ليعم - بمشيئة الله تعالى - بكليهما النفع سائلين المولى الكريم أن ينفع بهما كما نفع بما سبقهما من مؤلفات ساداتنا الأئمة الرفاعية الأعلام - رضي الله عنهم وعنا بهم - فإن غايتهم الشريفة من سائر مؤلفاتهم هي إفراغ الأخلاق المحمدية في الأُمّة المحمدية ابتغاء مرضات الله تعالى لا يريدون بذلك من أحد جزاء ولا شكورا ، وأملنا بالله الكريم الوهاب كما حقق لهم ما قصدوه أن يوفقنا لنحذو حذوهم وما ذلك على الله بعزيز ، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته بالقرب من جوار جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليكن هذا النظم الآتي طابع الختام ، نستجديه من ساداتنا ونتمثل به كأنه من كلماتنا شأن الموالي والخدام يأخذون

الطابع من دوائرهم ويضعونه على رسائلهم فليس عند مثلنا تجاه قدرهم الرفيع ما يصلح للمقام :

آل بيت النبي أنتم لعمري　　رحمـة الله والهـدى للأنـام
قد نظمتم سلك المفاخر يزهو　　بنبيٍّ ووارثٍ وإمـام
فعلى روح جـدكم وعليكم　　صلـوات المـولى وأزكى السلام

☆ ☆ ☆

ناشر تُراث سادات واسط
العَبد للحَكيم الباسط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى سيدهم حبيبه المصطفى ، وآله وأصحابه الحنفا ، والتابعين أهل الوفا .

أما بعدُ فيقول العبد الفقير الى الله محمد أبو الهدى بن السيد أبي البركات حسن وادي آل خزام الصيادي الرفاعي ثم الخالدي أحسن الله اليه بمدده السرمدي آمين :

هذه مجموعةٌ لطيفة ، وخزانةُ أدبٍ شريفة ، تشتمل على شيء من مفردات كلماتي المنظومة التي انتخبتها لشؤونٍ مخصوصة ، وأسباب منصوصة ، وفيها كلماتُ جماعةٍ من فضلاء البلغاء ، وبلغاء الفضلاء ، طُرِّزَتْ كلها بتخميسٍ أو تشطيرٍ أو تذييل ، مع بعض منشآت سبكتها سبك الإبريز الجميل ، وسميت هذه المجموعة الأنيقة ﴿ أزهارَ الحديقة ﴾ يَنْفَحُ روضُها العطير ، بأنواع العبير ، تطيبُ بها ألبابُ أهلِ الأذواق المرضية ، وترتاحُ لها نفوسُ أُولي الهمم العلية ، والأفكارِ الرائقةِ الزكية ، والله المعين ، وهو يتولَّى الصالحين .

قلت وعلى الله توكلت :

ثِقْ بمولاك راجياً أبداً ... منه فيما ترومه فضلا
ليس إلاَّ هُو فارتقب مددا ... من إفاضات سَيْبه الأحلى
واهبُ الرزقِ جلَّ خالقنا ... هو فاخضع لوجهه الأعلى

☆ ☆ ☆

وقلت من هذا الأُسلوب ، والطريق المرغوب :

خَمرُ قُدسٍ بحانه يُجلَى ... فيه معنى الطريقةِ المُثلى
رَقَّ فيّاضُ كأسِه فتلا ... كلُّ شيء هالك إلاّ

☆ ☆ ☆

وقلت في الحقيقة الطاهرة المحمدية :

روحُ الوجود نظامُ مجملِ كونه ... معناهُ والمقصودُ منه محمدُ ﷺ
نورُ الإفاضة للحوادث كُلّها ... فيه تعَيَّنَ لونُها والمشهدُ
برزت على طبقاتها عن سطعه ... فموفقٌ مُثْنٍ وثانٍ يَجْحَدُ
والكلُّ في قِمَمِ النهايةِ شاخصٌ ... لجماله وله يُقرُّ ويَشهدُ
فالكونُ طمسٌ في العمى وضياؤهُ ... شمسُ الرسالةِ نورُ عينيَ أحمدُ ﷺ

☆ ☆ ☆

وقلت لسبب نظري ، لا يخفى على اللوذعي :

خَلِّ الأنامَ وكنْ بربك واثقاً ... إن رمتَ نهجاً للفلاح حقيقا
وخذِ النبيَّ الهاشميَّ وسيلةً ... لله واسلُكْ من هُداه طريقا
واغمضْ عن الأكوانِ عيناً لا ترم ... خِلاًّ ولا تطلب أُخَيَّ صديقا
فالناسُ خُلانُ الزمانِ ولم تجدْ ... آناً على رغم الزمان رفيقا
أَمَمَّ تَوُمُّكَ للزمان وربما ... جعلوا رحيقَكَ للزمان حريقا
فارفقْ بنفسك لا تَصِرْ لك خادعا ... وتخوضُ بحراً بالعناد عميقا
لولا المآربُ فالكثيرُ تراه لم ... يذكر مُنيباً (حاجراً) و (عقيقا)
طمحتْ لتلفيق الحُطام عزائمٌ ... منهم تَنَسَّقَ قصدها تنسيقا
فمشوا مع الأغراض يطلب زَعْمُهُمْ ... منها مكاناً لو دَرَوْهُ سحيقا

ومَضَـوْا بلُجَّتهـا فـأضحَى جُلُّهم فيهـا على ظمأ الفـؤادِ غريقـا
قَلِّـد أُولي التقـوى فصـاحِبُهم لقـدْ يُرْجَى يُرَى تقليـدُه تحقيقـا
واضمر لكل النـاس خيراً وانتبـه لا تتخـذ غير الكرام فريقـا
واطرح خديعات الوجوه فـأنت مِن نـار الحُبـاحِب كم رأيت بريقـا

☆ ☆ ☆

قال الفاضل أبو محمد عبد الله بن هاني الاشبيلي يصف رجلا فطنا (بيتا مفردا) وهو :

لـولا ضلـوعٌ تُـواري نـارَ فِطنتـه لأحرقتْ وجنـاتِ الشمس بـالشرر

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وتلـك همتُـهُ لـولا تحَجُّبهـا بعزمِـهِ لا ارتقتْ عن موقـعِ القمرِ
تحيراً قيـل هـذا الشخص حين بَـدَا مِن المـلائِـك مـا هـذا من البشر

☆ ☆ ☆

وله في محبوب أكثر من الإساءة وهو يزعم أنه في منزلته التي يعدها من الحب :

يـا من يُريـدُ على الإسـاءةِ وُدَّنـا طرفُ الـودادِ عن المسيء غضيضُ
ليس الـودادُ عن الإسـاءة ظـاهراً كالمـاء ليس عن الضرامِ يفيضُ
أنت الحبيبُ لنـا بكـونـك محسنـاً فـاذا أسـأتَ لنـا فـأنتَ بغيضُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

مهما الحليمُ عَفَـا وسـامَـحَ قلبُـه من قـدح نيران المسيء مريضُ

تـؤذيـه غُصتـــه ولـو ستر الأذى كرمٌ من الشهم الحليمِ عريضُ
جَمْـعُ النقيضين الُمحـــالُ وعـــادةٌ فلكل شيء في الـــوجـــودِ نقيضُ

☆ ☆ ☆

وقال القاضي أبو المجد الشافعي المعري[1] :

ولقـد لقيتُ الحـادثـاتِ فـما جرى دمعي كما أجراهُ يـــــومُ فراقِ
وعرفتُ أيـام السرور فلم أجِـدْ كرجـوع مشتـاقٍ الى مشتـاقِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

تتبــادلُ اللهفـــاتُ بينهما على زمنٍ مضَى مشفـوعـــةً بعِنـــاقِ
هـــذا يحنُ وذا يـــأنُ وللهـوى طـــورٌ يترجم سيرةَ العُشـــاقِ
تمضي الشـؤونُ وكلُّ نشرٍ ينطـوي واللهُ بعـد الفـانيـات البـاقي

☆ ☆ ☆

وقال اللوذعي الشيخ أبو طالب عبد الله بن غازي الحلبي :

وقـــائـل ليَ إذ لَفَّقْتُ مـــدحهمُ زوراً وميْناً وقـد أودى بـه الخَرَصُ
مُبْيَضُ مـدحِـك في مُسْـوَدِّ فعلِهمُ كأنمـــا هـــو في أعراضهم برصُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

رامـوا الكمـــال بنقصٍ في شمائلهم فراح كاملُهم يـــــاميُ يُنْتَقصُ

---

(١) أبو المجد المعري : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو المجد المعري قاضي المعرة كان أبو المجد هذا فاضلا أريباً مفتيا على مذهب الشافعي قاضيا بالمعرة الى أن توفي سنة ٥٢٢ هـ له ديوان شعر ورسائل .

وليس ينفع قـولٌ رقَّ مجملُـــهُ اذا تبـاينتِ الأفعـال والقِصَصُ

☆ ☆ ☆

وقال الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى التبريزي(٢) طاب مرقده :

إن السعيـد اذا حبـاهُ رَبُّـهُ واسَى البريـة في رضـاهُ فَسَادَا
وأخـو الشقـاوة لا يفـوزُ بثروةٍ إلاّ عصى المـولى وزاد فَسـادا

☆ ☆ ☆

وألحقت قوله بقولي :

وتراهُ عن جهـلٍ بغـايـة أمره لم تنقض الأيـام إلاّ زادا
وعلى الحقيقـة لم يَفُـزْ إلاّ الـذي تَخِـذَ التقى في كل طـورٍ زادا

☆ ☆ ☆

ومن كلامي ، وسانحات إلهامي :

تـدبَّرْ صنيعَ الله في الأمر إن دَجَـا وخَلِّكَ بين الخوف يـا صـاحِ والرجـا
ولا تنسَ مـا قـد نُصَّ في سـورةِ الضُحى
وفي الليـلِ طيَّ الحـادثـاتِ اذا سجى
فكم مَغْربٍ غلغـالُـه قـام أسـودا بكربٍ فجاء الصبحُ باللطف مُسْرَجـا
وكم ربَّ طيشٍ صـار بـالأمن هـالكاً ومنكسرٍ من بـأس تَهلُكـةٍ نجـا
يراقب سرَّ اللهِ في الأرض دائمـاً وألطـافَ جبـارِ السماوات تُرْتَجَى

☆ ☆ ☆

---

(٢) الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى التبريزي

يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ، أبو زكريا : من أئمة اللغة والأدب ، أصله من تبريز ونشأ ببغداد ورحل الى مصر ثم عاد الى بغداد وتوفي فيها سنة ٤٢١ هـ له تصانيف جليلة منها « شرح ديوان الحماسة لأبي تمام - ط » و « شرح المعلقات السبع - ط » و « اعراب القرآن » وغير ذلك . من الأعلام للزركلي .

وقال القاضي أبو المعالي هبة الله بن علي الشيرازي[٣] رحمه الله :

وأخَّرَني دهري وقـــدَّمَ مَعْشَراً ... بـــأنهمُ لا يعلمـــون وأعلمُ
وعـزمِيَ أن أنْسَى علـوميَ كلَّهـا ... لعـلّ زمـاني عنـد ذلـك يرحمُ
وأن أدَّعي الجهـلَ الـذي هـو سُلَّمٌ ... الى سِلْمِ هـذا الـدهر فـالسِّلْم أسلمُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

حَلَلْتُ رُمـوزاً من علـومٍ شريفـةٍ ... نـأتْ رُتبـةً والسرُّ منهـا مُطلسَمُ
وأوضحت أسرار المعـاني التي خَفَتْ ... بعصري ويَرْضَى ذاك لـو يتكلمُ
بفلسفـةٍ لم يُخْطِئ الشرعَ حكمُهـا ... عليهـا بعـالي حُكمـه يتحكَّمُ
وآيـاتِ عرفـانٍ يُرَتِّـلُ نصَّهـا ... لسانٌ لـه النحريرُ في البَحث يُفْحَمُ
يبز عقـوداً من جـواهر حكمـةٍ ... عن الفضـل والعلم الـوسيـع تترجمُ
وقـائلـةٍ : مـا بـالُ حظـك نـائمٌ ... فقلت : حظـوظُ السـادةِ الغرِّ نُـوَّمُ
فقـالت : الم يُـدْفَعْ بعلمـك نـومُـه ... فقلت لهـا للشـكِّ : اللهُ أعلمُ

☆ ☆ ☆

وقال القاضي الإمام ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرَّجاني[٤] طاب ثراه :

---

(٣) هبة الله الشيرازي

أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد الشيرازي : محدث حافظ جوّال مؤرخ سمع بخراسان والعراق والحرمين واليمن ومصر والشام والجزيرة وفارس وخوزستان والجبال وحدّث ورحل اليه الطلبة من بغداد وغيرها وتوفي بمرو سنة ٤٨٦ هـ وقيل ٤٨٥ هـ .

(٤) القاضي الإمام ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرّجاني

أحمد بن محمد بن الحسين أبو بكر ناصح الدين الأرّجاني ، شاعر في شعره رقة وحكمة ، ولي القضاء بـ « تُستر » وكان في صباه بالمدرسة النظامية بـ « أصبهان » جمع ابنه بعض شعره في ديوان مطبوع ، توفي بتستر عام ٥٤٤ هـ ونقل ابن خلكان أنه عربي المحتد منحدر من الأنصار : من الأعلام للزركلي .

لا تحسبنَّ خلـودَ المرء ممتنعــاً   مَن ناط عُرفاً بعِرفانٍ فقد خلَـدا
وليس إلاَّ على ذا الـوجـه إن نظروا   يصح معنىً لقـول النـاس عِش أبـدا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

فــالنــار مُحْرِقــةٌ لكن لمعرفــة   قـد رام منهـا كليم الله نـورَ هـدى
فراعِ حِكمــةَ أسرار الشـؤون وكن   ذا فطنةٍ لم يـدع حُكم الشؤون سُدى
واعمـل بعُرفٍ وعرفـان وصِرْ رجـلاً   على المحجـة إن مـا قـام أو قعـدا

☆ ☆ ☆

وقال الإمام كمال الإسلام بن صدر الدين ملك العلماء أبي بكر بن ثابت الأصفهاني(٥) رحمه الله :

أصبحت من الهـوى أليف العِلّـــه   والهجرُ كســا عــزةَ نفسيَ ذِلّــه
فَكّرْتُ ولا مخلَصَ لي من يــــده   يــالهفَ على نفسيَ إِنّــا لله

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

الشــــوقُ يطيرُ بي لمن هيَّمني   والتـوق لقـد محـا وجـودي كلَّــه
هجرٌ وبعــادٌ ولـوعــةٌ محرقــةٌ   لا حــول ولا قــوَّة إلاَّ بـــالله

☆ ☆ ☆

وقال الإمام كمال الإسلام أيضا :

قــد أسْبَـحَ في هـواك دمعيَ ذيلي   مُـذْ صـار كأصداغِـكَ يـوميَ ليلي

---

(٥) ـــــ

رَوَّعْتَ فؤادي بنوىً تَرْمُقُه	لو تفعلُ ما تقول ويلي ويلي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

إرحم دنفاً سيّالةً دمعتُه	بالله رأيتَ دمعةً كالسيلِ
قد كنتَ بخيلي أخَبَّ كلَّ عجاج	ياظالمُ قد أوهنتَ مني حَيْلي

☆ ☆ ☆

وقال لفراق حبيب له اسمه عبد الصمد :

الطرفُ وحُوشيتَ حليفُ الرمدِ	والقلبُ وعوفيتَ أليفُ الكَمدِ
داآنِ على الجملة لي قد جُمعا	تفصيلُها فراقُ عبد الصمدِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

أبكي ودموعي مُرَقْرَقٌ وابلُها	والوجدُ لعمري لهفاهُ أضنى جلدي
دمعي لِوَلوعي يشب ناري أسفا	لم يَدْرِ بناري ولوعتي من أحدِ

☆ ☆ ☆

وقال الرئيس ابن الرئيس عبد الرحيم بن أحمد بن القائد الخوَيِّي[٦] **رحمه الله :**

فلا غروَ أن كان الزمان معاندي	لأني كريمٌ والزمانُ لئيمُ

☆ ☆ ☆

(٦) ————

فألحقت قوله بقولي :

طرحتَ زماني ما احتفلتَ برأيه على أنه صعب المزاج سقيمُ
أأرقبُ عطفاً منه لادَرَّ دَرُّهُ وكيف يرى عطفَ اللئيم كريمُ

☆ ☆ ☆

وقال اللوذعي الأديب أبو الفضل جعفر بن الحسن المشتهي الدمشقي رحمه الله :

دع حاسديَّ وما شاؤوا فقولُهمُ مما يُنَبِّهُ لي في البدْوِ والحضرِ
فليس يُرمى من الأغصان ذو ورقٍ وليس يُرجم إلاّ حاملُ الثمرِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

ما قد رأينا جباناً يوم معركةٍ شقَّ الصفوفَ وأضحى عُرضَةَ الخطرِ
والنجمُ يلمع لم يَكْلَفْ على صِغَرٍ وقد يُرى الكَلَفُ المغبرُّ في القمرِ
والفضلُ ما زال محسوداً بصاحبه في كل صنفٍ وهذا ديْدنُ البشرِ
وإن تَقَدَّمَ منك الشوطَ سافلةٌ لاتبتأس فسُموُّ العين بالأثرِ
تقول كيف سَرَوْا والمجدُ في ثِقَلٍ أمْعِن فكم دارت الدولابُ بالبقرِ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي ، ورموز إشاراتي :

أقول لذي عزمٍ على السوء مُنطوٍ يُريد نكالاً للرجال الأكارمِ
كذبتَ وأيمُ اللهِ عزمك خائبٌ وقد عُرِف الباري بنقض العزائمِ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي أيضا وفيها إبداع :

أُصاحِبُ هذا الليلَ للصبح ساهراً وأذكرُ أيـامـاً تقضّت مع الحِبِّ
فتُرسِلُ عيني الدمعَ والفكرُ ذاهلٌ وجمرُ الغضا مازال يلهب في قلبي
وأرقبُ قَلْبَ البُعْدِ قُرباً وَوصْلَةً ومـا ذاك إلاّ من فِعالك يـاربي

☆ ☆ ☆

ومن منظوماتي ، ورقائق إشاراتي :

سَرَى ركبُ من أهوى وقد غلغل الدجى
وأقمر مُبْيَضُّ الغلائل بالساري
فَرحتُ أسحُّ الدمعَ وجداً ولوعة وأبعثُ من عَيْنيَّ هائجَ أمطار
وغرَّدتِ الورقاءُ تحكي توجعي ونوحي وإسراري ومزعج إجهاري
وقمتُ على إثر الوداعِ مُردداً من الشّعر ما يُزري بحبكة أزهارِ
كأن معانيه ازدهتْ فحديقةٌ ويُنْفِحُ منها الوردُ جونة عطّار
يُرنِّحها لُطفُ الصَّبا وهو رائقٌ فيُهدي عبيق المسك للحي والجارِ
تَفتَّقَ منها روضُها عن بدائع جَلَتْ في فجاج القاع أوجه أقمارِ
كأن نسيج الزَّهر كالزُّهر شاكلتْ أساليبَ أفكاري وآيات أشعاري
وأعجب من هذا وهذا صبابتي وناري وفوقَ النارِ مدمعيَ الجاري
فلا كان ياسعدُ النَّوَى إنما النَّوى على ذي الهوى شيءٌ أحرُّ من النارِ
يُذيب فؤادَ الصبِّ لا دَرَّ دَرُّهُ فيغدو فقيدَ القلب مغلوبَ أطوارِ
أحبّاهُ بالود القديم الذي على حقيقته الخلصاءِ زَرَّرْتُ أزراري
ترفَّقْ بحالي إنني فيك للجفا دَهِشْتُ فلم أشعرْ بقومي وسُمّاري
بعُدتُ عن العذال في كل مذهب فلا حيُّهم حيي ولا دارُهم داري
فراعِ حقوقي إنني كدتَ أرتقي وأسمو إلى هام الأثير بآثاري

ولا تنقضِ الميثـاقَ والعهـدَ واتّئِـدْ وشرِّفْ بوصل الحبـل طيّبَ أخبـاري
وخـذ لـك من منظوم شعري قِـلادةً من الدُّرِ تروي عنك ما أبدعَ الباري

☆ ☆ ☆

وقال القاضي أبو بكر الأَرَّجاني[٧] رحمه الله :

شـاورْ سـواك اذا نـابتـك نـائبـةٌ يومـاً وإن كنتَ من أهل المشُـورات
فـالعين تلقى كفـاحـا مـانـأى ودنـا ولا ترى نفسهـــــــــا إلاّ بمرآةِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

وشَرِّفِ النفسَ لاتعبـأ بـذي سفـهٍ مُغـالـطٍ سَيِّءِ الأخـلاقِ بَهّـاتِ
فـالكلب لم ينبح الطُّراقَ عن سببٍ بل تلـك في الطبع عن قيـد وإفلاتِ
وكن على الله في التـدبير مُتكـلاً فـالأمر لله في المـاضي وفي الآتي

☆ ☆ ☆

وللقاضي الأَرَّجاني أيضا :

ولـمـا بلـوتُ النـاسَ أطلب منهمُ أخـا ثِقـةٍ عنـد اعتراض الشدائـدِ
تطلّعتُ في يَـوْمَيْ رخـاءٍ وشـدةٍ
ونـاديتُ في الأحيـاء هـل من مسـاعـدِ ؟
فلم أرَ فيما سـاءني غير شـامتٍ ولم أرَ فيما سرَّني غير حـاسـدِ

☆ ☆ ☆

---

(٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٦ .

وقد ألحقت قوله بقولي :

وكم لاح لي بين الصفوف أقاربٌ ... فكانوا بما أمَّلته كالأباعدِ
طووا لُحمةً في سدوة لو نشرتها ... رأيتَ بها المعقودَ بعض المقاصدِ
نصحتك إنْ أمَّلتَ يوماً مساعِداً ... توكأ على زندِ حملْتَ وساعدِ
ولا تنحرف عن سُنَّة البر مُعرضاً ... عن الناس لا بل كن كريم العوائدِ
وخلِّكَ في الأعمالِ لله مخلصاً ... فكم من مُراءٍ في زوايا المساجدِ

☆ ☆ ☆

ومن أقوالي ، وشوارق أحوالي :

في خفايا الغيوب لله سرّ ... يجذب الخير من خفايا الغيوبِ
يُصلح الشأنَ يَفتحُ الباب يأتي ... من زوايا الإضمار بالمطلوبِ
ووجوهُ الرجال فيها مَعانٍ ... تتدلَّى من جَوِّ أُفقِ القلوبِ

☆ ☆ ☆

وقال الشهم الجليل شهاب الدين أحمد الجويري العباسي رحمه الله :

فضلي الذي يَجني عليَّ وربما ... ضَحِكُ الفتى أفضَى إلى إبكائه
ولرُبَّ ذي قَدرٍ يُفاقُ بجاهلٍ ... كالبحر يُعْلَى ماؤه بغُثائه
أنا للعُلى كالزَّند إن مارستهُ ... بَدَرَتْ اليك النارُ من أنحائه
دَلَّ الجهولَ على أذايَ تحمُّلي ... كالماءِ دَلَّ على القَذَى بصفائه
والحلمُ ينفعُ ربَّهُ لكنَّه ... إن زاد حَداً زاد في إيذائه
كالنور يهدي الطرْفَ مقتصد السَّنا ... ومتى يَزِدْ ينهض الى إعشائه
ولقد عُرفتُ بكم كما عُرفَ السُّهَى ... ببناتِ نعشٍ في نقاب خفائه

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

كم ضاع حقُّ مُفضَّلٍ في قومه ... وبدا له الإنصافُ من أعدائهِ
والحق يظهرُ للفتى مهما خَفي ... ما بين جاحده وربٌّ ولائهِ
والفضلُ مهما راح يُكتم ينجلي ... كالبرق يلمعُ في سجوفِ سمائهِ
ولرُبَّ ذي حسد لبدرٍ طالعٍ ... والنفع قد يأتيه من أضوائهِ
عُذراً فإن المرء أكثرُ ما يَرى ... جُحُدَ المزايا البيض من نظرائه
وإذا اعتدى طيشاً عليه جُويهلٌ ... فجزاؤه الإعراض عن غوغائه
كم عالم يكفيه غسلُ إنائه ... بالتُّرب إن ولغ الكلاب بمائه
فاغسل إناء القلبِ من كلبٍ عدا ... بولوغه واحفظ نقيَّ إنائه
واجهدْ بصون طباع قومك إن علوا ... إرثُ الكريم المجدُ عن آبائه
جهلاً يُناظرني الغنيُّ بماله ... فالمال جامعُ دائهِ ودوائهِ
وأنا لعمري الكوكبُ اللّماع في الظلماء والأضواءُ حشوُ ردائه
حَلَفَتْ بي الأيامُ ترصد مظهراً ... مني لبدرٍ جَلَّ طَوْلُ سنائه
فالعلم مِن إعلامه والصدقُ من ... إلهامه والخيرُ من أسمائهِ
يحكي رقيقَ السيفِ يفتك بالعدا ... إن هُزَّ في إمضائه ومضائهِ
أو أنه حالَ الإفاضةِ وابلٌ ... تنهلُّ سُحب الفضل من أنوائه
هجرَ الزمانَ فلا يميل لمَيّه ... أبداً ولا يلوي الى أسمائهِ
يَدَعُ العدوَّ على بساط زعومه ... ذا حيرةٍ حتى يموتَ بدائهِ
هو جهبذٌ في العصر إن هي فرّقتْ ... جُهلاؤُهُ بالعدل عن علمائهِ
ويَودُّ أن لو كان ليس بناطقٍ ... كي لايُفيضَ القولَ عن عليائه
يمشي على طور الزمان وغيِّه ... وعلى عصيب النهج من أهوائهِ
فعساه يأنس رأفةً من دهره ... فخُنُوُّهُ أبداً على بُلهائه

كم ربَّ داءٍ شَفتْ سُقماً مــزعجــاً بــالــداء كان صميمُ أمرِ شفــائــهِ
هــذا لعمر المجــد رأي أخي سنــا عنــه العمى قــد عَمَّ في رُقبــائــهِ

☆ ☆ ☆

وقال الأديب الفاضل أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي الشيعي[8] وأبدع :

أنــا لا أصبرُ عمَّن وجهُــهُ فلــقُ مُبتسمٌ في غسَقَيْنِ
قمر العقرب خُــوِّفتُ فمن مُنقــذي مِن قمرٍ في عقربينِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

لاحَ والليــل دَجــوني فمــا قلت إلاّ لاح ثــاني القمرينِ
جَرَحَتْ مُقلتُــه قلبي فيــا ويــحَ قلبي حــالَ رمشِ المقلتينِ
ريمُ روضٍ جعــل الهجرَ لــه مشربــاً والــود أهنى المشربينِ
كم أُنــاجيــه بــدمعي قــائــلا : مــا جرى يكفيــك يــاقرة عيني
وهــو كِبراً يتغــابى والهــوى ضــاربٌ مــا بينــه الــدهشَ وبيني
راعني بــاليــأسِ لكن لــذَّ لي فعلُــه واليــأسُ احــدى الراحتينِ

☆ ☆ ☆

---

(٨) أحمد بن منير الطرابلسي :
أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد ، مهذب الدين : شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام . وُلد بها وسكن دمشق ومدح السلطان العادل « محمود بن زنكي » بأبلغ قصائده ، رحل الى حلب وتوفي بها عام ٥٤٨ هـ وله ديوان شعر مطبوع : من الأعلام للزركلي .

وقال الأديب الأريب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني[٩] رحمه الله :

حَـدَقٌ صحتُّهـا عِلّتُهـا ... ربمـا كان من الـداءِ الـدواءْ
يـانـديمي مرضي من وجْنـةٍ ... ضرَّجَتْهـا بـاللحـاظ الرقبـاءْ
لاتظن الـوردَ مـا يَسقي الحيـا ... إنمـا الـوردُ الـذي يَسْقي الحيـاءْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

لمـع البـدرُ خفيـاً وانجلى ... بمحيـاً هُـوَ والبـدرُ سـواءْ
فعجبنـا لخفيٍ ظـاهرٍ ... ومـع النـور ظهـورٌ وخفـاءْ
غيهبُ الشعرِ طـوى بـارقـةً ... وَجْنَـةُ الحِب لمجـلاهـا سماءْ
فـاذا مـا حَـوَّلتـه نسمـةٌ ... عن سنـاهـا لاحَ للعين الضيـاءْ
ظلمـةٌ تَطْغَى وبـدرٌ ينجلي ... بنسيـج رقْمـهُ وَردٌ ومـاءْ
أوقفَ الحـدسَ شـؤونٌ جُمعتْ ... في قرانٍ حـار فيـه العُرفـاءْ
مستحيـلٌ ذلـك الجمـعُ نَعَمْ : ... يفعـل الله تعـالى مـا يشـاءْ

☆ ☆ ☆

وقال أبو الربيع سليمان بن فياض الاسكندراني[١٠] :

ولَيِّنِ الخصر ثـاني العطف تيّـاهُ ... المستعـانُ على وجـدي بـه اللهُ

---

(٩) القيسراني

محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي ، المعروف بابن القيسراني : شاعر مجيد ، أصله من « حلب » ومولده بـ « عكة » ووفاته في « دمشق » عام ٥٤٨ هـ والقيسراني نسبة الى « قيسارية » في ساحل سورية ، وله ديوان شعر : من الأعلام للزركلي .

(١٠) أبو الربيع سليمان بن فياض الاسكندراني : شاعر مصري من أهل الاسكندرية له شعر ونثر كان تاجراً رحل الى العراق واليمن وخراسان ودخل الهند فمات بها وقيل غرق في البحر سنة ٥١٦ هـ .

عــلامَ يُسْخِنُ عيني وهـــو قُرَّتهـــــا ... ويُسْكنُ الحـزنَ قلبي وهــو مـــأواهُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

إني وعينيـــــــــــه لم أنظر الى أثرٍ ... في الكــون إلاّ ويبــدو لي مُحَيّــاهُ
ما غبتُ في حضرتي والوجدُ يصرعني ... عني ويَــــذْهَــلُ مني الفكرُ لــولاهُ
حيّـــاه مـــولاهُ والأقـــدار تحرســـه ... ودام والقلب مشغــوفـــاً بمعنـــاهُ
وليس يعـذب لي سمتُ العذاب بــه ... من طــور حــاليَ حــالٌ لا وعليــاهُ
أمرٌّ ليلي وعيني فيـــه ســــاهرةٌ ... لم يُطْـــوَ آهٌ ولم يُنْشَر لـــــه آهُ
يَشُفُّهـــا رمـــدُ الهجرانِ بـــاكيـــةً ... والنـــــارُ تلفـــح قلبي حسبي اللهُ

☆ ☆ ☆

وقـال الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن ابراهيم المعري يمدح عمار فخر الملك الحمداني :

لو بان شخصُ المجدِ لم يك في الورى ... إلاّكَ مَنـــه عليـــه عَقْـــدُ الخنصرِ
ولقـــد سمعتُ ومـــا سمعتُ بجـــائـــدٍ ... في عُسْرِهِ يُعطي عطـــــاءَ المـــوسرِ

☆ ☆ ☆

وقد رأيت سيـدي الوالـد[11] المـاجـد ـ قـدس الله روحـه ـ أعطى وهو في عُسرة عطـاء مـوسر عظيم ولم يكن في جيبـه ولا في صنـدوقـه ولا مـائــة درهم

---

(١١) السيد حسن وادي : أبو البركات حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي والد المؤلف ـ رحمها الله تعالى وُلد سنة ١٢٤٥ هـ ولما شب أخذ الخرقة من الشيخ رجب الصيادي وأقامه خليفة عنه واشتهر أمره في خان شيخون الملحقة بمعرة النعمان وانتفع به جماعة كثيرة من الموحدين وله مناقب مأثورة ، وعنايات مشهورة توفي رحمه الله في حلب سنة ١٣١٢ هـ : من خزانة الامداد للمؤلف .

فتمثلت أمامه - طاب ثراه - بهذين البيتين وألحقتها بمدحه بهذه الأبيات الآتيات فقلت :

بذلٌ بلا مَنٍّ وبِشْرٌ طائلٌ ... يَطوي اعتذارَ المُقِلِ المتحيّرِ
وبهاءُ وجهٍ يُبهج الراجي فلم ... يُدْهَشْ ودِرْعٌ من حياءٍ مُبْهِرِ
وشجاعةٌ تَدَعُ الهِزبْرَ بغابه ... في دهشةٍ ومهابةٍ لم تُنكرِ
وعريضُ جود عن جلالةِ فِطرةٍ ... فلأبيضٍ لم تَسْتَنِدْ أو أصفرِ
شيمُ النبوةِ في صميم فروعها ... دُمِجَتْ مُوَرّثَةً لهذا الأزهرِ
أعني أبا البركات فياضَ النَّدى ... وادي المكارم ذا الكمال الأوفرِ
حسنَ الخلال بقيةَ الآلِ الأُولى ... الأطهرَ ابنَ الأطهرِ ابن الأطهرِ
أبتاهُ خذها نُظِّمَتْ بجواهرٍ ... ويقلّ في عليـاك نظم الجوهرِ
واسلم إماماً للطريقة وارثاً ... للسيد الغوثِ الأجل الأكبرِ

☆ ☆ ☆

قلت : ولإبن ابراهيم المعري المتقدم ذكره :

الى الله أشكو حُب أهيف فاتنٍ ... وقعتُ فمالي من يديه خَلاصُ
جرحتُ بلحظي خَدَّهُ وهو جارحٌ ... بعينيه قلبي والجروحُ قصاصُ

☆ ☆ ☆

وآنا ألحقت قوله بقولي :

أغوصُ بطرف العين لُجةَ خدهِ ... وللدُّر في البحر الخطير يُغاصُ
فأغرقُ كلي في الهوى ياليتي ... غريقٌ وللحبِ النفوسُ رخاصُ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي المخصوصة ، وإشاراتي المنصوصة :

وقفتُ على كُنْـــهِ الـزمـــانِ وسرهِ   وغـالطتُ نفسي كالـذي ليس يعرفُ
وأحسنت ظني بـالأُولى مـا عهـدتهم   لحَيْفٍ ولا سيفٍ ورُحتُ أُسَــــوِّفُ
فما ازددت علمـاً بـالأنـام ولم يكن   من النـاس إلاّ كلّ مـــاكنت أعرِفُ
وفي الآدميين انتســـاقـــاً مُجَّــزءً   على كل عصر مَنْ الى البرِّ يُصرفُ
من الســابقين الأمجـدين عصـائبٌ   بزُهر الخصال الغُرّ والفضل تـوصفُ
ولكنهم مُــذْ قَــلَّ دهراً عِـــدادُهم   تنكّرَ منهم في الـــزمـــــان المُعَرَّفُ
تَمَسُّهُم نـــــارُ الشــؤونِ وطيبُهم   يَفـوح لـذا والعـودُ بـالحرقِ يلْطُف
ولـولا هجـوم للـزمـان مُصـارعٌ   لشدُّوا على الكتمان طـوقاً وأسرفوا
دواعٍ من الأيـــــام لادَرَّ دَرُّهــــا   لهـــا مُقَـلُ الآســادِ كالأنف تَرْعَفُ
تَطَـوَّحُ تـأتي بـالعجـائب لم يَـزَلْ   يُحَرِّفهـــا من ذي الليـــالي مُحَرِّفُ
لهـا الـدينُ يبكي والعـزائم ترتـدي   حِداداً وعينُ المجد بـالخزي تُطْرَفُ
فقف صاحِ في سوحِ الثبات مُصابراً   زمـانَـــكَ واتركْ حـــائراً يتـــأَفَّفُ
ورُدَّ جميـــع الأمر لله راضيــــــاً   فبـــا للطفِ فيما لم تُحِـــطْ يتصرفُ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي أيضا هذان البيتان ، وفيهما لطيف بيان :

تكلّم صـــاحِ إن سكت الـزمـــانُ   ولا تنطــــق اذا نطـــــق الأوانُ
فقـد يُطـوى بيــانُـكَ في سكـوتٍ   ويُضمرُ في السكـوتِ لـــك البيـــانُ

☆ ☆ ☆

قـال الإمـام الهمام شيخ الإسلام مولانـا السيـد سراج الـدين الرفـاعي ثم المخزومي[١٢] ـ رضي الله عنه ـ في النسخة الكبرى ما نصه :

(١٢) السيـد سراج الـدين المخزومي : شيخ الاسلام أبو المعالي محمد سراج الـدين الرفـاعي المخـزومي ولـد سنـة

نقل الشيخ علي الشطنوفي من كلام بعضهم ثلاثة أبيات يزعم أنه مدح بها القطب العارف الكبير الشيخ عبد القادر الجيلي - رضي الله عنه - وهنّ في نِعم الممدوح لولا مؤاخذة الشرع ونصهنّ :

بِـكَ الشهورُ تُهَنّى والمواقيتُ   يا من بألفاظه تغلو اليواقيتُ
البازُ أنتَ فإن تفخر فلا عجبٌ   وسائر الناس في عيني فواخيتُ
أشمُّ من قدميك الصدقَ مجتهداً   لأنها قدمٌ شاعتْ لها الصيتُ

☆ ☆ ☆

وقد أساء الأدب بقوله : (وسائر الناس في عيني فواخيتُ) وأخطأ طريق الشرع الشريف ، وغلط في الطباق بقوله : (أشمُّ من قدميك) وقوله : (لأنها قدم) وبالجملة فالشطنوفي - عفى الله عنه - لم يتحقق بالعلوم الشرعية ، ولا بالأذواق العالية التصوفية ، وعجيب أن أبا المظفر الواسطي الشافعي[13] - قدس الله روحه ونفع به - عارض هذه الأبيات الثلاثة بثلاثة أبيات في مدح الإمام الأكبر مولانا السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - فقال وأبدع ونص قوله :

حارتْ بنا سوتك الأعلى النواسيتُ   وَرَدَّدَتْ ذِكرك الأحلى المواقيتُ
وضمن عزك لما قمتَ منكسراً   بازاتُها لك دانتْ والفواخيتُ

= ٧٩٢ هـ بواسط العراق وتخرج بصحبته جماعة من الأعيان ، وكان شيخ الاسلام في وقته علما وعملا وتحقيقا وتمكينا ورياسة ، خدمه العلماء وأخذ عنه الصلحاء وأجرى الله تعالى على يديه خوارق العادات ، وله مؤلفات نفيسة توفي رحمه الله سنة ٨٨٥ هـ وله من العمر ٩٢ سنة : من خزانة الامداد للمؤلف .

(١٣) أبو المظفر الواسطي الشافعي :

منصور بن المبارك بن باسويه أبو المظفر الواسطي الشافعي الكبير القدر توفي سنة ٥٨١ هـ وله شعر رقيق ، وأسلوب رشيق ، لبس خرقة الصوفية من شيخ الجماعة السيد أحمد الرفاعي وكان فانيا في محبته ذاهلا عن غيره رضي الله عنهما : من العقود الجوهرية للفاروقي .

تبـــارك اللهُ لم تَنْطِـقْ وكم رجفتْ برحب حضرتـك البيضُ المصـاليت

☆ ☆ ☆

قـال السيـد سراج الـدين ـ رضي الله عنـه ـ وقـد ذيّلتُ قـول أبي المظفر ـ طاب ثراه ـ بقولي :

يـا أحمـد الآلِ يـا من نـورُ سيرتـه ذابتْ بنـارِ تجلّيـه الطـواغيتُ
للقـوم صِيتٌ ولم يُسمـع لـه أبـداً بغير نهـج النبي المصطفى صِيتُ
يُخفي المعـاني كـلامٌ طـاش معتـدياً والحق يُبـدي المعـاني وهـو سِكِّيتُ

☆ ☆ ☆

قلت : وقد ذيلت أبيات الإمام شيخ الاسلام السراج ـ رضي الله عنـه ـ بقولي :

للحـقِ في حضرة التقـديس تثبيتُ وللحُـداة بـذكر الحـقِ تصـويتُ
وأنتَ يا أحمدَ الأقطابِ شيخ هـدىً تنظّمتْ بمعـانيـه اليـواقيتُ
تبدو معانيك والأبصار شاخصـةٌ دهشاً اذا نـال قـولَ البعض تبكيتُ
يسري كـلامـك في سري ولا عجبٌ كأنني فيـه قَبْـلَ القَبْـل نـوجيتُ
ولا أحُـطُّ عـزيـزاً عن مكانتـه إخـوانك القـومُ سـاداتٌ مصـاليتُ

☆ ☆ ☆

وبعد لمعة نور الفتح بهذه الأبْياتِ الأبِيّاتِ : هدر وابل عنـايـة من سمك فيوض الولاية فمدحت سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ بقصيدة من هذا الوزن والروي والقافية جاءت خمساً وأربعين بيتاً مطلعها :

حَجُتْ لمنعرج الحيّ المصـاليت تـؤمُّ واسـطَ حيثُ الفضـلُ والصيتُ
وحيثُ مَرْقـدُ غـوثٍ ضـاءَ فرقـدُهُ وخطُّـه في صحافِ القدس مثبوتُ

هو الرفاعي سلطان الرجال ومَن ... به يُثَبَّتُ عند الخطْبِ مبغوتُ

ومنها

ينقضُّ أشْهَبَ جَوٌّ حال معمعةٍ ... بها الصقور سواءً والفواخيتُ
ويُرعِدُ الأُفقَ رعباً صوتُ صولته ... في الطارقاتِ وصوتُ القوم مخفوتُ

ومنها

لكل قطبٍ قضى وقتٌ ينوب به ... وتحت نوبة علياهُ المواقيتُ
قد عاهد الله لايبغي به بدلاً ... يانعمَ ذاكَ وحبلُ الغير مبتوتُ
مُطهرُ النفسِ من حُب السوى وعلى ... طورِ الملائك منه قام ناسوتُ

ومنها

غوث به الله أحْيا الدين فهو بمحي الدينِ في القوم معروفٌ ومنعوتُ
وإنْ مَدَّ يدِ الطُّهْرِ الكريم له ... ضجَّتْ به المدْنُ علماً والأماريت

ومنها

ماذا يقولُ لسان الخِبْل في ولهي ... به فمحرومُ حُبِّ الآلِ مسفوتُ
وإن حُب أبي العباس معتقدي ... عليه صافيتُ في الدنيا وصوفيتُ
والظن تُنعِشني روحي بنعشيَ لَوْ ... على اسمه الطيِّبِ المبرور نوديتُ
سقى ثراه من الوسميِّ أعْطَرَهُ ... وعمَّه مسكُ روح القدس مفتوتُ

☆ ☆ ☆

وقد ذكرت هذه القصيدة برمتها في ديواني (براهين الحكم) ومختصره والله المعين .

قال شيخنا القطب الكبير الفرد الشهير السيد بهاء الدين محمد مهدي آل

خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس[١٤] ـ رضي الله عنه ـ في وثيقته الوسطى رأيت في كتاب مناقب الإمام الرفاعي للعلامة الكبير محمد العاقولي الشافعي[١٥] ـ قدس سره ـ بيتين يمدح بها السيد الكبير الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ هما في غاية الحسن : ٢

مولاي يا سلطانَ (أُمّ عبيدةٍ)   يا مَنْ بهمته يُحَلُّ ويُعْقَدُ
كلٌّ له قَدمٌ من الأشياخ في   نَهْج الهُدى وسواك ليس له يدُ

☆ ☆ ☆

ثم قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ فطربت لهذا المعنى وقلت مفتخراً ومبتهجاً :

كثُرت جموعُ العارفين وأنتَ في التعداد واحدُها الأجلُّ الأوحدُ
ألِفُ الإحاطةِ في بدايةِ صفهم   وأعزهم حالَ البروز وأحمدُ
تُجلى بنقطة بدءهِ لصدورهم   أنوار سرٍّ نجمُها لا يُرصَدُ

---

(١٤) السيد محمد مهدي الرواس :

أبو البراهين ، بهاء الدين السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس ، علامة الوجود ، ناصر السنة وخاذل البدعة ، مجدد الشريعة والطريقة ، وُلد في « سوق الشيوخ » بلدة من أعمال « البصرة » ولما شب جاور بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة يشتغل بطلب العلم هناك ثم ذهب الى « مصر » ونزل الجامع الأزهر وبقي فيه ثلاث عشرة سنة حتى برع في كل فن ، وأكرمه الله بالولاية العظمى والمناقب الكريمة وله تصانيف جليلة ، منها : « بوارق الحقائق ـ ط » و « مراحل السالكين ـ ط »و « رفرف العناية ـ ط » و « نور الفتوح ـ ط » و « معراج القلوب ـ ط » و « مشكاة اليقين ـ ط » و « فذلكة الحقيقة ـ ط » و « والحِكم المهدوية ـ ط » و « برقة البلبل ـ ط » و « طي السجل ـ ط » و « وفصل الخطاب ـ ط » وغيرها وله شعر عذب رائق في الشريعة والحقيقة يزيد عن مائة ألف بيت في سبعة دواوين أكثرها المطبوع تتداولها الأيدي توفي ـ رضي الله عنه ـ ببغداد سنة ١٢٨٧ هـ : من خزانة الامداد للمؤلف . ومن الواقع الحالي .

(١٥) العاقولي

محمد بن محمد بن عبد الله الواسطي الأصل البغدادي ، غياث الدين المعروف بالعاقولي : عالم بغداد ومدرسها في عصره ، كان هو وأبوه وجده كبراء بغداد انتهت اليهم الرياسة في العلم والتدريس . من مؤلفاته « شرح منهاج البيضاوي » و « شرح مصابيح البغوي » توفي رحمه الله سنة ٧٩٧ هـ : من الأعلام للزركلي .

يا أيها العلم الطويلُ وصاحبَ العلمين والبدر المنيرُ الأسعدُ
هو أنتَ في مرآة نشأك أحمدٌ   وأبوك في كل الفجاج محمدُ

☆ ☆ ☆

فتبرّكت وتشرفت بإلحاق قوله بقولي :

لك طيَّ جَلْجَلَةِ الولاية رونقٌ   يسمو السماءَ فخارُه لا يُجحدُ
ويدٌ لها ذَلَّ الأُسود ببذلها   فيضُ الغيوبِ لها يَلينُ الجلمدُ
أوليتَ للقوم النَّوالَ أخو يَدٍ   ما كلُّ مَن يولي النوالَ له يدُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف ما ينقل عن الباز الأشهب ، والطراز المذهب العارف الرباني حضرة القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني(١٦) ـ رضي الله عنه ـ أنه وقف عليه مجلسه فأنشد :

لاتسقني وحدي فإني أستحي   أني أشُحُّ بها على جُلاّسي
أنتَ الكريم وما أظنك راضياً   أن يعبر النُّدماءَ دورُ الكاسِ

☆ ☆ ☆

فراج المجلس وصار فيه حال وبركة عظيمة وفتح كبير .

وقد ألحقت قوله بقولي :

فالكاسُ تُترعه القلوبُ مطمطماً   ويُفاض فضلاً في كرام الناسِ

---

(١٦) عبد القادر الجيلاني :

هو الشيخ الجليل والعارف الكبير شيخ الشيوخ أبو محمد محي الدين عبد القادر بن عبد الله بن موسى بن جنكي الحسني ، مؤسس الطريقة القادرية ومن كبار الزهاد ولد في « جيلان » وراء « طبرستان » وانتقل الى بغداد شاباً فاتصل بشيوخ العلم وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر ، وكان يأكل من عمل يده وتصدر للتدريس والفتوى ببغداد . وصنف كتباً في الفروع والأصول . توفي رحمه الله ببغداد سنة ٥٦١ هـ : من الأعلام للزركلي . وطي السجل للسيد محمد مهدي بهاء الدين الرواس قدس سره .

تروي الندامَى عنه أسرار الهوى مطويةً بلطائف الأنفاسِ
لم يُحْرَمِ البركاتِ من فيّاضها إلاّ خؤونٌ ربُّ قلبٍ قاسي
الحمد لله اجتليتُ مُنوَّراً كأسَ الهنا من سادةٍ أكياسِ
ملؤوهُ من خمر النبوة طافحاً بحقيقةٍ طهُرتْ من الأدناسِ
رَقَّتْ وراقَتْ حين رَقْرَق جمعَها بالفرقِ سيدُنا أبو العباسِ
وأفاضها بيد القبولِ فأشرقت كالشمسِ تلمعُ في رقيق الكاسِ
حتى تدلّتْ في تسلْسلِ دورها لأبي المعالي السيدِ الرواس
فشربتُها من كفه مشمولةً بعوارف التأييد والإيناسِ
وفهمتُ من سُكْر القبولِ بصحوتي سر الحضور فغبتُ عن إحساسي
هي أحمديةُ نَشْأةٍ كم مرةٍ هزّتْ بحالٍ حالَ طودٍ راسي
رفع الرفاعيُّ الكبيرُ نقابها فجلا الحبابُ لوامعَ النبراسِ
وروت شؤون الباز عن يد سبطه الرواس فانتثرتْ عصائم ماسِ
الكل قومي إذ أُسَلْسِلُ نظْمَهُم وعقود آبائي الكرام وناسي
هم كسوةُ المجدِ الصميم وبينهم جَدّي أبو العلمين تاجُ الراس

☆ ☆ ☆

ومن نسق هذه الأبيات يعلم الدَّرِبُ الفاضل أن شيخنا القطب الرواس - رضي الله عنه - له من جهة الأُمومة نسبة جليلة تتصل بجده لأُمه الغوث الفرد الجامع الرباني حضرة القطب الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني - رضي الله عنه - ولنا والحمد لله نسبة أُمومة تتصل بالباز المشار اليه - رضوان الله تعالى عليه - وقد أشرت اليها بقولي :

الكل قومي إذْ أُسَلْسِلُ نَظْمهم وعُقودُ آبائي الكرام وناسي

☆ ☆ ☆

ولا بدع فله من الفخر الطراز المذهب ، من يَخْوِلُ بآل الباز الأشهب حفتنا نفحاته ، وعمتنا بركاته آمين .

قال القاضي الكاتب الفقيه الأديب أبو عبد الله بن زيد اللخمي(١٧) رحمه الله :

يـاربِّ صفحـاً وغفرانـاً ومعـذرةً لمـذنب كثُرتْ منـه المعـاذيرُ
يُبكيـه إجرامُـهُ طوراً ويضحكـه رجـاؤُهُ فهـو محزون ومسرورُ

☆ ☆ ☆

وأنا ألحقت قوله بقولي :

يكادُ يقنـط لـولا رحمـةٌ سبقتْ لمثلـه منـك فيهـا الـذنبُ مغفـورُ
وحُبُّـه لرسـول الله يُصحبـه أمنـاً ووجـهُ رسـول الله منصـور
وظُلْمـةُ الـذنب إن طمَّتْ قتـامتُهـا فحبُّ عبـدك طـه المصطفى نـورُ
إرحم لأجـل أبي الـزهراء صـادعتي فلـؤلـؤُ الـدمـع من عينيَّ منثـورُ
واجبر كسير فـؤادي إنني وجِـلٌ عليـك حُسْنُ رجائي الـدهر مقصورُ

☆ ☆ ☆

وقال الفاضل الأديب الباهر حماد البزاعي ثم الحلبي رحمه الله :

تَـوَلَّعي يـا نسمات نجـدِ بـالشيـح في ذاك الحمى والرنْـدِ
لعـل ذيّـاك اذا مـا نفحت يعـود حَرُّ لـوعتي ببردِ

---

(١٧) أبو عبد الله محمد بن زيد اللخمي

أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي ، من كبار علماء الكلام أصله من واسط وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٣٠٦ هـ من كتبه « إعجاز القران » و « الإمامة » وكان على غزارة علمه خفيف الروح ينظم الشعر ويودعه النكتة المستلحة : من الأعلام للزركلي .

أصبو الى ريح الصَّبا لو أنها   تُهدي حديثَ الحي فيا تُهدي
أسألها هل صافحتْ مواقفاً   أوَدُّ لو صافحتُها بخدي
أستودع الله بها قلبي فقد   طال به بعد الفراق عهدي

☆ ☆ ☆

قلت : وأوّل من نظم على هذا المنوال العلامة الأديب الأفضل ابن المعلم الواسطي[١٨] شاعر الرواق العالي الرفاعي وقد قال من قصيدة شهيرة :

تنبهي يا عذباتِ الرندِ   كم ذا الكرى هبَّ نسيم نجدِ

☆ ☆ ☆

وها أنا قد ألحقت قوليها بقولي :

والهفتاه لحبيب راعني   ببعده والحتفُ جُزءُ البُعدِ
خالفني ولم أزل موافقاً   له وجازاني بخُلْفِ الوعدِ
أسكنته قلبي فقدَّهُ من الطـ   ـرف الكحيل بحُسامٍ هندي
ومن عجيب ما أراه إنه   ينقص طوقي ويزيد وجدي
جعلته بالافتخار سيدي   وقمت في حضرته كالعبدِ
ورحت في طور الغرام طارحاً   ميراث تمكينِ أبي وجَدِّي
أعُدُّ إن ما عدَّني عبداً له   ذلك أغلى ما يكون عندي
ورمز أسرار الغرام إنني   به عُرِفْتُ يا هذيمُ وحدي
همتُ به ولم أهم بغيره   بكل قبلِ سابقٍ وبعدِ

---

(١٨) ابن المعلم الواسطي :

أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الواسطي المُزني الملقب بنجم الدين ، المعروف بابن المعلم الشاعر الدرب الأديب الصالح واحد زمانه في الأدب ، رقيق الشعر يكاد شعره يذوب من رقته ، وهو شاعر رواق « أم عبيدة » وبها توفي سنة ٥٩٢ هـ : من العقود الجوهرية للفاروقي .

وسُنَّـــةُ الهُيـــــام تقضي أنني	أفْنى بـــــه حتى أزورَ لحـــدي
وإن أمُتْ على طريـــق حُبـــــه	يكـون ذاك من صريـح سعـدي

☆ ☆ ☆

وقـال الفـاضل أبو عبـد الله المغربي نزيل الشـام ـ رحمـه الله ـ وهـو من رجال القرن السادس :

لي صـــاحب خفيَتْ عليَّ شـؤونُـــه	حركاتُـــه مجهـولـــة وسكـونُـــه
يرتـــاب بـــالأمر الجَلِيِّ تـــوهمـــاً	فـــاذا تيقن نـــازعتـــه ظنـونُـــه
مـــازلتُ أحفظـــه على شَرَقي بـــه	كالشَّيْبِ تكرهـــه وأنت تصـونـــه

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

ومن العجـــائب أنـــه في ريبـــةٍ	مني ويـــأمن مَن يَظَـــلُّ يخـونُـــه
يعمى عن الرقبـــاء تسليمـــاً لهم	وعليَّ شـاخصـةُ العيـون عيـونـهُ
هـــو ذا الجنـــونُ وإنهـــا لكثيرة	فيما تقـول العـــاقلـون فنونـــهُ

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي ، ولطائف إشاراتي :

يـــا حبيبـــاً هـــزَّ قلبي بـــالنـوى	خيفـــةَ الـوصـل وأفنـــاني ببيني
صحـــح النيـــــةَ وارحم لـــوعتي	بينـــك اللهُ على العهـــد وبيني

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم :

قلت لمـــا خفــق القلب جــوىً　　حين شامتْ قرطــكَ الخفــاق عيني
كنت لا تملـــك إلاّ خـــافقــا　　فهنيئــاً لــك ملــكُ الخــافقين

☆ ☆ ☆

وقد خمّستها فقلت :

واعنــائي من معــانــاتِ الهوى　　منــه كم عضبِ على القلب هــوى
يــاحبيبــاً قــد كــواني بــالنــوى　　قلت لمـــا خفــق القلب جــوى
حين شامتْ قرطكَ الخفاق عيني
وانبَرَى دمعي لــوجــدي دافقــاً　　يغلب السُّحبَ طريقي طــارقــا
وحكى القلبُ ابنَ حــالِ صــادقــا　　كنت لاتملــك إلاّ خــافقــا
فهنيئاً لك ملكَ الخافقين

☆ ☆ ☆

ويعجبني قول بعضهم وقد شطّرته :

(لقد كنت وحدي ورد خديك اجتني)　　ومن نشره العطري تبــدو العجــائبُ
فــــذا الــــوَرْدُ شمّي لا أطيبُ بغيره　　(وريقُكَ ورْدي ليس لي عنه حــاجبُ)
(فعــارضني في ذلــك الوَرْدِ عــارضٌ)　　يَــذُبُّ بني الأشــواق عنــه الــذوائبُ
وأصــدرني من ذلــك الليــل راصــدٌ　　(وزاحمني في ذلــك الــوِرْدِ شــاربُ)

☆ ☆ ☆

ولطيف قول بعض الفضلاء :

ولمــا رأيت الفضــل ليس بنــافــع　　ولا قَــدره يعلــو ولا قِــدْرُهُ يغلي
تجــاهلتُ بين النـاس لا عن جهالــة　　ولكن رجــاءَ أن يُقــدمني جهلي

فشطّرتها قائلا :

(ولما رأيتُ الفضلَ ليس بنافع) وأكثر غصّات الكرام من الفضلِ
فلا رحبه ناءٍ ولا سَحَّهُ ندىً (ولا قَدْرُه يعلو ولا قِدْرُه يغلي)
(تجاهلت بين الناس لا عن جهالة) وما أبعدَ الجهلَ المخيّبَ عن مثلي
وألبستُ علمي الجهلَ لا حِطّةً به (ولكن رجاءً أن يُقدّمني جهلي)

☆ ☆ ☆

ولشيخنا القطب الكبير الرواس أبي البهاء السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي(١٩) - رضي الله عنه - يمدح جده قطب الأقطاب الغوث الأكبر الإمام مولانا السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - بهذين البيتين شطرتها كما ترى قال وقلت :

(أبو العلَمين ابنُ الفواطم سيدٌ) له الفضلُ والعرفانُ والمجد يُسندُ
تقدم زُهر الأولياء وانه (على كل سادتِ الرجال له اليدُ)
(تواضع أقطاب البرية كلها) لما قد حباه الهاشمي محمدُ ﷺ
نعم تَقْعُدُ الأفراد عن رتب العلا (اذا قام في دستِ الولاية أحمدُ)

☆ ☆ ☆

ولطيف قول بعضهم :

العِلم في الرجل الحليم فضيلةٌ ونقيضه في الأحمق المطياشِ
مثلُ النهار يزيد أبصار الورى نوراً ويُعشي أعينَ الخفاشِ

☆ ☆ ☆

---

(١٩) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٣٢

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

ومن اقتنى عِلماً ولم يك عاملاً سلك الطريق وكان أعجز ماشي
واذا تجرأ هاتكاً أحكامَه نقضَ العهودَ وعُدَّ في الأوباشِ

☆ ☆ ☆

وقد خمّست بيتي الإمام العارف الكبير أبي يزيد البسطامي[٢٠] رحمه الله وها هو كما ترى :

أثْبِتْ لنفسك رِقَّها لترى بكلّك فَرْقَها
وبجمعها إن تلقها أعطِ المعيةَ حقها
والْزمْ بها حُسن الأدبْ

واحفظ لشيخك عهده واطرح مُرادك عنده
واخضع لربك وحده واعلم بأنك عبده
في كلّ حالٍ وهو رَب

☆ ☆ ☆

وقد شطرت قول بعضهم بناءً على واقعة حال فكان تشطيراً كشطر كأس جريال :

(قد كنتَ عُدَّتي التي أسطو بها) يومَ النزال وناصري ومساعدي
وحسامي الفتّاكَ في يوم الوغى (ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي)

---

(٢٠) أبو يزيد البسطامي :

طيفور بن عيسى : زاهد ، عارف بالله مشهور وله كلام عال في الشريعة والحقيقة . نسبته الى بسطام بلدة بين خراسان والعراق أصله منها ووفاته فيها سنة ٢٦١ هـ وله مقام في ضواحي دمشق بالقرب من قرية سميت نسبة اليه « حوش السلطان » : من الأعلام للزركلي والطبقات الكبرى للشعراني .

(فرُميتُ منـك بغير مـا أمَّلتــه)   وهـزت سيفـاً مسعفـاً للحـاسـدِ
قـد يَطْرِفُ العينَ الحـديـدةَ شعرُهـا   (والمرءُ يَشْرُق بـالـزُّلالِ البـاردِ)

☆ ☆ ☆

ومن كلماتي ، ورشائق عباراتي :

يـامن ولهت بكم والقلب طـار لكم   وسـاد معنى عُـلاكم في سُـويـدائي
أحببتكم فـلاأتم مهجتي غُصَصـاً   وتـارةً يَشْرَقُ الظمآن بـالمـاءِ

☆ ☆ ☆

وما ألطف وأجل قول سيدنا الغوث الأكبر الرفاعي[٢١] رضي الله عنه :

يـا مَن تعـاظم حتى رَقَّ معنـاهُ   ولا تَرَدَّى رداءَ الكِبر إلاّ هـو
تـاهـوا بحبـك أقـوامٌ وأنت لهم   نِعمَ الحبيبُ وإن هـاموا وإن تـاهـوا

---

(٢١) السيد أحمد الرفاعي

أبو العباس ، أحمد بن يحيي الرفاعي الحسيني ولـد في قريـة « حسن » من أعمـال « واسـط » بـالعراق ؛ وانتهت اليه الرياسة في علوم الطريق وتخرج بصحبته جماعة كثيرة وتتلمذ له خلائق لايحصون ، وفي كتاب « عجـائب واسـط » لابن المهذب : إن عدد خلفاء السـيد الرفاعي وخلفائهم بلغ « مـائة وثمانين ألفـاً » حـال حيـاتـه وجمع بعض كلامـه في رسالة سميت « رحيق الكوثر - ط » وهو الذي سُئل عن الرجل المتمكن فقـال : هو الـذي لو نصب لـه سنـان على أعلى شاهق جبل في الأرض وهبت عليه الرياح الثمان ما غيرته ، وكان اذا صعد الكرسي لا يقوم قائما وانما يتحدث قـاعـدا . قلت : وبالجملة : فهو شيخ الاسلام ورحمة الله للخاص والعام ، قطب الأقطـاب ومحيي الملة والـدين ؛ قـال الشيخ مكي الواسطي فيه رضي الله عنه : نمت مع السيد أحمد الرفاعي ليلة في « أم عبيدة » فأحصيت له أربعين خصلة من خصـال المصطفى ﷺ وهذا ما أدركته من ظاهر أحواله فكيف بباطنها .

هيهـات أن يـأتي الـزمـان بمثلـه   إن الـزمـان بمثلـه لبخيـل

☆ ☆ ☆

ولقد أجاد الفيروزأبادي حيث قال فيه رضي الله عنهما :

أبـا العلمين أنت الفرد لكن   اذا حُسب الرجـال فـأنت حـزب =

☆ ☆ ☆

ولي حبيبٌ عـزيـزٌ لا أبـوح بـه ... أخشى فضيحـةَ وجهي يـومَ ألقـاهُ
أغـالـطُ النـاس طُرّاً في محبتـه ... وليس يَعلم مـا في القلب إلاّ هـو
قـالوا :أتَنْسَى الـذي تهوى ؟ فقلت لهم : ... من العجـائب ينسى العبـدُ مـولاهُ !
مـا غـاب عني ولكن لستُ أذكُرهُ ... إلاّ وقلت جِهـاراً : قـل هـو اللهُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي وشتّان بين العال والدون :

يَهـزُني الـوجـدُ أطـواراً لعـزتـه ... وليس يَسْكُنُ هـزُّ الـوجـد لـولاهُ
أحُـطُّ في بـابـه دون السـوى ثِقَلي ... وأجتلي من صنوف الكـون معنـاهُ
وإنَّ آهـاتِ قلبي في محبتـه ... مـا انفـك آهٌ ولم يلحـق بـه آهُ
اذا الهمـومُ احـاطت بي لمـا كسبت ... يـدي أقـولُ منيبـاً : حسبي اللهُ

☆ ☆ ☆

وممـا رواه عنـه الجم الغفير من عظماء أهل العرفـان أنـه قـال ـ رضي الله عنه ـ :

فليتـكَ تحلـو والحيـاةُ مريرةٌ ... وليتـك ترضى والأنـامُ غضـابُ
وليت الـذي بيني وبينـك عـامرٌ ... وبيني وبين العـالمين خرابُ
وليت شرابي من ودادك صـافيـاً ... وشربيَ من نهر الفرات سرابُ
فهـا كبِـدي الحَرَّا عليـك تقطَّعتْ ... وليس قتيـل في هـواك يُعـابُ
اذا صَـحَّ منـك الـود فـالكل هيِّنٌ ... وكل الـذي فـوق التراب ترابُ

☆ ☆ ☆.

= وله تآليف عديدة ، وتصانيف جليلة توفي رضي الله عنه بـ « أم عبيدة » بين « واسط » و « البصرة » سنة ٥٧٨ هـ : من ترياق المحبين لتقي الدين الطوسي ، وربيع العاشقين لعلي بن جمال الحداد ، والنفحة المسكية للفاروقي الواسطي ، وخلاصة الاكسير لعلي الواسطي ، والعقود الجوهرية للفاروقي ، والتاريخ الأوحد للمؤلف .

وقد زاد رُواة هذه الأبيات بيتين لم يذكرهما البعض وهما : وليت شرابي الى آخره والذي بعده .

وقد ألحقت قول سيدنا الإمام الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - بقولي :

اليك رجوع الطالبين بأسرهم وما لهمُ من دون بابك بابُ
اذا مادعا المضطرُ غيرَك رده على عقبٍ صدٌّ وليس يُجابُ
وما للأولى هزُّوا القلوبَ الى السوى اذا خاطبوه في الشؤون جوابُ
ومن أعجب الأشياء والحقُّ ظاهرٌ اذا خضعت للميتين رقابُ
ولم تُجْحَدِ الأسبابُ والحكمُ مُقْنِعٌ وللمبدعِ الحقّ الرجوعُ صوابُ

☆ ☆ ☆

ويعجبني ما أنشده الإمام العارف جمال الدين أبو محمد خطيب الحصن الحدادي الشافعي[٢٢] خليفة سيدنا وملاذنا الغوث الأكبر الرفاعي - رضي الله عنه - يمدح الإمام عليَّ الرضا بن الإمام موسى الكاظم سلام الله ورضوانه عليهما ونصه :

عليٌّ إمامُ الدينِ والرشدِ والهدى محبته دينٌ وما الدين كالْوَرِقْ
سليلُ رجالٍ طَهَّر اللهُ بيتَهم بموساهمُ لو لاذَ فرعون ماغرقْ

☆ ☆ ☆

(٢٢) جمال الدين الحدادي

جمال الدين محمد ويقال له : مقدام ، خطيب « أونية » ابن علي بن محمد بن جمال الدين الخطيب الكبير الحدادي الواسطي الشافعي الطائي ، صاحب المحامد الكثيرة والعلوم الغزيرة ، أصله من « الحدادية » بلدة من أعمال « واسط » مشهورة . سكن أبوه « أونية » وولد صاحب الترجمة بها ونشأ في بيت المجد والعلم والصلاح والتقوى ، ونما ذكره واشتهر أمره ، تخرج بصحبة السيد أحمد الرفاعي وكان أعز أتباعه وأعيان أصحابه توفي سنة ٥٨٥ هـ بـ « أونية » عن تسعين سنة : من العقود الجوهرية للفاروقي .

فألحقت قوله المبارك بقولي :

فَعَنْ نـارِ وجـدٍ فيـه قلبي مقيـد   ودمعي من الشـوقِ المبرّح منطلـقْ
يكادُ وجودي من ولـوهيَ بـالرضـا   بنـار الجـوى لـولا دمـوعيَ يحترقْ

☆ ☆ ☆

ومن دُر كلماتي ، ورقائق إشاراتي ، قولي :

قيـل : بعـد العُـلا ونيـل الأمـاني   نلتَ عيش الكفـافِ لا بـالرخـاء
قلت : هــذا دعــاءُ خيرِ البرايــا   وأبـو الآل مُستجـابُ الـدعــاء

☆ ☆ ☆

ويعجبني قول الفاضل الكبير الشيخ أبي الفتح علي بن محمد البستي[٢٣] رحمه الله :

لا تلمني على اضطرابِ تراهُ   في كتــاب أخطــه أو قريضِ
فـأعـزُّ الأشيـاءِ عنـدي وجـوداً   صِحَـةُ القـول في الـزمـان المريضِ

فألحقت قوله بقولي :

تَبعثُ العينُ للتــأسف دمعــاً   إذ ترى في السّماك لَـوْثَ الحضيضِ
وترى الأسفلينَ تسمـو مقــامــاً   وَطغـام الـورى بجـاهٍ عريضِ
فكَـخٍ للـزمـانِ قـد صـار مُغْرى   عن عنــادٍ محضٍ بحبِّ البغيضِ
هـذه يــا هـذيمُ أطـوارُ وقتٍ   دفعتــــه الأغراضُ للتعريضِ

☆ ☆ ☆

---

(٢٣) أبو الفتح علي بن محمد البستي :

علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي أبو الفتح : شاعر عصره وكاتبه ، وُلد في بست واليها نسبته وكان من كُتّاب الدولة السامانية وفي كتب الأدب كثير من نظمه وله ديوان شعر مخطوط وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها : زيادة المرء في دنياه نقصان ، مات غريبا في بلدة أوزجند ببخارى سنة ٤٠٠ أو ٤٠١ هـ : من الأعلام للزركلي .

ويعجبني قول الفيلسوف الفاضل أُميّة بن أبي الصلت المصري[٢٤] وهو :

حسبي فقد بَعُدَت في الغي أشواطي ... وطال في اللهو إيغالي وإفراطي
أتلفتُ في اللهو عمري غير متعظٍ ... وجُدْتُ فيه بوَفْرٍ غير محتاطِ
فكيف أخلصُ من بحر الذنوب وقد ... غرقتُ فيه على بُعْدٍ من الشاطي
يا ربِّ ماليَ ما أرجو رضاكَ به ... إلاّ اعترافي بأني المذنبُ الخاطي

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

أبكي لما مَسَّني من زلة عظُمتْ ... فَجرْتُ ما بين تفريطي وإفراطي
ورُحتُ في طيِّ حالٍ ضمن غلغلةٍ ... ظلماءَ منسوجةٍ لا نَسْجَ أمراطِ
أشكو الى الله أوزاري ومثقلتي ... وعُسرَ دَرْبي وتخليطي وأغلاطي
مولاي يُسعِفُني والذنبُ يُثقلني ... وحار قومٌ بإعلائي وإسقاطي
والحمد لله إني من بني قمرٍ ... من الفواطم من أعيانِ أسباطِ
أعني الرفاعيَّ مَنْ آيات حكمتِهِ ... أزرتْ بحكمة سقراط وبقراطِ
ونظُمتْ من عقودِ القدس سلسلةً ... أفلاذها لم تُشاكل فُلْذَ أسفاطِ
أعلو بهمته عن وهدةٍ سَفَلَتْ ... بهمتي ويصونُ العونُ أرهاطي
كذاك آلُ رسولِ الله نفحتهم ... تُدني لصدر العُلاَ مَبْعُودَ أشواطِ
يارِبِّ بالمصطفى والآلِ خذْ بيدي ... واحْلُلْ بلطفك أعقادي وأرباطي

☆ ☆ ☆

---

(٢٤) أمية بن أبي الصلت المصري

أمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني حكيم أديب ، في شعره رقة وجمال . من أهل « دانية » بالأندلس ولد فيها ورحل الى المشرق فأقام بـ « مصر » ثم انتقل الى « المهدية » من أعمال المغرب وبها توفي سنة ٥٢٩ هـ من تصانيفه « الحديقة » و « الوجيز في علم الهيئة » : من الأعلام للزركلي .

ومن شرائف منظوماتي ، ورقائق كلماتي ، في مدح سر الوجود نبينا الأعظم ﷺ قولي :

فؤادٌ لفقدِ الظاعنين عليلُ ... وآهٌ لهاتيك الوجوه طويلُ
ودمعٌ كهطّال السحائب لم يزلْ ... على الخد مني بالولوه يسيلُ
يُذكّرني أحباب قلبيَ خاطري ... فيعظُم من قلبي الجريح عويلُ
أقول عسى تشفي الخواطرُ غلتي ... وهل يشتفي بالخاطرات غليلُ ؟
كأن جميعَ السانحات لفكرتي ... لهُنَّ بجمرِ للفؤادِ سبيلُ
أُغالطُ ما يبدي الخيالُ لعلَّ أن ... أراهُ بقلبي للسكون يميلُ
وأطوي على وجدٍ وأنشر لوعةً ... تبرّي وحِمْلُ الاصطلام ثقيلُ
ألاَ أيها الركبُ المجدُّ عشيةً ... وقد طار منه سائقٌ ودليلُ
ترفَّقْ بقلبٍ حشوُهُ الهمُّ والعنا ... وجسمٍ له هذا الهباءُ مثيلُ
عليَّ كثيرٌ بُعْدُ قومِكَ طرفةً ... ومِنّي عليهم ذا الولوعُ قليلُ
وحقٌ هواهم والليالي التي انقضتْ ... لديهم وربي شاهدٌ وكفيلُ
يَمُرُّ عليَّ الليلُ لم أعرفِ الكرَى ... وصبري قليلٌ والغرامُ جزيلُ
أُناجي بأسقامي النجومَ كأنما ... لناري لَظَى ذاتِ الوَقُود عديلُ
ويُرْبِعُ من دمعي المسلسل رَبعُهم ... ورَبْعي لأجّاج اللهيبِ مَحيلُ
فيبكي لآلامي خليلٌ مُلايمٌ ... ويرحمني مما أُكِنُّ عذولُ
وقائلةٍ : أسْرَفْتَ بالأنّ والبكا ... وفي الحب ذو الإسراف فهو بخيلُ
ألاَ فَذَريني يا هذيمُ فللهوى ... زلازلُ منها الراسياتُ تزول
وإن خليباً يجهل الحبَّ مُهْمَلٌ ... وما بسواءٍ عالمٌ وجهولُ
الى الله أ.كو ما أُلاقي من النوى ... فشخصيَ من وهن البعاد نحيلُ
لقد حيرتني الحادثات بصدْعها ... فصبرٌ على ما قد لقيتُ جميلُ
ومالي سوى جاه النبي ﷺ وسيلة ... يُعَزُّ بها رغم الزمان ذليلُ

نَبيٌّ حباهُ اللهُ جاهاً ورفعةً ووجهاً لـه فيما يرومُ قبولُ
هـدًى بِهُداه الناسَ مولاهُ رحمةً فطـالعـه للصالحات دليلُ
ومنـه سَرَى سرُّ الفتوح وإنـه بـه اللهُ يُعطي المرتجَى ويُنيلُ
تباهَى بـه قبل البروز مفاخِراً صفوف المعالي آدم وخليلُ
لـه الشرفُ اللماعُ في قِمّةِ العُلَى إنِ اسودَّ من وَضْح النهار قبيلُ
وعِرْقٌ كريمُ النبعتين مطهَّرٌ ومجـد بضِئضيءِ الخليل أثيلُ
لـه المددُ المحضُ الذي لم يَفُز بـه من المرسلين الطاهرين رسولُ
لـه بدرُ سعْدٍ شمسه قـطُّ لم تغبْ وقَـدرٌ بحزب الأنبيـاء جليلُ
تحاضرهُ الأرواح وهـو لصونِها حُسامٌ إلهيٌّ المضـاء صقيلُ
قويٌّ بعون الله في الخطب عـزمُه وعـزمُ صروفِ الحادثاتِ كليلُ
ولا شكَّ بعد الله جلَّ جلالـه اليـه أُمور العالمين تؤولُ
بـه انجابَ عن وجه الحوادث ليلُها ومنـه استنارت أرسُمٌ وطلولُ
وبالعلم والعدل الذي قد أفاضه تفاخَرَ جيلٌ في الوجود وجيلُ
أتـانـا بشرعٍ كلـه الحقُّ والهُدى فما عنـه إلاّ للضلال عُدولُ
فكل تقيٍّ عـاملٍ بنصوصه لـه لمذاق السلسبيل سبيلُ
أعارَ وجوه الفضل من نور وجهه ضيـاءً لـه وجهُ الصباح خَجيلُ
وأحيَ القلوب الغُلفَ بعد مماتها وبالدين طابت أنفُسٌ وعقولُ
يُرَجّى غداً واليومَ للقصدِ والمنى ومـا خاب آنـاً في حِماهُ نزيلُ
اليك أبا الزهراء يا عِلّـة الورى أطير بقلبي والهمومُ تصولُ
بمذموم أفعالي وأنت محمّدٌ عليـك أُرجّي المكرماتِ دخيلُ
تـدارك رسولَ الله فقري وفـاقتي فجاهُكَ مقبول وأنت وصولُ
وأوفِرْ عطائي منك إني عويجزٌ عليَّ من الـوزر الثقيل حمولُ
ولاحِظْ بعينِ الفضلِ وارحم قرابتي فـإني على عيبي اليك أؤولُ

وأنت حبيبُ الله سيــــد خَلْقــــه وأفضـلُ من يَرْجـو نـداهُ فضيـلُ
تهادَتْ لـك الأرواحُ من كل حضرةٍ وأمَّتْـــكَ من زُهْرِ القلـوب قفـولُ
بروحي غُبـار مَسَّ نعليـك إنــه عن الروح عنـد العـارفين بـديـلُ
فكلــك إحســانٌ وخيرٌ ورحمــةٌ وجــودٌ وبرٌّ وافرٌ وجميــــلُ
ومــا الفضــلُ إلاّ مــا إليــك انتماؤهُ وإن لم يكن يُنْمَى اليــك فُضـولُ
فللأنبياء الزُّهر منك استفــاضــةٌ وعنـــك روايـــاتٌ لهم ونقــولُ
بك الكل قِـدماً في الصِّعاب توسَّلوا وأسعف هـاتيـك الحبـالَ وصـولُ
ولـلأوليـاء الغُرّ بــابــك ملجـأ بــه حُـزبهم حتى المعــادِ يَقيـلُ
فتَلحـقُ منهم عـــاجـزاً وتُثيبُهُمْ نـوالاً وأعثـــارَ الكرام تُقيـــلُ
نــدبتــك للجُلّى وأنتَ أجـلُّ مَنْ يُحـاضِرُهُ في الصـادمـاتِ وَجـولُ
بجـاهـك عنـد الله دارك عـوائقي اذا انحـازَ عن درب الخليـل خليـلُ
ولا تُهملنْ من أهـل بيتـك مـذنبـاً فــأنت قـؤول صــادقٌ وفعـولُ
وكم خـامـلٍ لاحظْتَـه بعنـايـةٍ فراح بـــأمراطِ الظهـور يَجـولُ
وإنـك يـا روحَ البريَّـاتِ مَـوْئِـلٌ اذا طـاشَ قـالٌ في الخطوب وقيـلُ
أُنـاجيك محتـاجـاً وعَضْبُ عـزيمتي بــه من دواعي النـازلاتِ فُلـولُ
فصِلْ حبـلَ آمـالي بجودك واكفني بجـاهـكَ همــاً للشـداد يُـزيـلُ
وصلى عليـــــك اللهُ والآل كلهم وصحبــكَ مـارشَّ الريـاض سيولُ
ووارثــك الغـوث الرفــاعي مَنْ لــه مـددتَ يـداً هــامَ السِّماك تطـولُ
فـآيـاتـك الكبرى ودولــةُ قُـدسهـا لهــا غُرر طـولَ المـدى وحُجـولُ

☆ ☆ ☆

وما أشرف قول سيدنا الإمام السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ متوسلاً :(٢٥)

(٢٥) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٣٢ .

إلهي بمطويّ الشؤون التي تُبدي رقائقَ طِرزِ الكونِ في القرب والبُعْدِ
بجلجلة القرآن والحِكَم التي تضمّنها والأنبياء أُولي المجدِ
بأحمدهم طه وبالآلِ كلهم وبالصحب أصحاب الوقوف مع العهدِ
بزَمْزَمة الأملاكِ بالصّدق والوفا وتلوينِ ما يُخْفي المولّهُ أو يُبدي
بآثار أسرارٍ نشرتَ بها الخفا وأتْرعت فيها أهلَ ودّك بالوجدِ
بما قام في نظم الكيان وحُكْمِه من النَّسجِ في التركيبِ والجوهرِ الفردِ
بهزَّةِ أطوارِ المحبين في الهوى بلوعة أربابِ الثباتِ لدَى الحدّ
بسيلِ دُموعِ العاشقينَ وأنّهمْ وحَنّ قلوب العارفين ذوي الزهدِ
بكل عظيم وافقَ الحقّ خاشعاً ولم يلتفتْ يوماً لعمرٍو ولا زيدِ
بكل فتىً يُحيي الظلامَ مولّهاً يُسَلْسِل بالوجد الدموع على الخدّ
بأهل الخضوعِ السائرين لربهم بصدقٍ عَلا عن ما يُلجلجُ في الوغدِ
بساداتِ ساحاتِ الطريق كبارِه صدورِ الحمى في كل حَلٍّ وفي عقدِ
بسيدِ رُكبانِ الحقيقةِ أحمدٍ إمام الهدى مَن قال في حالة البُعدِ
رئيس كبارِ الأولياءِ وتاجهم وأوحدهم في العلم والفضل والرشدِ
بإخوانه أهلِ القلوبِ جميعهم رجالِ التقى المُوفين للحق بالوعدِ
تكرَّم وحُفَّ المسلمينَ برحمةٍ إلٰهيةٍ واشمل بها عبدك المهدي
وصلِّ على المختار من آل هاشم صلاةً بحُكم الفضل تعلو عن العدّ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول سيدي وملاذي الإمام السيد المهدي ـ رضي الله عنه ـ بقولي هذا :

دَعَوْتكَ ياربي بجاهِ محمدٍ ﷺ إمام النبيينَ الأُولى الوافر الحمدِ
بسرّ كتابٍ قد أتانا بنصه حبيبُكَ يَهدي للحقيقة والسَّعدِ

ببضعتــــه الــزهراء والآل مَن لهم جليلُ الفخـارِ الطـائرِ الصيت والمجدِ
بـأصحـابـه الأعيـانِ سـاداتِ ديننـا رجالِ الهدى والحقّ والصدقِ والزهدِ
وبــالتــابعين الكاملينَ جميعهم وأتبـاعهم والنـاهجينَ على العهـدِ
وبــالأوليــاء الـواصلين وغـوثهم هِزَبْرِ الوَحَى من قال في حالة البُعدِ
بوارثـه الصيّادِ ذي الفضل والنّدى وذُخري بهاء الـدين بَضْعَتِـه المهدي
بكل العبــاد الصــالحين ومَنْ لهم وقوفٌ بسُوح الصدق بـالجد والجهدِ
بمَنْ طرحـوا الأكـوان عنهم تحققـاً بحُبكَ يـا مَنْ تُفرغُ الرشـدَ في العبدِ
بـأهلِ التقى والعلمِ والـوجدِ والصفا بـأهـلِ قيـام الليـلِ والجَـد والجِـدّ
بمن أخلصـوا النيـاتِ فيـك وسلسلوا دموعاً جرتْ كالسيل منهم على الخدّ
بمن أنت ترضـاهم وشـأنهمُ الرضـا ومَن طهّروا الأسرارَ في الحَل والعقدِ
تكرّم على العبـد الضعيف أبي الهدى بقربٍ فقد أعْيَتْهُ صـادعـةُ البُعـدِ
وصلِّ على المختـار عبدك مـا ازدهتْ برشٍّ لطيف الـوبلِ نـافحـةُ الـوَردِ
وآلٍ وصحبٍ والرفــاعيّ أحمــدِ إمـام صنـوف الأوليـاء أبي اليـدّ

☆ ☆ ☆

وعذب قول شيخنا وسيدنا الإمام الرواس(٢٦) - رضي الله عنه وعنا به -

بواقعة محمدية :

لــك ســار اليـومَ يـاـمختـارُ شُعْثُ وبهم من بُعْــدِهم حَــزَنٌ وبَثُّ
فــأغثهم بحنــانٍ مُسْعِفٍ إنمــا أنت لخلــق الله غــوثُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله المبارك بقولي :

---

(٢٦) تقدمت الإشارة الى ترجمته برقم ٣٢ .

يـا رسـولَ اللهِ يـا شمسَ الهـدى　　لـك روحي ثـابـةَ العـزم تحثُّ
فتـداركني بعـزمٍ غَيْثُـه　　لا وأيم الله مـا ضـاهـاه غيثُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي ، ورقائق تغزلاتي ، قولي :

ألاَ يـا لَيِّن الأعطـافِ يـا مَنْ　　تَطَيْلَسَ رونـق اللطف البـديـع
فرائـدُ حُسنِـكَ الفتّـان حـاكتْ　　بسـاطَ الـزَّهرِ في زمنِ الربيـع
جمالُـكَ صـانـه معنىً جـلالٌ　　لطـورك قـامَ بـالطِّرز المنيـع
فتعشقـكَ العيـونُ مـع انـدهـاشٍ　　لبـاهر ذلـك الطَّـوْرِ الرفيـع
فكم عينٍ بهـا لـك فَرْطُ عشـقٍ　　وكم للـدهش من قلب وجيـع
وهـذا شـاخصٌ لسنـاك وجـداً　　وهـذا للمهـابـة كالصريـع
تفرَّد كلُّ ذي حُسْنٍ بـوصفٍ　　عـلا ونراك تُجْلَى بـالجميـع

☆ ☆ ☆

وحسن قول بعضهم :

اذا سـاء قلبُ المرء سـاءتْ ظنونـهُ　　وصـدَّقَ مـا يبـدو لـه من تـوهمِ
وعـادَى محبيـه بقـولِ عـدوِّهِ　　وأصبـح في ليـلٍ من الشـك مُبْهَمِ

☆ ☆ ☆

ولبعض الأسباب فإني قد باريت هذا القائل بشيء من حكمياتي فقلت :

أرَى الخِبَّ لم تُرْبَـطْ ببِرٍ حبـالُـه　　ولم يَتَهيّـأْ فِطْرَةً للتصرمِ
وإن رحتَ بـالإحسان تثلج صدره　　يكافي بما تـأتي بـه أمُّ مِلْـدَمِ[٢٧]

---

(٢٧) أم ملدم (الحمّى) . محققه

وكم خـــائنٍ لم تعرف الخيرَ نفســـهُ | يُــؤَخَّرُ عن طيشٍ خليــقَ التقــدمِ
وينعت شخصــاً ربَّ فضـل محمــداً | كريم خـلالٍ بـــاللئيم المــذممِ
وقــد تُبرز الأيــامَ كل عجيبــة | خَفَتْ بصدور الناس في طي طِلْسَمِ
ترى الجاهـلَ المفتـونَ في طـور عالم | يميسُ بمرطٍ بـــالمبــاهــاتِ مُعْلَمِ
وتُبصرُ من أهـل الغـوايـةِ ســاقطـاً | سَمَــا سِــدْرةَ العــزِّ المنيــع بسُلَّمِ
ورُبَّ قُريشيٌ لفقـــدانِ قرشـــه | يُهـــانُ ومــأفــونٌ يُصــانُ لــدرهمِ
ويُشتمُ ممــدوحُ الشمائـل سيــدٌ | ويُنعتُ عِلْـجٌ بـــالعــزيــز المكرمِ
ضحكتُ على الـدنيا فـإن شـؤونهـا | ولـــو هي تُبكي عُرضـــةٌ للتبسُّمِ
تُقيم متــاع الرّجـل في الرأس ضِلَّـةً | وتُــودِعُ سهم العينِ للجهــل في الفمِ
دعيني أعَلْوَى من عليـلٍ مـزاجهـا | فـديمتُهـا الـوطفـاءُ تُمطِرُ بـالـدَّمِ
ومن مُضحكاتِ الدهر وهي عجائبٌ | وقــوفُ جهــولٍ في مقـــامِ مُعَلِّمِ
ومـــا العلمُ إلاّ بـــالتعلم يُقْتَنَى | ومـــا الحلمُ إلاّ حـــاصـلٌ بـــالتحلُّمِ
وإن أحرز الإنسان بـالطبع شيمـةً | فتهـــذيبهـــا بـــالعلم دون تلعثُمِ
ومن سـاء في حُكم الطبيعة حـالُـه | فليس لــــــــــه إلاّ زفيرُ جهنمِ
نظمتُ على رغم الطبيعـــة سيِّئـــاً | ليَحْسُنَ في سلكي فلم يتنظَّمِ
ورَبَّيتُـــه في يُتْمِـــه بعنـــايـــة | فكانت كما ربَّى الأميرُ ابنَ مُلْجِمِ
رجعتُ لحكم الطبع فـالطبعُ غـالب | وفقـــدانُ حُكم الطبـع غير مُسَلَّمِ
ولكن لشـأن العلم في العقـل قـدرةٌ | تُقيم بربِّ البخـــل طـــوزَ التكرُّمِ
ولن يقلب العلمِ الترابَ بطبعـــه | وفطرتـــه تِبراً بمحض التـــوهمِ
فصاحبْ أُخَيَّ الصالحين أولي النُّهى | وخَلِّ صديـق الـوقتِ للوقتِ واسْلَمِ
وسلِّم لمــولاك الأمــور بحكمــةٍ | فمن هَـــدَّ رُكنَ الشرع ليس بمُسْلِمِ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف أفكاري ، ورقائق أشعاري ، قولي :

قـد رَقّ كالمـاء القَراح طبـعُ مَن أحببتُـه لُطفـاً وقلبُـه قَسَـا
كفرقِـه وشَعْره أطـوارُه مُبرزةً وضح الصبـاحِ في المسـا
يَضْحَـكُ إذ أبكي وشـأنيَ الرضـا عنـه اذا أحسن يـومـاً أو أسـا

☆ ☆ ☆

قال المناوي ـ قدس الله روحه ـ في شرحه على (الجامع الصغير) : قال ابن السمعاني : سمعت إمام الحرمين يقول : كنت بمكة فرأيت شيخاً من أهل المغرب يطوف ويقول :

تمتـعْ بـالرُّقـادِ على شمالٍ فسوف يطـولُ نـومُـكَ بـاليمينِ
ومَتّـعْ من يُحبـك من تَـلاقٍ فـأنتَ من الفراق على يقينِ

☆ ☆ ☆

قلت : فأحببت تشطير هذين البيتين اللطيفين فقلت مُشطرا :

(تمتّـعْ بـالرُّقـادِ على شمالٍ) وإن تـك أنتَ من أهـل اليمينِ
ونم مُتفكراً أو مُسْتَفِـزاً (فسوف يطولُ نومُـك بـاليمين)
(ومَتّـعْ من يُحبـك من تـلاقٍ) وخَـلِّ خـلائـق الخَشِنِ الضنينِ
وكن بـالقرب سمحـاً عن صفـاءٍ (فـأنت من الفراقِ على يقينِ)

☆ ☆ ☆

وحسن قول بعضهم :

لا تقطعنْ عـادة برٍّ ولا تجعـلْ عقـابَ المرء في رزقـهِ
فـإنّ أمر الإفـكِ من مسطحٍ وعـوتبَ الصِّـديـقُ في حقـهِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قول هذا القائل بقولي :

ولا تَرَ الكاذبَ خِـــلاً فقـــد يُعرف دينُ المرء من صـــدقـــهِ
وسَيِّءُ الأخـلاقِ جـانبـه فـالإنسـانُ محمـولٌ على خُلْقِـهِ
فصحـح النيـةَ فـالصـدقُ والإخـ ـلاصُ للرحمن من حَقـهِ
قـد أوجب الإخـلاصَ بـاري الـورى في عمـل البرِّ على خَلقـهِ
واعرِفْ عروقَ النـاس فـالمرءُ قـد تُطْـوَى بـه الأخـلاق من عِرقِـهِ
يُنْشَرُ حُكم العِرقِ مهما انطـوَى من قـدمِ المرء الى فَرقـهِ
فَيُبْرِزُ الغـامضَ ممـا خَفي كأنَّـه يرويـه من نُطْقِـهِ

☆ ☆ ☆

ومن غُرر منظوماتي ، ورقائق كلماتي ، قولي :

غلب الكأسُ على طَـوْر النـدامى فتـداعَـوْا حين شمُّوهُ هُيـامـا
رَقْرَق الشمُّ لهم نـافحـةً منـه أعطتهم هُيـامـاً واصطلامـا
وَفَـدَ السـاقي بـه الفجرَ وقـد نَبَّهتْ نفحتُـه قـومـاً كرامـا
هـزَّهم من غير شُرْب عطرهُ فقضوْا سُكراً ومـا ذاقـوا المدامـا
آهِ مـا أشرفهـا من شمَّـةٍ بـالشذا الفيّاحِ قـد تُحيي العظـامـا
نُشِرت من نَشرِ كأسٍ خمرُه غيرُ معصـورٍ ولا خـامر جـامـا
حـانُـه الحـان الإلٰهيُّ الـذي يُترع الكـاسـاتِ برداً وسـلامـا
يـاخليليَّ وقلبي في الهـوى مُرْغَمٌ أشبعـه الحبُّ غرامـا
أسعفـاني إنني في لـوعـةٍ شَغَفَتْ روحي قعـوداً وقيـامـا
واذكراني قُربَ أعتـابِ الحمى فَلَكَمْ قلبي لـديهـا يترامَى
لي بـذيّـاك الحمى حِبٌّ سما ذيلُـه عن رتبـة البـدر مقـامـا
دونـه البـدرُ سنـاءً وسنـاً وعن الألبـاب كم يجلـو الظـلامـا

تسجـد الشمسُ لــه إذ ينجلي مُشرقـاً رُحْ يـا عـذولي وتعـامَى
قسماً بـالركن من سـاحتـه وبمن قـد بلَـغَ البيتَ الحرامـا
أنـا لا أُلفَتُ عن أعتـابـه أبَـدَ الـدهرِ ولـو ذُقتُ الحِمامـا
ولكم نُحتُ لعـالي بـابـه ببكاءٍ فيْـه أبكيتُ الحَمامـا
بـدأ الحـظ بـه وجـدي عسى حُبـه يُجْعَـلُ للعمر ختـامـا

☆ ☆ ☆

ويعجبني جـداً قـول الفـاضـل الكبير ، الأديب النحرير أبي إسحـاق ابراهيم بن عثمان الكلبي الأشهبي المعروف بالغزي(٢٨) أحد فضلاء الدهر رحمه الله تعالى وهو :

الفضـلُ فضـلانِ طَبْعيٌّ ومكتسبٌ وقَلَّ مـا اجتمعا في المرء واصطحبـا
من لم يكن أدبُ الأخلاق يصحبـه فـلا تعـدَّنَّـهُ مِن جملـة الأُدبـا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وتـارةً يُصلـح الطَّبْعيَّ مكتسبٌ والطبعُ يغلب مـا قـد كان مُكتسبا
فصـاحبِ القـومَ أهـلَ الفضـلِ وارضَ بهم فـالمرءُ لا شـك في أعـدادِ من صحبـا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الغزي المتقدم ذكره :

أفـدي الـذي ضمني والبينُ يَخفرهُ ولم يَرُعْـهُ الخنـاءُ الظهر والشَّظَفُ

---

(٢٨) ابراهيم بن عثمان الأشهبي

أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي الغزي أحد فضلاء الدهر شاعر مجيد من غزة بفلسطين مدح أل بويه وغيرهم ورحل الى العراق وتوفي بخراسان سنة ٥٢٤ هـ ، وله ديوان شعر مخطوط ، من الأعلام للزركلي .

اذا تعـــانـق مَيّـــادٌ ومعتـــدلٌ   كانـا كالاضْلاعِ فيهـا اللامُ والألفُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي

ورُبَّ حبٌّ لئيمِ الطبـــــع ملتحفٍ   ثـوب التعـالي ولم يَشْمَخْ بـه الشرفُ
لكنّهـا هنـة في النفس عن غرضٍ   لا للصيـــانـــة والأخـلاقُ تختلفُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قوله في بعض الوزراء من رجال عصره :

من آلةِ الدسْت لم يُعطَ الوزير سوى   تحريـــك لحيتـــه في حـــالِ إيمـاءِ
إن الــوزير بــلا أزْر يُشَــد بـــه   مثـل العَروضِ لـه بحرٌ بـلا مـاءِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

هي الـــوزارةُ وِزْرٌ أو مُـــوازرةٌ   والفرق يبـدو كوضْح الشمسِ للرائي
إن سُدّدتْ بصنيـع الخير نـافعـةً   للنـاس سـالمـةً من كل شنعـاءِ
ولم تُـدنَّسْ بنهب المـال صَيّنـةً   بـالـدينِ والعقـل عن مقبـول آراءِ
فتلـك كالأزْرِ للسلطـان تحرُسُـه   يـومَ الملمـــة من أغراض أعـــداءِ
وإن تكن آلـــةً للبلـع مَلْعَبَـــةً   للخصم فخـــاً لإفســادٍ وإيــذاءِ
فتلك وِزْرٌ وأدنى النـاس حـائزُهـا   لـو للسماء سما فـالإست في المـاءِ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قـول الإمـام الهمام جمال الـدين الحـدادي الشـافعي خطيب الحصن[٢٩] يمدح الإمام الغوث الأكبر سيدنا السيـد أحمد الرفاعي الحسيني رضي

(٢٩) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٤٣ .

الله عنها والمادح خليفة الممدوح عطر الله مرقده العالي :

إليك ابْنَ بنتِ المصطفى من قريحتي ... تُـزفُّ بـدورٌ بـالمعـاني كـوامـلُ
جلتها سماء الفكر في مدحك الذي ... تُعطر منـه في الـوجـود المحافـلُ
فـإنـك شمسٌ مـالمجلاكَ حـاجبٌ ... وإنـك بحرٌ مـالمجراك سـاحـلُ
فـلا طير إذ تُـدعى ولا أنت ضيغمٌ ... بلَى أنت إنسـانٌ من الآل كامـلُ
نراكَ نظـامَ العصرِ بـل روح أهلـه ... وتسقـطُ بـالفرض الصريح النوافـلُ
أبـو العلمين الغـوثُ أحمـدُ أنت في ... بني المرتضى تـالِ حكتـه الأوائـلُ
لإن رام أقـوام سُمُـوِّك فـاتَّئِـدْ ... عن البـدر قسراً يقصُرُ المتنـاولُ
تُسَلْسِلُـكَ الأفرادُ من كل جـانبٍ ... اذا ذُكِرَتْ للطيبين السـلاسـلُ
وإخـوانُـك الأقطـاب لكن بَنُوْهم ... فَـوابلُهم طـلٌ وطلُّـكَ وابـلُ
وأنت الرفـاعي الرفيـع قبيلُـه ... بـآل عليٍّ إذ تُعـدُّ القبـائـلُ
فيـا عَلَم الله الـذي ثـوبُ مجده ... لأطـوار كُبّـارِ الأئمـة شـامـلُ
خَلَفْتَ عليـاً والحسينَ وصنـوَه ... فـإرثـك عنهم وافرُ الحـظِّ طـائـلُ
نَرَى الـدهر غِمـداً أنتَ والله نصلُـه ... ومـا قيمـة الأغمـاد لـولا المنـاصـلُ

☆ ☆ ☆

فتشرفت وألحقت قـولـه بقـولي مـادحـاً الحضرة الأحمديـة العليـة ، أبّد مجدها بالعز الصمداني رب البرية ، آمين :

تمسَّكتَ بـالمـولى وخلَّيتَ غيره ... (ألاَ كلُّ شيء مـاخلا الله بـاطـلُ)
وقـد قمتَ يـا شيخ العواجـز قـادراً ... بربِّـكَ والمـولى لـذي الصدقِ كافـلُ
وأيَّـدتَ شرعَ المصطفى بطريقـة ... تمسَّـكَ فيهـا للنجـاح الأفـاضـلُ
وأصبحتَ عن شمس الرسـالـة نـائبـاً ... فحبلـك مـوصـولٌ وقلبـك واصـلُ
اذا صح لي من كأسكَ العذبِ شَرْبَةٌ ... فـأهـونُ شيء مـا تقـول العـواذلُ

فخـــاركَ في بيت النبـوة أبلـجُ   وعـزمُـكَ فعّـالٌ وكفّـك بـاذلُ
وأنتَ لنـا يـا ابنَ النبي وسيلـةٌ   اذا أخطـأتْ نهجَ الصواب الوسـائلُ
ترفَّعتَ عن مثـلٍ بعصرك يُرتجى   أجَـلْ عـزَّ في نظم العصـور المماثـلُ
وفي حـالـة البُعد انجلتْ لـك دولـةٌ   من القُرب لم يقربْ لـديها مُطـاولُ
لثمتَ يمينـاً تشتهي الرسـلُ لثمها   وقد شـوهـدت جهراً ومـاثم حـائـلُ
لعمر المعـالي إنهـا لفضيلـةٌ   بها اندمجتْ حتى المعـاد الفضـائـلُ

☆ ☆ ☆

ومن أعذب ماقيل في تمني اللقاء بعد الفراق قول أبي إسحاق ابراهيم بن خفاجة الأندلسي(٣٠):

وعسى الليـالي أن تَمُنَّ بنظمنـا   عقـداً كما كنـا عليـه وأفضـلا
فلربمـا نُثِرَ الجُمانُ تعمـداً   ليُعـادَ أحسنَ في النظـامِ وأجمـلا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

لله سرٌّ في الشـؤون مُطلسمٌ   يـأتي بجمع الشمـل من قلْب القِلَى
فـالشمس تجري ثم في سريـانهـا   بـاللطف تـأتي المسْتَقرَّ الأوّلا

☆ ☆ ☆

ولطيف قول ابن خفاجة في غلام الْتَحَى :

تغشّى نَـوْرَ وَجْنَتِـه القتـادُ   وغطّى نُـورَ صفحتـه السـوادُ

---

(٣٠) ابراهيم بن خفـاجـة : ابن أبي الفتح بن عبـد الله بن خفـاجـة الأنـدلسي شـاعر من أهل شرق الأنـدلس لم يتعرض لاستماحة ملوك الطوائف مع تهافتهم على الأدب وأهله ، لـه ديوان شعر مطبوع ، توفي سنـة ٥٣٣ هـ : الأعلام للزركلي .

فما يهفو الى مرآه طَرْفٌ ... ولا يصبو لذكراه فؤادُ
يموتُ المرءُ ثم يعود حيّاً ... وموتُ الحُسنِ ليس له مَعادُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وأخشَنُ من دبيب الشَّعْرِ يوماً ... بلوحِ الخدِّ أن يُمْحَى الودادُ
وأقبح ما تراه العينُ حِبٌّ ... تخلل طور نيته الفسادُ
وفي المعنى يشاكله محب ... على نقض العهود له اعتيادُ
ورُبَّ مغالطٍ يُبدي انقياداً ... وفي مَطْويِّ همته العنادُ
يُبَدِّلُ أحسن الإحسانِ سوءً ... وينكر ما تُقر به العبادُ
ويطوي المكرَ عن غدرٍ ودهراً ... بغير السوء ليس له اجتهادُ
تُشب به الخديعةُ نارَ محقٍ ... كذاك النار يطويها الرمادُ
وحفظُ الود في الأشراف طبعٌ ... يُصانُ كما يُصانُ الاعتقادُ
وودُّ الخِبِّ يُقرنُ بالأماني ... فيحفظُ إذ يوافقه المرادُ
مضى زمنٌ به قد كان قومٌ ... يُقرُّ لصدق ودِّهم الجمادُ
وصرنا الآن في زمنٍ لئيم ... قَسَا ولقد تغيَّرت البلادُ

☆ ☆ ☆

ويعذب عندي قول الأمير مؤيد الدولة أُسامة بن مرشد المنقذي ملك شيزر[٣١] :

---

(٣١) أسامة بن مرشد المنقذي .

أسامة بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري الأمير الملقب بمؤيد الدولة . من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر قُرب « حماة الشام » ومن العلماء الشجعان . له تصانيف في الأدب منها « لباب الأداب في البديع - خ » وُلد في شيزر وسكن دمشق وبها توفي وكتب ابن منقذ سيرته في جزء سماه « الاعتبار - ط » وقد تُرجم الى الفرنسية والألمانية : الأعلام للزركلي .

إن كان دهراً لكم تَعبَّـــــــدني الحُبُّ فقــــــــد أعتقتنيَ الرِّيَبُ
أحببتكم فــوق مــا تــوهـمــه النــاسُ وخُنْتُمْ أضعـــافَ مـــا حسبــوا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

والـــوعـــةَ القلب في محبتكم نصيبُــــه من هـــواكمُ التعبُ
يعقــوبُ قلبيَ فـــانٍ بيــوسفكم وفيَّ أقـــوالكم دمٌ كـــذبُ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي ، ودقائق إشاراتي :

مـــــاذا أُترجم عني إنني دنفٌ بحب طــــه ولكنّي أخــو عــوجِ
لقـد تـوالت كروبي والخُطوبُ على ضعفي تـداركْ رسول الله بـالفرجِ
فــإنَّ جــاهــك مقبـولٌ وبي مرضٌ وهـل عليـه مريضُ الـوزرِمن حرجِ ؟

☆ ☆ ☆

ولطيف قول الشيخ عبد الغني النابلسي(٣٢) طاب ثراه :

يـــاقمراً يُـزري بشمس الفلـــكْ مـــا أنت في حسنــك إلاّ مَلَـــكْ
ملكتَ قلبي فترفـــقْ بـــــه كلُّ بهـــاءٍ وجمـــالٍ فلَـــكْ
اللهَ اللهَ بنـــا يـــا رشـــا فـــإنَّ قلبي في الهوى قـد سلـكْ
أرسلتَ لي طيفــك تحت الــدُّجى يـــا طيفُ حيَّ اللهُ من أرسلـــكْ
مــولايَ مــا ذنبي اليــك ؟ اتَّئــدْ في قتلتي مقــدارَ أن أســألــكْ

---

(٣٢) الشيخ عبد الغني النابلسي .

عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي : شاعر ، عالم بالدين والأدب ، مكثر من التصنيف ، متصوف . ولد في دمشق ورحل الى بغداد وعاد الى سورية فتنقل في فلسطين ولبنان وسافر الى مصر والحجاز واستقر في دمشق الى أن توفي سنة ١١٤٣ هـ وله نحو مائة مصنف : الأعلام للزركلي .

أأنتَ لي أضمرت غــدرا بــلا ذنب ؟ وحــقِّ اللهِ مــا حَــلّ لــكْ
إعطفْ علينــا وترفــقْ بنــا وافعــل جميلاً بــالــذي جَمَّلــكْ
ذُبتَ أيــا قلبي عليــه جــوىً ؟ ويْحــكَ يــا قلبي أمــا قلتُ لــكْ !
وأنتَ يــا نــاظر عيني اتئــدْ إيّــاك أن تَهْلــكَ فيمن هلــكْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

يــا ملــكَ الحسنِ امرؤٌ أمَّلَــكْ بــالله لاتقطــعْ فتىً أمَّ لــكْ
برزت كالصبــح جمــالاً على منصــة اللطف فمــا أكملــكْ
يــا يــوسف البهجــة في رونــقٍ دارَ بطرز الحُسن دَوْر الفلــكْ
أخرستَ بــالوجــد زُليخــا الهــوى فلم تقــل من دهشهــا هَيْتَ لــكْ
يــا كــوكبــاً لاح بسمــك العُــلا صــانــكَ بــالألطــافِ من جمَّلــكْ
أعرضتَ عني مُفرطــاً بــالقِلَى يــا نــور عين الصبِّ من أغفلــكْ
يقصُرُ صبري ولِلَيْــلِ النــوى أقــولُ : لا كنتَ فمــا أطــولــكْ
بحــق عينيــك أعِنْ بــالرضــا مُضنىً برُحبِ القلبِ قــد أنــزلــكْ
صــانــك في لُبِّ سُــوَيــدائــه وبرداءِ الروح قــد جَلَّلــكْ
وأنتَ سلطــان جمــالٍ قــد استولَى على لُبِّ فــؤادٍ مَلَــكْ
في حضرة الحسن ودست البَهَــا هــلْ مَلِــكٌ أنتَ وإلاّ مَلَــكْ ؟
بــالله يــا يــوسفَ نــوع الجمــال ارحم عــزيــزاً بــالهــوى ذَلَّ لــكْ

☆ ☆ ☆

وقلت والمعنى لطيف جداً :

أشكــو اليــك أبــا الــزهراء نــائبــةً أتَتْ بضيــقٍ فرِّجْ الكرب بــالفرج
إني مريضٌ بــأوزاري الغيــاث ومــا على المريض بحُكم النصِّ من حرج

☆ ☆ ☆

وقلت والمعاني ، كطوالع حصول الأماني :

أهـلاً بريمٍ جــاء في بغتـــة   والليـلُ حَيّـا مُسْـدَلاً ذيلَـــهُ
كأنـــه النُّعمان في (بـــابـلِ)   يمشي وقـــد حَفَّتْ بـــه خيلَـــهُ
شـــارفني المخمـورُ من طرفـــه   فسَـــحَّ من طرفي إذاً سيلَـــهُ

☆ ☆ ☆

وقلت أيضاً :

وافَـــا حبيب القلبِ في غفلـــةٍ   والليـلُ قـــد جَرَّ بنـــا ذيلَـــهُ
ضحكتُ مُـــذ وافـــا ولمـــا مضى   يـــالهفـــةَ القلبِ ويـــا ويلَـــهُ
وبكسيرِ الجفنِ مُـــــــذْ راشني   أرســل جفني دهشـــــة سيلَـــهُ
صـــولـــةُ ذاكَ الجَفْنِ في كسره   صـــولـــةُ كِسرى مرســلاً خيلَـــهُ
والبـــدرُ إذ يجلـــو لنـــا وجهَـــه   والغُصنُ إذ يُبْـــدي لنـــا مَيْلَـــهُ
يهمـل وادي النيـلِ (بِيبَرْسُ) لـــو   يُـــدركُ في سلطـــانِـــه نَيْلَـــهُ

☆ ☆ ☆

وقلت أمـدح شيخي الإمـام الجـامـع الأوحـد القطب الأعظم السيـد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بـالرواس[٢٣] رضي الله عنه وعنا به :

أهْدتِ الشمسُ نـورَهـا في الكيـانِ   لقبـول المـزجين للـزبرقـــانِ
وجـلا العصرُ عِقـدَ فضـلٍ نضيـدٍ   مـــالـــه في خـزائن العصرِ ثـــانِ
وتبـــدّا في مطلـــع الفجر كالفجرسنـــــا دون طَـــوْلِـــــه النَّيِّرانِ

---

(٢٣) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٢

كشفَ الغـــامضـــاتِ مجـلاهُ لَمــا عَيَّنَ الضـوءُ طـــامسَ الألـــوانِ
هِبـــــةٌ من أبي البتـــول بفضـــل الله أعْلتـــــه ذِروةَ الإمكانِ
كــوكبٌ في حظـــائر القـــدس قـــد قـــام انحـــداراً بهيكل الإنســـانِ
من صميم النـــور البتـــوليّ في طيّ بروجِ الهُـــدى انجلَى للعيـــانِ
بخفـــاءِ طـوى الظهـورَ وحينـــاً لمعـــانٍ قـــد يُمـزجُ الضـــدانِ
يـــا رفـــاقي والعهــدُ دينٌ وللحب حقـــوق وللحقـــوق معـــاني
هـــل عرفتم لمن أشرتُ وإن كانَ مقـــامٌ لم يقتربْـــهُ اثنـــانِ
هـو بـدرُ البهـــاء شيخي بهـاءُ الـــدين مهـــديُّ نَـوْبَـــةِ العرفـــانِ
علَم الأوليـــــاء قطبُ رحــــاهم تـــاج كُبَـــارهم وغـوثُ الـزمـــانِ
سيـدُ العـــارفين شرقـــاً وغربـــاً نبـويُّ المعنى لســـانُ البيـــانِ
نكتـــــةُ المجـــــد في ذراري عليٍّ وارث البَضْعتين عـــذبُ اللســـانِ
مظهر الطّـــور عن أبيــه الرفـــاعي علَم الشرق عـــارفِ الـــدورانِ
كنز حـــالٍ حـــوى صنـوف كمالٍ مُجْنَ من بحرِ جَـــدِّه الجيـــلاني
سَبَـــقَ الســــابقين والفضـــلُ لله بعلمٍ جَمٍّ ورفعـــــةِ شـــــانِ
وطــوى في ثيـــابـــه كلَّ فضــلٍ وفخـــارٍ حـــاكَى عقـــودَ الجُمانِ
هـــو رأسُ الأقطـــاب سيــدُنـــا الرواسُ غيث النـــدى وحصن الأمـــانِ
جـدَّد الشرعَ والطريـق بصـدقٍ وعلـــوم ثقيلـــــــةِ الميزانِ
وأتَى بـــالخـــوارق الغُرحتى انبلـــج الضـــوءُ منـــــه للعميـــــانِ
فـــإذا مـــا مـــال الحسـودُ عن الحـق عنـــاداً فـــدعـــه في الخسرانِ
تنجلي الشمس وهـــو يشهـــد منهـــا النـــورَ مُقلَى بمقلـــةِ الحيرانِ
يـــا لَمَجْـــدِ أعـلاهُ مهـــديُّ آلٍ هم صـــدورُ الصـــدور في الركبـــانِ
مَن يســـاويـــه من أكابر أهــل الله في العصر والمســـابـــقُ عـــاني
هـــو للخـــارقـــات كنز وللعلم عصــــامٌ وللطريقـــــة بـــــاني

يتباهى الصياد فيه اذا ما عدَّدَ القومَ سادةَ الأعيانِ
سيدٌ فضله بكل زمان ينجلي ثابتاً وكلّ مكانِ
حِكَمٌ تقمع الجحودَ وزهدٌ وكلامٌ مثلُ الدراري الثمانِ
وخِلالٌ تحكي النجومَ صفاءً لم تكن للزمان بالحِسْبانِ
باهراتُ الأطوارِ مستكملاتٌ بالإفاضاتِ سيرةَ العدناني ﷺ
والكراماتُ من معارفه الزُهرِ استفاضتْ كالعارض الهتّانِ
قد أعاد المجد الرفاعيَّ من بعد خفاءٍ فلاح في الأكوانِ
جَدَّدَ النوبةَ الحُسينيةَ الطِّرْزِ بشأنٍ لم يُبْقِ طَوْقاً لشاني
وانجلى في بغداد مرقدُه الأزهرُ كالصبح لامعَ السَّريانِ
يا إمامَ الأقطابِ يا ابن خزامٍ ضاقَ مني الخِناقُ خُذ بعِناني
أنت حامي الحمى وغوثي وذخري وملاذي وملجأي وأماني
لك في الأولياء قدرٌ رفيعٌ وأيادٍ تَسُحُ بالإحسانِ
ومعالٍ سَمَوْنَ طالعةَ الشمس وسرٌّ مؤيدُ البرهانِ
لاتدعني ياعين أهل المعاني بعنائي عِبْأ الزمان أُعاني
قُمْ بحملي فالهمُّ أثقل عَزْمي وزماني بغوشه أضناني
وتدارك يا نائب المصطفى الطهرِ فأنت المشَيَّدُ الأركانِ
أنا مالي سواكَ بابُ قبولٍ عند طه أرجوه في الحَدَثانِ
أوهنتْ عزميَ الذنوبُ وحسبي حُبُّكُمْ يا كتائب الرحمانِ
يا بني المرتضى بحق اتصالي وانتسابي لكم وصدقِ جَناني
لاتقَدُّوا حبلَ اتصالي لذنبي ولما صَدَّني من العصيانِ
وعلى ما طويتُ من كل عيبٍ عاملوني يا سادتي بالحنانِ
وعليكم من ربكم صلواتٌ زاهياتُ البُرود بالرضوانِ
ما بدا بارزٌ وغَمَّ خفيٌّ ومضى واحدٌ وأقبل ثانِ

وتعـالى عـالٍ وحـظٌ وضيعٌ وتـــدلّى آنٌ على إثرِ آنِ
وســلامٌ منـــا اليكم نقيٌ مُتحـلٌ بــالــدُرِ والمرجــانِ

☆ ☆ ☆

وغراماً بذكر سيدي ومولاي القطب الغوث الجليل ، ذي الباع الطويل ، السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس - رضي الله عنه - تشرفت بمدحه أيضا بهذه الأبيات المعمورات فقلت :

يـا نجوم السماء بـالاغـلاس هل علمتِ الولهانَ ماذا يقاسي ؟
أخـذتـه الأشـواق شرقـاً وغربـاً فـاغتـدى غـائبـاً عن الإحساسِ
طـاب لُبـاً وهـام قلبـاً بحب الغـوثِ تـاجِ الأكابر الرواسِ
الإمـام المهـدي أعني بهـاء الـدين شيخ الأعـاظم الأكيـاسِ
سُلّم العـارفين قطب رحـاهم شـامخَ الهمـة المتين الأسـاسِ
قـام في دولـة الـولايـة فرداً وأفـاض الهـدى لـزُهر النـاسِ
نـاب آبـاءهُ الأئمـةَ مَنْ قـدْ طُهِّروا فطرةً من الأرجـاسِ
وجـلا رونـقَ الإمـام الرفـاعي بمعـانٍ تعلـو عن الالتبـاسِ
وأتى بـالمعـارف المستنيرات شمـوسـاً لاجـذوة المقبـاسِ
أوضـح السيرَ للقـوافـل في منهـاج طـه على صحيح القيـاسِ
بعلـوم بـالسلـك تَنْظمُ دُراً وعقـوداً من جَيِّـد الألمـاسِ
وفهـوم فيهـا من المـدد الأعلى رمـوزٌ بـالنـور ذاتُ انبجـاس
رَقَّ منهـا المضمـونُ لكن بمعنى الحكم حـاكتْ شُمَّ الجبـالِ الرواسي
رضي الله عنـه من كنز فضـلِ وإمـامٍ مُقـدّسِ الأنفـاسِ
كم شهـدنـا لـذاتـه من شؤونٍ بـاهرات الجـلال والإينـاسِ

فطرازٌ مُطلسمٌ بخفـــــــاءِ وظهـــورٍ ولمعـــةٍ بـــانطماسِ
ومقـــامٌ لـــه من الغيب حـــالٌ كم بحـــالِ ألانَ قســوةَ قـــاسي
هـــو شيـــخُ العرفـــانِ والعِلم والحِلم ولـــلأوليـــاء تـــاجُ الراسِ
هـــو بحر الحقيقـــةِ المتحلي بنعـــوتٍ تسمـــو عن الانـــدراسِ
من نعـــوت النبي فيهـــا سطـــورٌ كلُّ حرفٍ منهـــا سَنَـــا نبراسِ
سيـــدي يـــا أبـــا البراهين يـــامَن بـــك صوني من لمـــةِ الـــوسـواسِ
أنت روحي وطـــورُ نشـــأةِ حـــالي خـــاليـــاً كنتُ أو مـــع الجلاسِ
فتـــداركْ وهني بعـــزمٍ قـــويٍّ لأُراني بكم شـــديـــدَ البـــاسِ

☆ ☆ ☆

وقلت أيضا بمدح شيخي الإمام المهدي المشار اليه ، رضوان الله تعالى عليه :

أحـادي المطـايـا لاصُدِدتَ بعـائـقٍ ورُحْـت وفير الحـظّ مستكمـل الجِـدّ
اذا جئـت للـــزوراء من أيمن الحمى بشرقيهـا فـانـزلْ وأقْلع عن الـوخـدِ
وقف هـائـمـاً مـولـوه قلبٍ متيمـاً ببـاب رحـاب السيّـد الأيّـد المهدي
وقبّـل بصدق الـوجـدِ أعتـابَ بـابـه وعنّيَ فـافرشْ فيـه ديبـاجـة الخـدّ
وقلْ يا هِزبرَ الآل يـا كوكبَ الأُولى أكابر هـذا الشـأن في سُـددِ المجـدِ
ويـانـائب الهـادي وَوَجْـه وصيّـه عليٌّ أبي السبطين في بيتـــه الفردِ
ويـاغـوث هـذا العصر يـا شيـخ أهلـه ويـا صـاحب التصريف في الحَلّ والعقدِ
تـدارك بـإذن الله لهفـةَ عـاجـزٍ دعـاكَ وَوَقْـدُ الهمّ زاد عن الحـدّ
وخـذ بيـدي يـا طـاهرَ الروح إنني الى بـابـك العـالي انتميتُ من المهْـدِ
لي الفخرُ أني عبـدُك الفردُ والـذي نَشَرْتَ لـك الأعلام خـافقـةً وحـدي
فـأوصـلْ بسر الله حبلي وإنْ طمتْ ذنـوبي وظَنَّ الضـدُّ أنيَ في صَـدّ

فإنك حلاَّلُ العقالِ وفائض النـــوال وذُخر الآل والصادقُ الوعدِ
ورُحْ بظلال المصطفى مع حيدرٍ وجَدّك مَن قد قال : في حالة البُعدِ

☆ ☆ ☆

ومن كلام شيخنا الغوث الجليل السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه :

خَفَقَتْ بُنودٌ في أساجيف الخفا رايــاتُهــا فيهــا هفيفُ ظهورِ
فعجبْتُ من نفخٍ يَهُزُّ قوالبــاً هَجَعَتْ فيُفْـزعها كنفخ الصورِ
ويُثيرُهـا لطريقتي ويُطيرهـا لحقيقتي فترى لوامع نوري
فتروح ثاويةَ القلوب بساحتي مرتـاضـةً في بيتي المعمورِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلامه العالي بقولي فيه رضي الله عنه :

يــا أيهــا المهديُّ والغوث الـذي نــاب النبيَّ بطوره المــأثورِ
يــالمعــةً من جـذوةِ النـار التي لمَعَتْ لموسى من حواشي الطورِ
أنت الإمـامُ الأوحـدُ المنـدوبُ إنْ صـالَ الزمـان بعضبـه المشهورِ
ولأنتَ في أهـل الـوحى سلطـانُهم وأنـا بظّـل لوائِـك المنصورِ

☆ ☆ ☆

وقد قلت بمدح شيخي الإمام الرواس رضي الله عنه :

يــا أيهــا المهديُّ يــامن حُبُّـه في القلب للسرّ الخفيّ أنيسُ
أقـوى على إبليس فيــه فيغتــدي رهنَ الفرارِ لنـــاره أبليسُ
لم يَلْـوِ قلبي عن هـواك مَـدَ المدا أنـــاَ زُليخـــاءٌ ولا بلقيسُ
يَحْـدُو بـذكرك مُنْشِـدي وكأنمـا بحروفــه للقلب مغنـــاطيسُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول سيدي ومولاي الإمام الرواس رضي الله عنه :

فَرَشْتُ لكم عيني فعيني قريرةٌ بـأقـدامكم والعين مـوضعهـا القلبُ
فـإن قلتُ عيني قيـل بـل عين بُغيتي وإن قلتُ قلبي قيل خير لـك القلبُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بإلحاق قولي هذا بقوله الشريف :

فعينيَ لاعينٌ لأفرشَ عينَهـــــا وعينيَ أعمـاهـا على رغمها الـذنبُ
أُذكِّرُ عيني كي تَقَرَّ بــــــذكركم وقـد تنفع الـذكرى محبـاً لـه قلبُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وتنورت بمدح النور الأعظم ﷺ مادحاً مستنجداً :

يــا إمـام الـوجـودِ طيِّـا ونشراً وعميـد الرسـالـةِ القـدسيَّـهْ
يـــا أعـزَّ الأعيـــانِ من رسـلِ الله ومـولى الكتـائب الغيبيـــهْ
يــا حبيب الرحمن يــا بهجـة الأكـوان يـــا نـور ربِّنـــا ونبيَّـــهْ
صِـلْ بفضـلِ يـا رحمـةَ الله حبلي فلقـــد أفْرَطَتْ بقطعي الخطيـــهْ
وأغثني بنجــــدةٍ وحنــــانِ واجْبُرِ الكسرَ يـا رسول البريـهْ ﷺ

☆ ☆ ☆

وقد تشرَّف شيخنا الإمام السيد محمد مهدي آل خزام الصيـادي الرفـاعي الشهير بـالرواس - رضي الله عنـه - بمـدح الجنـاب الأعظم - ﷺ - مُفتتحـاً بالإشارة لـ (بوارق الحقائق) فقال :

نَسَجْتُ في (بــوارقِ الحقـــائــقِ) دقـــائقـــاً من تُحف الرقـــائــقِ
مشحـــونــــةً بــــدُرر وغُرر منظـــومـــةً بفِلَـــذِ الطرائـــقِ
تــــــؤول لله على وتيرةِ كان عليهـــا سيـــد الخـــلائـــقِ

محمدٌ شمسُ الهدى سرُّ الورى ﷺ	من جاء للناس بوعدٍ صادقِ
خزانةُ العلمِ الإلهي الذي	جَلْجَلَ بالخمرِ القديمِ الرائقِ
وقد أُفيضَ لأئمةِ الهدى	فَسَكِرَ الناظرُ قبلَ الذائقِ
طابوا برَوْحِ نشرِ رُوحِ القدسِ قد	رَنَّحه بأشرفِ الحقائقِ
من همَّةِ الهادي العظيمِ المصطفى ﷺ	روحِ الوجوداتِ حبيبِ الخالقِ
مُفيضُ علمِ اللهِ قُدِّسَ اسْمُهُ	لكلِّ سابقٍ وكلٌّ لاحقِ
اللاحقُ الختمُ الكريمُ المُنتَقى ﷺ	بطِرْزِ فضلٍ سرمديٍّ سابقِ
والرحمةُ العُظمى التي آياتها	مَتْلُوَّةٌ بنطقِ كلِّ ناطقِ
ذو المددِ الوضاحِ والعزمِ الذي	قامَ ببأسِ فاتقٍ وراتقِ
صلَّى عليه اللهُ مالاحَ على	سجائفِ الظلامِ ضوءُ بارقِ
وانبلجتْ منيرةً شمسُ الضحى	وجاءَ طارقٌ بإثرِ طارقِ
وآلِه وصحبِه وكلِّ مَن	هامَ به يحملُ وجدَ عاشقِ
ومِنْ عُبَيْدِه سلامٌ لم يزلْ	مُعَطَّراً بالمسكِ أنفَ الناشقِ
أزُفُّه له بوجدي إنني	من غيرِه مُقَطَّعُ العلائقِ

☆ ☆ ☆

فألحقت مُفتخرا ومُبتهجاً قوله العالي بقولي والله المعين :

سَرَتْ بنا الركبانُ تبغي المنحنا	بُورِكْتَ يا سائقها من سائقِ
فإنْ وصلتَ الحيَّ قفْ غربيَّه	بين بَنَفْسَجٍ وورد شائقِ
واقرأ بتجويدٍ سلامَ مُغرمٍ	مولَّهٍ فانٍ ولوعٍ عاشقِ
واذكرْ لأهلِ الحي لوعةَ امرئٍ	لم يلتفت يوماً لخوضِ ناعقِ
ذابَ غراماً لكرامٍ في الحمى	ذوي عناياتٍ أُولي سوابقِ
كشيخنا الإمامِ مهدي الرجالِ العَلَويِّ صاحبِ (البوارقِ)

مـــا تلـــك من بـوارقِ خيَّلهـــا وهمٌ فـذي (بـوارق الحقـائـقِ)
أبرز فيهـــا للهـــدى طرائقـــاً أنْعِمْ بهـــــا لله من طرائـــقِ
قـد أوضحت سرّ سلوكِ المصطفى ﷺ خيرِ البرايـــا طـــاهرِ الخـلائـقِ
سيـــد كلِّ لاحـــقِ وســـابـــق إمـــامِ كل عـــارف وصـــادقِ
برهـــانِ علم الله نـــورِ خلقـــه شمسِ المعـــالي فلـــكِ الرقـــائـقِ
متى الْتجـأنـــا لتراب بـــابـــه لُـذْنـا مـع الأمنِ بطـود شـاهـقِ
يـا مصطفى الرحمن من هـذا الورى أغثْ فـــإني مـوثَـقُ العـوائـقِ
أدعـوك والهمـومُ والـــذنـوبُ والأتعـــاب حَفَّتْ بي بخطب طـــارقِ
وليس لي سـواك يـــا مَن فضلـــه المـوَّاجُ قـــد يسبـق كلَّ ســابـقِ
غـوثـاهُ دارك يـــا رسـولَ الله يـــا أمْنَ خـؤوفِ بـانـدهـاشِ صـاعـقِ
فـــأنت لله تعـــالى اليـوم بـلْ وفي غـــدِ وسيلـــةُ الخـلائـــقِ
صلَّى عليـــك الله مـــا حنَّ امرءٌ اليـك عن وجـدِ بـدمـعِ دافـقِ
ومـــا سرىٰ ركبٌ وأنَّ عـــاشـقٌ واختبـــط الضـوءُ بليٍّ بـــارقِ
والآل والأصحـــاب والأفراد منْ أبنـــائـــك التيجـــان للمفـــارقِ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله تعالى عنه وعنا به :

أيـــــا مفيضَ العين للعين لا غبتَ يـــا مـــولاي عن عيني
بنقطـــــة تنقش في عينهـــــا يُفْرَقُ بين الغين والعين
فَنـــوِّر العين أيـــا عينَهـــا لا تَرْمِ نـــور العين بـــالغين

☆ ☆ ☆

وتشرفت بإلحاق قوله العالي فقلت :

متى يَـــــزالُ الغينُ عن عيني والـــوزرُ طَمَّ العينَ بـــالغين

تُغـــانُ عيني آهِ من عينهـــا وآهِ من غيني ومن عيني
لـــو مَحَـــقَ العينَ حبيبي بـــه ولا أقـــول العينَ بـــالعينِ

☆ ☆ ☆

وما أشرف وألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

جَمَعْتُ يَـدي عني فقمتُ بـلا يـدِ ومن أين مثلي أنْ يقـال لـه يـدُ
وألقيتُ كلي في وصيـد محمـدٍ ﷺ ومـا خـاب مَن يحمي حِماه محمدُ
وإني على الأمرين صعبٍ وهيِّنٍ
محمـد حصني وابنـه الغـوث أحمـدُ

☆ ☆ ☆

فأتبعت قوله رضي الله عنه بقولي :

نعم كنزُ فقري سيدُ الرسل أحمـدٌ ووارثـه صـدرُ الأكابر أحمـدُ
وشيـخ الحمى المهديُ قطب الرحى الـذي
مـزايـاه في كل المحـافـل تُحمـدُ
فـإني على حُلْـو الـزمـان ومُرّه لإحسـانِهم تمتـد من روحيَ اليـدُ
وإني لهم عبـدٌ وإن طمني الخَطـا وكلهُم لي كيْفما كنت سيـدُ

☆ ☆ ☆

ومـا أبهج وأرق وأدق قـول سيدنا وشيخنـا الإمـام الرواس رضي الله عنه :

اذا مـا طرقتُ البـاب بـالـذُل أتْحفوا بفتـحٍ وقـد تـأتي العنـايـةُ بـالفتـح
يُسـاجـلُ دمعي همتي فرحـاً بهم فـأُغفـل تعـديلي وأذهـل عن جُرحي
ويعلـو سليمـانُ ارتقـائي بطـوره مع العزّ عن بلقيس قصدي والصَّرح

وتشرفت مفتخراً يالحاق قوله الكريم بقولي :

تعلّقتُ عن صدقٍ بأذيـال سيـدي ... هزبرِ الحمى المهديِّ واسطـة النُّجحِ
وأعرضتُ عن بلقيس قصـدي بحبـه ... وعن صرحهـا إعراضَ مُستمطِرِ المنحِ
وعنـد سِبـاقِ الخيـلِ يـومَ رهـانهـا ... يُفَرق بين الجِـد يـامَيُّ والمـزحِ

☆ ☆ ☆

أقول ومما خامر الفكر ، وهبط الى السر ، انعطاف بالذُّل الى عالم السر والجهر :

ذنـوبي لعمري ليس يَحصر عـدُّهـا ... لبيبٌ أخـو فكر من النـاس حـاسبُ
جفـاءٌ ووزرٌ وانقطـاعٌ عن الحمى ... وهجعـةُ عـزمٍ إذ تَسيرُ الركائبُ
وغفلـةُ قلبٍ بـالهـوى اسْـودَّ كُلُّـه ... وعمرٌ تقضّى مـزَّقتـه المـآربُ
إلٓهي بـأسرار الكتـابِ وفضلـهِ ... وآيـاتـه المطـويّ فيهـا العجـائبُ
وبالمصطفى روح النبيين عينهم ﷺ ... محمّـدهم من فيـه هـام الأطـائبُ
بـإخـوانـه والآلِ والصحب كلهم ... أُسودِ الـوغى إذْ تُسْتَنْفَـزُّ الكتـائبُ
وبـالأوليـاء الـواصلين ومن على ... طرائقهم وَفّى وإن طـاش عـائبُ
بركبانهم إذ تُجهد السيْر في الـدجى ... مُشـاةً وقـد مـلَّ المسيرَ الجنـائبُ
فهـذا بـأطـوار الحقيقـة حـاضرٌ ... وهـذا بـأسرار المحبـة غـائبُ
وهـذا لـه قلبٌ من الـوجـد طـائرٌ ... وهـذا لـه دمعٌ على الخـد سـاكبُ
بشيخي بهـاء الـدين والشهم صنوه ... أبي البركات ارحم فكليَ ذائبُ
بـذخري عليٍّ فهـو ثـالث سـادةٍ ... عليَّ لهم عهـدٌ لـه الحفـظُ واجب
أغثني بجمـع الشمـل إني مُشتَّتٌ ... ومـالي سوى الـوزرِ المشتّتِ صاحبٌ
بلطفـك أدركْني بفضلـك داوِني ... فـإني عليـلُ الـذنبِ والـوهنُ غـالبٌ
تخليت عن علمي وعن عملي وعن ... عصائبِ قـومي إذْ تُعـد العصـائبُ

وجئتـك أطـوي الانكسـار وذلّتي ردائي ونجمُ الظنّ بالصدق ثـاقبُ
فـأوصل بمحض الفضل حبلي فإنني لـوامـعَ أنـوار القبـولِ أُراقبُ
وصلّ على مَنْ بـالهدى قـد بعثتـه فعـزّ بـه راضٍ وذلَّ المجـانبُ
نبيِّـكَ روح الكـون قرةِ عينـه حبيبك مَن تـأوي حمـاه الحبـائبُ
وأبنـائـه الزُهرِ الشـآبيبِ مَن عَلَوا مقـامـاً قـد انحطتْ لـديـه الكواكبُ
وأصحـابـه والتـابعين جميعهم فهم أنجمٌ فيهم تُماط الغيـاهبُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلمات شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

ألاَ اسْـق العيـون بمـاء الضيـاء فـأنت لكل العيـونِ الضيـاءُ
فعِيسَ الخـواطرِ ترْعَى السماءَ بظلّـك يـامَن حِماك السماءُ
بـذكركَ نشربُ رقراقَ مـاءٍ أجَـلْ والحيـاةُ كما نُصَّ مـاءُ

☆ ☆ ☆

فتشرفت بالحاق كلماته الشريفة قائلا :

طبَعْنـا لكم في القلـوبِ الـوفـاءَ ومـا الـدينُ يـاقـومُ إلاّ الـوفـاءُ
وجئنـا نَجُر ذيـول الحيـاءِ ويُصْلِـح حـالَ القلـوب الحيـاءُ
فمنـوا علينـا ببـذل الرضـاء فـما قصـدنـا قـطُّ إلاّ الرضـاءُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف شرائف كلمات شيخنا رضي الله عنه قوله :

اذا احتبـكَ الظـلامُ فكنْ أمينـاً بـأن العتمَ يَعْقُبُـه الضيـاءُ
وإن لمـع الصبـاح فَـدونَ ريب بحُكم الـدوْر يعقبـه المسـاءُ
فـلا تعبـأ بشيءٍ ذي زوال فـما للـزائـل الفـاني بقـاءُ

وَرُحْ مستسلماً للحُكم وافزعْ   لربك فهو يفعل ما يشاءُ

☆ ☆ ☆

وقد افتخرت وتشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي :

شؤون الكون إن قصرتْ وطالتْ   بحُكم الحالتين لها انقضاءُ
وهذي الحادثات أخلٌ تفنى   بلا شكٍّ ولله البقاءُ
ظلالٌ قد يواشكه زوالٌ   وأحلامٌ يخامرها الفناءُ
فخلِّ الكلَّ عنك فغيرُ ربي   وَلُوهكَ فيه لا للّه داءُ
ومَن لم يَرْضَهُ الرحمنُ حِباً   فَحَضْرَتُه وغيبتُه سواءُ

☆ ☆ ☆

ومن أعذب ماقيل قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

حرَّم النومَ على العين وعينيك بعادُكْ
عجباً هل قتلة الصب بعينيك مرادُكْ
آهِ يا قلبيَ قد ذُبتَ وهذا الوَقْدُ زادكْ
وعلى ما فيك ياجفنيَ قد طال سهادُكْ
والذي تهواه ما أرضاه في الحب ودادكْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي بقولي :

أيها العاذل لا كنتَ فقد زاد انتقادُكَ
ولقد جَفَّ على لوح الجفا منك مِدادُكْ
قال لي حِبي على رغمك مشكورٌ جهادُكْ
وسنجزيك بما ترضى فيهنيك مرادكْ

وبنـــــا طب ثم لايُلْـــوَى الى الغير استنـــــادكْ
واعتقــد عنــك رضـانــا يُصلــح الحــالَ اعتقــادكْ

☆ ☆ ☆

وعذب قول القاضي أحمد بن خلكان[٣٤] رحمه الله :

أيـــا مُعرضـــاً عني بغير جنـــايـــةٍ أما تستحي من فرط تيهك والعُجب
سلوتـك فـاصنـع مـا تشـاء فـإنـه محـاكثرةُ التقبيـح حبـك من قلبي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

تعــزَّرتَ طيشـاً بـالجمـال ولم تكن وفيًا وقــد أفرطتَ بــالصــد للصبّ
وتَخْلُــقُ عيبـــــاً للمحب ولم يـــزلْ
أخو السوء زُوراً يمزج الصدق بـالكـذب

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه :

قصـــدي خُشَيفُ زوضٍ من نسمـة الصبـح ألْطفْ
نكَّرتُ قصـدي فقـالــوا نكَّرتَ شيئـــــاً مُعَرَّفْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت يالحاق قوله العالي بقولي :

نـــاديتُ قــومي أغيثــوا قلبَ ولـــــــوهٍ تلهَّفْ
فعلـــــةُ الضمّ فينـــا جنسيـــــــةٌ إذ تُعرَّفْ
وفي التعــــارف معنىً معنـــــاهُ ليس يُكيَّفْ

☆ ☆ ☆

---

(٣٤) ———

ولشيخنا ـ رضي الله عنه ـ يُشير لحذف (هو) التي تُفيد التعريف من قوله : نسمة الصبح :

قالوا : أفِدْ سرَّ هذا المعنى وفيه تلطفْ
فقلت : في ذاك معنى خافٍ كليَّة أهيفْ
هويـة هي لكنْ لكتم حاليَ تُحذفْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي بقولي :

ماذا أُنكِّرُ من بكل وصفٍ يُعَرَّفْ
بَخدِّه ياَلَقومي لامَ العِذار تـألَّفْ
هو المراد بما في نفسي ومعناه ألْطفْ
إن المعاني لعمري لَدَى الغبّي تُحَرَّفْ
وعند ربِّ فهومٍ منها الخفياتُ تُكشَفْ
وللفطاحِلِ منهم لهم مع اللطف تُتْحَفْ
وكل هذي المعاني من بحر أحمد تُغْرَفْ

☆ ☆ ☆

روى الكثير من الأكابر أن إمام الطريق مولانا وأستاذنا الجنيد بن محمد القواريري البغدادي[٣٥] ـ رضي الله عنه ـ كان يتكلم في مجلس درسه على الناس فأنشد متواجداً :

---

(٣٥) الجنيد البغدادي

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز . من أكابر علماء الشريعة والحقيقة ، قال الكعبي المعتزلي لبعض الصوفية : رأيت لكم شيخاً ببغداد ما رأت عيناي مثله الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفلاسفة لدقة كلامه ، والشعراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وكلامه ناء عن فهمهم .

قال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه . وعده العلماء شيخ مشايخ الصوفية لضبط مذهبه بقواعد

الحِب لا يصبر عن حِبـه   أكثر من يـوم ويـومين
وقـد صبرنـا عنكم برهـةً   مـا هكـذا حـال المحبين

☆ ☆ ☆

فقام غلام من أطراف المجلس وقال للإمام الجنيد - رضي الله عنه - : ما أجفاك يا شيخ أنا أقول :

الحِب لا يصبر عن حِبـه   أكثر من طرفـة العين
وقـد صبرنـا عنكم سـاعـةً   مـا هكـذا حـال المحبين

☆ ☆ ☆

فبكى الجنيد وطاب لقول الغلام وصار في المجلس حال عظيم .

قلت : وقد ألحقت قول ذلك الغلام بكلمات لي خدمة لمولانا الجنيد وإنصافه فإنه استحسن مقاله ، وصدّق حاله فأقول :

قـد يغلب الصب هـواه وقـد   يغـدي شهـود العيْن بـالعين
يَرْضَى بفقـد العين من عينـه   ولا يكـونُ البينُ في البين
حتى اذا شـاهـد محبوبَـه   ولـو بـلا كيفٍ ولا أين
أحيـاه ذاك الحينُ في طيـهِ   ونشرِه من صرعـةِ الحيْنِ
مـوتٌ بـه رَوْحُ الحيـاة انطوى   بجمـع ضـدين عجيبين
قـد اشترى الله وبـاع الأُولى   فـافطن لمعنى العين بـالعين

☆ ☆ ☆

= الكتاب والسنة سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع .

من كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لايقتدي به .

ولد ببغداد ونشأ فيها وفيها توفي سنة ٢٩٧ هـ من « طي السجل » للسيد محمد مهدي الرواس . و « منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين » .

ومن لطائف كلام سيدنا ومولانا الإمام السيد بهاء الدين مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه وعنا به :[٣٦]

روحٌ تروح بكم فتُحْيِي ربَّهـــا   فيروح حيًّـــا إذْ تروحُ الروحُ
يـــا جُملـــةً نَظَمَ الغرامُ بِنَصِّهـــا   مَتْنـــاً لـــه صحفُ القلوبِ شروحُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله المبارك العالي بقولي :

طـــاب الأُولى لمـــا فـــدوا أرواحهم   لحبيبهم وأنـــا القطيـــع أنـــوحُ
لم تُنشئ المشتـــاق نفحـــةُ روح مَنْ   يهـــــواه إلاّ أنْ تروحَ الروحُ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلمات سيدنا وملجأنا الغوث الأكبر الإمام السيد أحمد الرفاعي[٣٧] رضي الله عنه وعنا به قوله :

والله لـــو تـــوجني سيـــدي   بتـــاجِ كِسرى مَلِـــكِ الشرقِ
وكلِّ تيجـــان الأُولى من مَضَى   منهم الى الله ومن قـــد بقي
وقـــال : أن لا نلتقي ســـاعـــةً   لقلتُ : يـــا مـــولاي أن نلتقي

☆ ☆ ☆

وقد تنورتُ وافتخرتُ وتشرفتُ بإلحاق قوله النيِّر المقدس بقولي وأين ضوء الشمس من ضوء الزجاجة وهذا ما قلته والعون بالله :

أضَرَّني بُعـــد الحبيب الـــذي   فـــاقَ مُحيَّـــا الصبح بـــالرونـــق
لـــو صُفَّ للسبـــق جمالُ الـــورى   جمـــالُـــه الـــوضّـــاحُ لم يُسْبَـــقِ

---

(٣٦) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٣٢

(٣٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته رضي الله عنه برقم ٤١

تسيرُ في معنـــــــاهُ روحي على وجْــــــــدِ من المغرب للمشرقِ
أغرقني مـــــوّاج بحرِ الهـــــوى من قـــــدمي فيــــه الى المَفْرقِ
ولـــذنـــوبي فـــوق حـــدّي بـــأن أطلبَ بَعْـــد البُعْـــد أنْ نلتقي

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلمات حكيم العصر ، وغوث الدهر شيخنا الإمام السيد محمد مهدي الرواس الرفاعي رضي الله عنه قوله :

اذا حـــــذفتُ ضميراً راح مستتراً عن نصّ قـولي غَـزا قلبي وقـد فتكا
وإنْ رَدَدْتُ ضميرَ القـول أُرجعـــه لأصلـــه راحَ قلبي يطرق الحُبُكا
تلـك الإشـارةُ لم تُكشف لمُغْفِلهـا ولا يُقـاربهـا لـو يَنْطَـحُ الفلكا

☆ ☆ ☆

وتشرفت بالحاق كلماته السعيدة بقولي :

لله جَفْنٌ لهجر الحِبِّ في أرقٍ مُضنٍ متى ذُكر الحِبُّ البسيمُ بكى
يُمزّقُ الليـل سهراناً وإن هجعَ الـ ـخليُّ رفرف عن دمـــع هَمَى وشكا
فـلا ضميرَ لـــه خـــالٍ ليرجعـــه لأصلـــه والهـوى صعبٌ اذا سُلكا
يـــاقُرةَ العينِ بـــالله استمـع كرمـــاً شكـواي فهي ودينِ الحُب منـك لكا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

لَمْـــــا سُلِخْتُ عن التعريف عرّفني حِبّي ألاَ اعْجَبْ لتعريفٍ بتنكير
أصْغرتُ نفسي لــه ذُلاً فـــأكبرني والخصمُ حـــارَ بتصغيري وتكبيري

☆ ☆ ☆

وقد تبخترت بحُلّة الافتخار ، بانتسابي لهذا القطب الجليل الفخار ، فألحقت قوله بقولي :

عُرفتَ من غير ما تنكيرِ مرتبةٍ ... ياسيداً فيه تعريفي وتنكيري
اذا ذكرتُكَ أفنى في محاضرتي ... وقد أقول لروحي نحوَه طيري
أحكي وأسكت والمعْنِيُّ أنت مع الحالين يا روحَ إضاري وتقريري

☆ ☆ ☆

ومن لطائف شرائف المنظومات الرواسية قول شيخنا رضي الله عنه :

وَجْهُ عليٍّ إذ يُعَدُّ الناسُ ... في كل عصر دونه الأكياسُ
ينوب طه بأفانين الهدى ... أجَلُّ عليه يُنْسَقُ القياسُ
القومُ أهلُ الله جسمٌ طيبٌ ... والوجهُ مِن آل الوصيِّ الراسُ

☆ ☆ ☆

وقد ابتهجت وتشرفت بإلحاقي قوليَ الآتي بقوله العالي :

اذا طغى الزمانُ أو باغٍ بغى ... وغَيَّر الودَّ القديمَ الناسُ
قوَّةُ ظهري وعصامُ مظهري ... ولنجاحي الركنُ والأساسُ
وجهُ عليٍّ في بنيه شيخُهُمْ ... ليثُهُمُ المبتسِمُ العبّاسُ
على أبيه المصطفى الصلاةُ مِنْ ... مولاهُ ما ترادَفَ الأنفاسُ

☆ ☆ ☆

ومن غُرر كلمات سيدنا الإمام الرواس رضي الله عنه قوله :

طِرْ بقلبٍ للباب إن شِمتَ طيراً ... بجناحيه للمُأمَّلِ طارا
وتقرَّبْ من السعيد بصدقٍ ... فعسى تبتني لأُخراك دارا
وانظر الفِطرةَ التي فَطَرَ الناس عليها ... وتعرفِ الأسرارا

كتب السرّ في الجبـــــاه ولكن هـات من يجعـل الخفـاء جهـارا

☆ ☆ ☆

وقد تنورت فألحقت قوله المبارك بقولي :

قـد أراد الإخفـاء ربي للسرّ لـذا صيّر الأنـام حيـارى
هم سُكارى بخمر طمْسٍ ومـا هُمْ من كـؤوس كرْميّـةٍ بسُكارى
أذهـل اللبَّ بـالجـلال وحُكمـاً شغـلَ السرّ حيّر الأفكارا
وهـدى العـارفين لكن سواهم قـد نراهم لم يعرفـوا الأسرارا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم في بابه :

هي الشمسُ مسكنُهـا في السماء فعَـزِّ الفـؤاد عـزاءً جميـلا
فلن تستطيـعَ اليهـا الصعـودَ ولن تستطيـعَ اليـكَ النزولا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

ومن رُسُلِ الشمسِ هـذا الشُعـاعُ ومُنْقَطِـعٌ حين تُلفِي الأُفـولا
فخلِّ الحـوادث فـالحـادثـاتُ أخـا اللبِّ من حُكمهـا أن تـزولا

☆ ☆ ☆

وقد روى الإمام أبو يعقوب يوسف الخوَيِّي[٣٨] في كتابه (فرائد الخرائد) بيتاً ونصه :

متى أرتِ الدنيـا نباهـةَ خـاملٍ فـلا ترتقبْ إلاّ خمـولَ نبيـهِ

---

(٣٨) يوسف الخوَيّي (أبو يعقوب) بن طاهر بن يوسف بن الحسن من أهل (خوى) من أعمال (أذربيجان) أديب نحوي سكن نوقان وولي نيابة القضاء بها من آثاره (فرائد الخرائد) في الأمثال والحكم فرغ منها سنة ٥٣٢ هـ قيل أنه قتل في وقعة الغز بطوس سنة ٥٤٩ هـ أو قبلها بيسير .

وقد ألحقت هذا البيت ببيت آخر فقلت :

هو الدهر يبدي الخارقات فداؤهُ   وإن عزّ يا مَيُّ الدواءُ ففيه

☆ ☆ ☆

ومن لطائف ابن المعتز العباسي[٣٩] طاب مرقده وهو معنى في غاية الحسن ونصه :

رأيتُ حياة المرء تُرخص قدرهُ   فإن مات أغلتْه المنايا الطوائحُ
كما يُخْلِقُ الثوب الجديد ابتذالُه   كذا يُخْلِقُ المرء العيونَ اللوامحُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله النفيس المزري بأجنحة الطواويس بقولي والله المعين

تراك العيونَ اللامحاتُ ولم تكنْ   ترى منك فضلا والمُشاكلُ قادحُ
متى غربتْ بالموت شمسُك أشرقتْ   معاليك والذَّمّامُ إذ ذاك مادحُ

☆ ☆ ☆

قال كثير ابن المطلب بن وداعة حين رأى فَجّار الأُمويين أكثروا من سب السبطين والإمام أبي الحسنين ـ عليهم رضوان الله وتحيته وسلامه ـ وذلك في مُلك هشام الأُموي :

لَعَنَ اللهُ من يَسُبُّ حسينا   وأخاه من سوقة وإمام
ورمى اللهُ من يَسُبُّ عليًّا   بجذام وأوْلق وجذام

---

(٣٩) إبن المعتز أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي الشاعر المبدع أخذ عن المبرد وثعلب وُلد في (بغداد) وأولع بالأدب ومع كماله وغزارة فضله لم يزل منغصاً في مدة حياته بويع له بالخلافة وظن أن الحظ قد تمسه له فلم يتم له الأمر إلاّ يوم وليلة . توفي سنة ٢٩٦ هـ : منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين .

يــأمنُ الطيرُ والظبــاءُ ولا يــأ   من رهــطُ النبي عنـــد المقـــام

☆ ☆ ☆

فحبس والي المدينة كثيرا وكتب بشأنه الى هشام فأمره بإطلاقه وأحسن اليه بعطية جزيلة .

قلت : الصُدام بضم الصاد المشدَّدة داء يُصيب الحيوانـات في رؤوسهـا والأولق كفَوْعل هو الجنون .

وقد ألحقت قول كثير بقولي والى الله المصير :

آل بيت النبي أنتم لعمري   رحمــةُ الله والهُـــدَى لـلأنـــام
قـد نظمتم سلـك المفـاخر يـزهـو   بنَبيٍّ ووارثٍ وإمـــــام
فعلى روح جَـــدكم وعليكم   صلــواتُ المـولى وأزكى الســلام

☆ ☆ ☆

وفي (مفـاكهـة الأُدبـاء) لشمس الإسلام ـ رحمه الله ـ أن عـامـلاً في زمن المأمون ـ طاب ثراه ـ طال مكثه في بلدة وثَقُل حا'له على النـاس فكتب بعض الأدباء رقعة فيها بيتان فاتصلت بالمأمون فعزله في الحال والبيتان :

وقـالـوا : العـزلُ للعمّـال حيضٌ   لحــــاهُ الله من حَيْض بغيضِ
فـإن يـك هكـذا فـأبـو عليٍّ   من الـــلائي يئسن من المحيضِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي والحكم لله وحسبنا الله :

اذا بلــغ الحَصى بُرجَ الـــدراري   وقــد سقــط النجـومُ الى الحضيضِ
فــدع فكرَ الكيـــان ونم سليمـــاً   ولا تســأل عن الــزمن المريضِ

لقد خلط الحقائق بالمعاني وما عرفَ المحبَّ من البغيض

☆ ☆ ☆

وفي مدح كلام شاعر قد ذكر الإمام أبو يعقوب الخوَيّي في الفرائد لبعضهم بيتاً مفرداً ونصه :

أرقّ من دمعة شيعية تبكي عليَّ بن أبي طالبِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قول القائل بقولي :

يبكي عليًّا كلُّ ذي حكمة فرَّقَ بين اللغو والواجبِ
فحُبُّه دينٌ وآياتُهُ معجزة للكاتب الحاسبِ
حُب عليٍّ إرث أهل الهدى يدور في القادم والذاهبِ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي بقولي :

قد عجبنا لمضمرات شؤونٍ لطواها قد يَعْجَبُ العاقلونا
نحن إنا لله بل واليه كيف ما دار دَوْرُنا راجعونا
قد فُتِنَّا وما فُتِنَّا بغير وحقيقاً لم يَظْلِمِ الحاكمونا
ويكون الذي مع العلم قد كا ن ومن حق حُكْمه أن يكونا

☆ ☆ ☆

وما أبدع وأشرف وأسنى قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

وجعلنا[٤٠] حُكمَ مضى فعجيبٌ بَعْد أن بتَّ حُكْمُهمْ أنذرونا

(٤٠) الإشارة هنا الى قوله تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) .

فمعنى (أتصبرونَ) وجـــدنـــا قـد يُوَفَّى أجـورهـا الصـابرونـا
بين حُكمٍ وبين إيقـــاظِ لُطْفٍ فتنـــةٌ حُيِّرَتْ بهـا العـارفـونـا
نسـجَ الحكمَ رَمْـزَهُ حينمـا خَـطَّ بلـوح التقـديـر كافـاً ونـونـا
ضـورع الفعـلَ مـذانيتَ أخِـلاَّهُ كما كان فـافهم المضمـونـا
عرَّفـونـا وأنـذرونـا ولطفـاً أيقظـونـا ودهشـةً حيَّرونـا
فـاذاً ضـارعَ المعـاني أحبّـاه انقيـاداً ولْيَصْبِرِ العـاشقـونـا
كلُّ نـاءٍ اذا صبرتَ فَجَـاراً قـد تراهُ وأرْضَـه جَيْرُونـا

☆ ☆ ☆

ولطيف قول بعضهم في القهوة :

رُبَّ سـوداءَ وهي بيضـاءُ معنىً حُبُّهـا للنفـوس أضحى يُصـاحِبْ
لُبُّهـا قِشْرُه لقـد زال عنـه فلـذا عُـوِّضَتْ ضميرا غـائبْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي هذا ، وفيه معنى قدس شريف :

نَكَّرَ الـذنْبُ يـالنـاري وجـودي ودهـاني وزري بهجر الحبـائبْ
غـاب من نسبـة الـوجـود ضميري فـأنـا حـاضر وقلبيَ غـائبْ
بنهـــارِ الغرام ليليَ مضنى (إن في الليـل والنهـار عجـائبْ)

☆ ☆ ☆

ومن لطـائف الإشـارات الرائقـة الرشيقـة قول شيخنـا وسيـدنـا الإمـام السـيد محمد مهدي آل خزام الصيـادي الرفـاعي الحسيني الشهير بـالرواس رضي الله عنه وعنا به :

رأى البـارقَ النجديَّ طرفي فخالـه رقيـق قـوامِ الحِبِّ والتبس الأمرُ

وأشرقَ فجرُ الصبـح يـزهـو فظنـه   مُحَيَّـا الـذي يَهْوى فهـل كـذب الفجرُ ؟
تَحَـدَّثْ أطرْفي بـالـذي أنتَ موقِنٌ   ومنـك وأيم الله قـد يُقْبـل العـذرُ
ودَعْ عنـك لـومَ الـلائمين فـإنهم   بـأعينهم رَمُّ الحصى الأنجمُ الـزُّهرُ
وحسبـك حُبُّ الحِبِّ في كل حضرةٍ   ومبتـدئٍ يُعْلي بـه الخَبَر الخُبْرُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي الغالي بقولي وفيه لسان حالي :

أرى طرفيَ المنكفَّ لم يَرَ بـارقـاً   يقيس بـه حِبي ليلتبس الأمرُ
ولم يَرَ فجرَ الصبـح حتى أظنـه   مُحيّـا الـذي أهوى ويكـذبني الفجرُ
فإن قلتُ : يا طرفي تحدث في الـذي   لـديـه وقـد غشّـاه واويلـه الـوزرُ
وإن عبث اللـوامُ بي فتهجمٌ   بحـقٍ ومـالي إذ أُسـاجلهم عـذرُ
ومبتـدئي مـافيـه من خبرٍ اذا   أُترجمـه بـه يُعلي الخَبَر الخُبْرُ
وكُلِّيَ نقصـانٌ وعيبٌ ومجملي   ذنوبٌ مَحَتْ طوقي وليس لها حصرُ
ومـالي سوى حب النبي وآلـه ﷺ   اذا ضمني من بعـد أن أُصْرَفَ القبرُ
وإني بـأعتـاب الـوصي وسـادتي   بنيـه الأُولى مَنْ دون فيضهم البحرُ
وصـدق انتمائي للرفـاعيّ أحمـد   وللسيـد المهـديّ والعهـدُ يَنْجَرُّ
تسلسلـه تلـك الأكفّ الى الـذي   بكُبَّـار زُهْرِ المرسلين لـه الصـدرُ
عليـه صلاة الله مـاانفلق الـدجى   بصبح وفي سمك العُلا انبلج البـدرُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

أُحـاذر من عين الحبيب وقـد أرى المحبين من عين الرقيب تُحـاذرُ
شؤون بـأفهـام الرجـال تبـاينتْ   لها بـاطنٌ يتلوه في النسق ظـاهرُ
فهـذا على دين المحبـة وارد   وهـذا عن الحُكم المطلْسَم صـادرُ

سرائر تغشاهـا الحيـاةُ ولم تكن	لِتُبْلَى لعمري يـوم تبلى السرائرُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرّفت بالحاق قوله العالي بقولي :

دعـاني لـدين الُحب وجـدٌ مُطلسمٌ	بسرٍّ وللحب الصميم سرائرُ
وهيمني حتى فنيتُ بلـوعتي	وبـاطنُ حـالي لـلأحبة ظـاهرُ
ومـالي سـوى صدق المحبة شـاهـدٌ	ومـالي سـوى الدمع المرقرق نـاصرُ
أبوحُ بمـا في القلب من زفرة الهوى	وبي غـائبٌ من طـور قلبي وحـاضر
ومـا أنـا في الركب اليماني َّ واردٌ	ولا أنـا في الركب التهاميّ صـادرُ
مقـولاتُ أقـوالي عليَّ شـواهـدٌ	وأسماءُ أفعـالي لـديَّ مصـادرُ
رقـائـق أسرارٍ يُطلسم نسجَهـا	من الُحب معنىً في الحقيقـة قـاهرُ
وإن مليـك الُحبّ في لب أهلـه	وإن نُـوّع الأطـوار نـاهٍ وآمرُ

☆ ☆ ☆

ومن جواهر المعاني ماقاله شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

تـدبَّرْ سِرَّ ربِّ البيت لـمـا	لأبرهـةَ الطيـورُ رمتْ حجـاره
وأورد شيبـةُ الحمـد المعـاني	فـأُفرغتِ البشـارةُ في الإشـاره
ترى المعنى فتبرزه الخفـايـا	بمجـلاهـا وتنبلـج السّراره
فربَّ إمـارةٍ طُـويتْ بـأمر	تـألّـق عنـه في المجلى أمـاره
معـانِ حـارت الألبـاب فيهـا	وكم تطـوي الإشـارة من بشـاره
وكم لجنـاب وارثـه الرفـاعي	بهـذا الكـون من مَـددٍ وغـاره
وللصيّـاد ذي الشرف المعلّى	فكم في ظلمـةٍ سطعت إنـاره
وللمهـديّ شيـخ ذوي المعـالي	جـلال تحت طيّـات الستـاره

وللمـــــولى أبي البركات كم مِنْ   براهينٍ حَرَسْنَ الـــــدهرَ داره
وكم أعلى ابنُ خير الله يـــومـــاً   بسرّ اللهِ للعـــــاني جـــدارَه
وكم بـــالعـــزمِ من رَجَبٍ أُفيضتْ   بحـــالِ اليـــأسِ للراجي بشـــاره
رجـــالٌ مـــاج بحرُ الحـــالِ فيهم   ونسَّـق فيهم الهـــادي شعـــاره

☆ ☆ ☆

وهنا تشرفت فألحقت قوله المبارك الطاهر بقولي والله المعين :

صرفنـــا القلب عن زيـــد وعمرو   وعن خُضْرِ الحـــدائـــق والعمارهْ
وعن عمـلٍ وعن علمٍ لـــدينـــا   ســوى علمٍ تصححـــه أثـــارهْ
وقـــد لُـــذنـــا ببـــاب الله دهراً   وبـــالتسليم قـــد تنمو التجـــارهْ
وتـوَّجنـــا الرؤوس بـذيـل طـه الـــذي بيـــديـــه سبَّحَت الحجـــارهْ
فتلـــك بشـــارةٌ من غير ريبٍ   على محق العـــدو بهـــا إشـــارهْ
سيبـــدي اللهُ للمختـــار شـــأنـــاً   ويـــأخـــذ من عـــدو بنيـــه ثـــاره
فكم للمصطفى من معجـــــزاتٍ   بطَـوْلِ أخمـــدتْ للخصم نـــاره
وينتصر الإلـــــه لهم بغـــوثٍ   متى في حـــادثٍ رامـوا انتصـــاره
مَشـــاهِـــدُهُمْ منصّـــاتُ التجلي   تطـوف بهـــا الأكابر للـزيـــاره
وهُمْ ببني البتـــولِ الطُّهر حـــزبٌ   اذا عرَّفتهم سِرُّ السّراره

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول مولانا وسيدنا القطب الغوث الإمام الجليل السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه وعنا به :

نفحـــة الـوَردِ مُـــذ مَرَرْتُمْ على الخـــاطر عَمَّتْ أطرافنـــا والنـــواحي
آهِ مـــا أطيبَ المرَقْرَقَ من عِطْريّ زاكي شَـــذاكُمُ النفـــاح
يـــا شمـوسَ الملاحِ عطفـاً فـإنـا   هـذنـا الصدُّ يـاشمـوسَ المـلاح

أسعفونـــا بلمحـــة فَلَكَمْ عـــا شَ مُحبٌّ بطرفـــــه اللمَّـــاحِ
وأعيـــدوا عـــاداتِكم بحنـــانٍ وامْحَقـوا بـــالتقريب زعْمَ الـلاحي
فـــالهـوى مُقلـقٌ وطـور التجني مُحْرِقٌ والمحب ليس بصـــــاحِ
سُنَّـــة الحُب في الحقيقـــة سُكرٌ فـــأديروا بـــالقرب كاس الراحِ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بالحاق قولي لقوله العالي الغـالي نفعنـا الله بعلومـه ومـدده آمين :

ذكركُم يـــاكرامُ إن دارَ فينـــا كان كالراح دار بـــالأقـــداحِ
يـــالَـــه من رقيـق لُطفٍ خفيٍّ هـــو لاشـــك راحـــةُ الأرواحِ
يستميـل القلـوبَ منـــا بـوَجْـدٍ مُرْقِصٍ في مســـائنـــا والصبـــاحِ
فتطيرُ الأسرارُ شـــوقـــاً اليكم عن وُلـوهٍ منـــا بغير جَنـــاحِ
إن جُنِنَّـــا بحبكم وَوَلِهْنـــا مـــا علينـــا وحقكم من جُنـــاحِ
قـد أطـاشَ استغراقُنـا اللبَّ منـا فصُمِمْنـــا طبعـــاً عن النُّصـــاحِ
يفرحُ النـــاسُ تـــارةً وبكم مـــا زال نُمضي الأوقـــاتِ بـــالأفراحِ

☆ ☆ ☆

ويعجبني قول الشاعر النبيه المفلق ابن الرومي الشهير(٤١) وذلك :

وحَبَّبَ أوطـــانَ الرجـــال اليهمُ مـــآربُ قَضَّـــاهـــا الشبـــابُ هنـــالكا

---

(٤١) ابن الرومي

أبو الحسن علي بن العباس كان من أطبع الشعراء الاسلاميين له القدرة على الاتيان بالمعاني الغريبة . قال الخالديان : مارأينا امرءاً أعجب من أمر إبن الرومي فإنه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذي أخذه منه .

قال الصفدي : والعلة في هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق محسن التخيل فإذا طرق المعنى بكراً أتى به في غاية الحسن فالذي يأتي بعده لم يجد فيه فضلة . وُلد في بغداد وتوفي سنة ٢٨٣ هـ : من منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين .

اذا ذكروا أوطــــــانهم ذَكَّرَتْهمُ   عهــودَ الصِّبَى فيهــا فحنــوا لــذلكا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وكم حسراتِ للغريبِ مُلحــــــةٍ   تُضَيِّـقُ عن حُـزنٍ عليـه المسـالكا
فـإن هـانَ في آهِ وإن عَـزَّ قـولُـه   ألاَ ليتَ قـومي يعلمـون بـــذلكا

☆ ☆ ☆

ونقل الخويي في الفرائد عن بعضهم أنه أنشد . قلت : وقد أجاد :

كم والـــــــــدِ يحرم أولادَه   وخيرُه يحظى بـــه الأبعـــدُ
كالعين لاتبصر مــاحــولهـــا   ولَحْظُهـــا يُـــدرك مـــا يَبْعُـــدُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

أعجب ممن عيْنـــــه لم تـــزل   ترى عُيـوبَ النــاس إذْ تَنْقُــدُ
حتى اذا جـــــاء الى عيبــــــه   إنْ لم يكنْ أعمى فقـــل أرمــــدُ

☆ ☆ ☆

ويعذب قول القائل :

لكل هم من الهمـــوم سَعَـــــهْ   والصبــح والُمسِيُّ لا بقـــاء معَــــهْ
قـــد يجمـع المـــالَ غيرُ آكلــــه   ويـــأكل المـــالَ غيرُ من جمعَـــهْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

كم ربَّ وصـلِ زمـــانُـــه قطعـــه   وفرَّق الـــدهرُ كلَّ مـــا جمعَـــهْ
فصــادعـــاتُ الأيـــام ضيقـــةٌ   وســانحـــاتُ الخيــال مُتسعـــهْ

☆ ☆ ☆

وحسن قول بعضهم :

ليس الذي يعطيك تالدَ مالِه   مثلَ الذي يعطيك مالَ الناسِ
وتفاضلُ الأخلاق إن ميَّزتها   في الناسِ مثلُ تفاضلِ الاجناسِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

ومن العجائب رَبُّ جهلٍ يَدّعي   علماً ويكذبُ كَذْبَةَ الخنّاسِ
يرضى ويغضب للهوى عن خسّةٍ   مَزَجَتْ له الأحلامُ بالوسواسِ
يَقْني اللئامَ بطانةً وجميعُه الـ   حقدُ الذميمُ على كرام الناسِ

☆ ☆ ☆

وما أعذب قول الشريف الرضي الموسوي الحسيني(٤٢) ـ قدس الله روحه ـ يُخاطب نفسه تجاه المسترشد رحمه الله تعالى :

هـذا أمير المؤمنين محمدٌ   قد طابَ مولدُه وطاب المحتدُ
أو ما كفاكِ بأن أمكِ فاطمٌ   وأباكِ حيدرةٌ وجدّكِ أحمد ﷺ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله قدس سره بقولي :

كلُّ المفاخرِ إن علت غاياتُها   عن فخر أهل البيت قسراً تَقْعُدُ
وبزُهْرِ أهلِ البيتِ أشرفُ غايةٍ   فيها البتولُ وحيدرٌ ومحمدٌ ﷺ

☆ ☆ ☆

---

(٤٢) الشريف الرضي

محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الرضي العلوي الحسيني الموسوي أشعر الطالبيين على كثرة المجيدين فيهم وشعره من الطبقة الأولى رصفاً وبياناً وإبداعا انتهت اليه نقابة الاشراف في حياة والده مولده ووفاته ببغداد سنة ٤٠٦ هـ : منهاج اليقين شراح أدب الدنيا والدين .

ويعذب أيضاً قول الشريف ابن أبي السعادات الحسيني[٤٣] قدس سره :

لِأَن أنـــا أقللتُ فيما أقـــول فـــإني سبقتُ الشريفَ الرضي
تركت الحُطــام لطُــلاَبها على أنَّ عيشَ الـــدُنــا ينقضي
وحققت نفسي بمحض الرضـــا ويَغْلِبُ أيَّـــامَـــهُ من رضي

☆ ☆ ☆

وقد تبركت بإلحاق قوله بقولي :

تَمَحَّضْتُ بـــالصبر في الحـــادثـــاتِ وأعرضتُ طـــوْراً عن المعرضِ
وخليتُ كلَّ ذميم الخِـــلالِ وكلَّ أخِي زفرةٍ مُغرضِ
وعـــاهـــدتُ ربي على الصـــالحـــات وعهـــدُ أولي الصـــدق لم يُنْقَضِ
وشتـــانَ بين شريف العروق ونـــذلٍ يتيـــه بطرزٍ وضي
يروغ الـــدنيُّ فيعلـــو بـــلا نظـــامٍ ويجهـــلُ مـــا يقتضي
وإن النجيبَ كآبـــائـــه ترابَ التـــواضِـــع لم يَنْفِضِ
أجَـــلْ للتراب مـــآلُ التراب ومـــا كان في البين قـــد يَنْقَضي
ويُقْضَى عليـــك كما قـــد علمتَ فِراقُ محبـــكِ والمبغضِ

☆ ☆ ☆

وذكر الخوَيِّي في الفرائد لبعضهم بيتين يعذب ذكرهما ، ونصهما :

وطـول مُقـام المرء في الحي مُخْلِـقٌ لـديبـاجتيـه فـاغترب تتجـددِ
فـإني رأيتُ الشمسَ زيـدتْ محبـةً الى النـاس أنْ ليستْ عليهم بسرمـدِ

☆ ☆ ☆

---

(٤٣) هبة بن علي بن محمد الحسني أبو السعادات الشريف المعروف بابن الشجري من أئمة العلم في اللغة والأدب وأحوال العرب كان حسن البيان ، حلو الألفاظ من كتبه : « شرح اللمع » لابن جني و « الحماسة ـ ط » ضاهى به حماسة أبي تمام وغيرها توفي ببغداد سنة ٥٤٢ هـ .

فألحقت قول القائل بقولي :

ومن أين يحلـو لـلأريب مُقـامُـه بـدارِ بحُكم الفَقْـدِ ذاتِ تَبَـدُّدِ
ألاَ إنهـا الـدنيـا وكلُّ شـؤونهـا تروح على متن الفراق وتغتـدي

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول القائل :

غِنَى النفس لمن يعقـل خيرٌ من غِنَى المـالِ
وفضـل النـاس في الأنفس ليس الفضـل في الحـالِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

وكل النـاس خـلانٌ لأهـل المظهر العـالي
وعـزُّ المجـدِ بـالأخـلاق لا بـالعم والخـالِ

☆ ☆ ☆

ومن شرائف الحِكم قول بعضهم :

غلـط الطبيبُ عليَّ غلطـةَ مـورد عَجَـزَتْ مـواردُه عن الإصـدارِ
والنـاس يَنْحـونَ الطبيبَ وإنمـا غلـطُ الطبيبِ إصـابـةُ الأقـدارِ

☆ ☆ ☆

وألحقت قول هذا القائل بقولي والأمر لله :

قـامت مـع الآزال كلُّ حقيقـةٍ في عِلم خـالقهـا الحكيم البـاري
مـا يصنـع الإيرادَ والإصـدارَ منْ بَشرٍ بحُكم الـواحـدِ القهـارِ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول قائلهم :

وأُغْضي على أشياءَ لو شئتُ قلتُها ... ولو قُلتُها لم أُبق للصلح موضعا
فإن يك عودي من نُضارٍ فإنني ... لأكْرَهُ يوماً أنْ أُحَطِّمَ خِرْوَعا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

تَرَفَّعَ طبعي أن يُلايم خائناً ... ولو جعل البرج السماويَّ موقعا
وحاشاي من عزوِ العيوب لصاحبٍ ... فلم تُرْتَضَ الأصحابُ إلاّ لتنفعا

☆ ☆ ☆

وما أعذب قول العارف الشمس محمد البكري[٤٤] - قدس الله سره - متوسلا بالحبيب الأعظم ، ومادحاً لجنابه المكرم ﷺ ونصه :

ما أرسل الرحمن أو يُرسل ... من رحمة تصعد أو تنزلُ
في ملكوت الله أو مُلكه ... من كل ما يختص أو يشملُ
إلاّ وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسلُ
واسطة فيها وأصل لها ... يعرف هذا كل مَن يعقل
فلذ به في كل ما ترتجي ... فهو شفيع دائماً يقبل
وعُذ به من كل ما تختشي ... فإنه المأمَنُ والمعقل
وحُطَّ أحمال الرجا عنده ... فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل

---

(٤٤) محمد البكري

محمد بن محمد أبي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي من أكابر علماء الشريعة والحقيقة ، له شعر جيد من كتبه « شرح مختصر أبي شجاع » و « تحفة السالك لأشرف المسالك » و « أخبار الأخيار » مولده ووفاته بمصر سنة ٩٩٣ هـ : الأعلام للزركلي .

يا أكرم الخلق على ربه   وخير من فيهم به يُسأل

قد مسّني الكرب وكم مرة   فرّجت كربا بعضه يُذهل

ولن ترى أعجزَ مني فما   لشدة أقوى ولا أحمل

فبالذي خصّك بين الورى   برتبة عنها العُلا ينزل

عَجِّلْ باذهاب الذي اشتكي   فإن توقفت فمن أسأل

فحيلتي ضاقت وصبري انقضى   ولستُ ادري ما الذي أفعل

وأنت باب الله أيّ امرئٍ   أتاه من غيرك لا يدخل

صلّى عليك الله ما صافحت   زهر الروابي نسمةٌ شمأل

مُسلّماً ما فاح عطر الحمى   وطاب منه الند والمندل

والآل والأصحاب ما غرّدتْ   ساجعةٌ أُمْلُودها مُخْضَلُ

☆ ☆ ☆

وقد تنورت وتبركت وتشرفت بمدح سر الوجود ، ومعدن الكرم والجود ﷺ ملحقاً قول العارف البكري - قدس الله روحه ونوّر ضريحه - بقولي وحسبي الله وحده :

لك اللواءُ الأشرفُ الأطولُ   يا سيداً راجيه لا يُخذَلُ

في موكبِ الرسلِ شموسِ الهدى   أنتَ الإمامُ الآخر الأوّلُ

زُرَّ على العلم وكلّ التقى   منك الرداءُ الأسعدُ الأفضلُ

فشرعُكَ العدلُ وآياتُهُ   عن نهجها المأمون لايُعدلُ

وأنتَ سر الله في خلقه   من حاد عن هديك لا يُقبلُ

يا قبضةَ النور التي سَطْعُها   لوضحه شمسُ الضحى تخجلُ

بكنزها المبهم في سرّها   هذا الكتاب الأقدسُ المُنْزَلُ

يا لَوْحَ عِلم الله يا مَنْ به   فُضِّل في تنسيقه المُجْمَلُ

علمك معراجُ الترقي لمن   لله إيقاناً به يَعملُ

لـولاك فـالتـوحيـدُ في الكـون لم يُعْرَفْ ومعنى طَـوْلِـهِ مُهمـلُ
عن بحرك المسجـور كلُّ الـورى صنوفُـه علم الهـدى تَنْقـلُ
يـا روحَ ذرّات الـوجـود التي بعرشهـا ارواحُنـا تحفُـلُ
أنت حيـاة الكل من كـوننـا وذخرُنـا حينَ غـداً نُسـألُ
بـوجهـك الأزهر يـا قبلـةً يقصـدهـا الـذاهبُ والمقبـلُ
دارك فـإن الـذنبَ واحسرتي قـد هَـدَّ حيلي حِمْلُـه الأثقـلُ
وفَرِّجِ الكربَ الـذي عِبـؤُهُ وقلبِـكَ الأرحمِ لا يُحْمَـلُ
أدعـوك يـاجَـدّاه فـامنن على قطعي بـوصلٍ قـط لايُفْصَـلُ
ومن صـلاة الله في قـدسـه يُهـدى اليـك الأعطرُ الأجـزل
وآلـك الـزُّهرِ أُسـود الـوحى والصحبِ مـا الغيثُ انبرى يهطـلُ
ولألأ البرق ولَيْـلٌ دَجَـا وضجَّ ركبٌ وَجْـدُه مُـذهِـلُ
ورنَّـحَ الروضَ نسيمُ الصَّبـا وفـوقَ غصنٍ بَرْقَمَ البُلْبُـلُ

☆ ☆ ☆

وما أرشق قول ابراهيم بن العباس[٤٥] ـ رحمه الله ـ في صديق خان ، ونقض العهد ومان ونصه :

وكنتُ أذم اليـك الـزمـانَ فـأصبحتُ فيـك أذمّ الـزمـانـا
وكنتُ أُعِـدُّك للنـائبـات فهـا أنـا أطلب منـك الأمـانـا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقول ، ورب مقال ، فيه حكاية حال :

تمـاديتَ حينَ كفرتَ الجميـلَ ومن يكفرِ البرَّ لاشـكَّ خـانـا
وطيشـاً أمِنتَ انتصـاف الحكيم وبـالخـوف تعرف هـذا الأمـانـا

---

(٤٥) ــــــ

سَيُبْرِزُ من عـدلـه اللهُ مـا استحـالَ لـديـكَ فتُلْفيـه كانـا

☆ ☆ ☆

ويعجبني ما أورده الخَويِّي مفرداً في الفرائد وهو :

وكلُّ غِنىً يَتيـهُ بـه غَنيٌّ　　　فمرتَجَـعٌ بمـوتٍ أو زوالِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقته بقولي :

يَمُرُّ الشـأنُ من عُسرٍ ويُسرٍ　　　ولن تبقى الشؤونُ مـع الليـالي
فـالُـك والهيـاكلُ والمرايـا　　　خيـالٌ في خيـالٍ في خيـال

☆ ☆ ☆

وهذه أبيات أبيّاتٌ من كلام سيدنا خالد بن الوليـد[٤٦] ـ رضي الله عنـه ـ وقد قال هذه الأبيات يوم طرق العراق من اليمامة بطريق المفازة وخوّفه رافع الطائي ـ رضي الله عنه ـ من العطش فحمل الماء الكثير ، وسقى مائة شارف الماء وكعم أفواهها وسار فلما توسط المفازة وعطش الناس والخيل نحر الإبل واستخرج مافي بطونها من الماء وسقى الخيل ، وشرب الناس من الماء المحمول وسرى حتى رأوا السّدْر فقال رافع : هل ترون سِدراً ؟ فإن رأيتموه وإلاّ فالهلاك .

فقالوا : ننظر السّدر فكبّر وكبّر الناس ، ثم هجموا على الماء وكان من النصر على يد سيدنا خالد ما كان وهنالك أنشد خالد ـ رضي الله عنـه ـ هـذه

(٤٦) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي . سيف الله . الفاتح الكبير الصحابي . كان من أشراف قريش في الجاهلية يلي أعنّة الخيل أسلم قبل فتح مكة وجهه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لقتال مُسيلمة ثم سيّره الى العراق ففتح الحيرة وحوّله الى الشام وجعله أمير من فيها . كان مظفراً خطيباً فصيحاً قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . توفي في حمص سنة ٢١ هـ . الأعلام للزركلي .

الأبيات ونصها :

لله دَرُّ رافــــعٍ أنىَّ اهْتَـــــدى ... فَـــوَّزَ مَنْ قُراقِرٍ الى سُـــوَى
خِمساً اذا ســار بـه الجيش بكى ... مـا سارهـا من قبلـه إنسٌ يُرَى
عند الصبـاح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى ... وتنجلي عنهم غيـابـاتُ الكَرَى

☆ ☆ ☆

فألحقت قول الأمير الخطير سيدنا خالد رضي الله عنه بقولي :

اذا الفتى جـاهَـدَ في نهـج الهـدى ... وثـــار لله بـــأمره اهتــدى
وليس للكسـلانِ من شــأن يُرَى ... وليس لـلإنسـان إلاّ مــاسعى
والعبـد مقـدورٌ وإن ظن القـوى ... وذو الهـوى وإن عـلا عبـد الهـوى

☆ ☆ ☆

ويعذب قول بعض شعراء العرب في رجل آذى أهله وقبيله ، وكفر بحكم الرحم والأُسرة والفصيلة ، ونص قوله :

لم تكنْ عن جنـــايــــة لحقتني ... لا يَسَـــــاري ولا يميني جَنَتْني
بــل جنـــاهــا أخٌ عليَّ كريمٌ ... وعلى أهلهـــــا براقشُ تجني

☆ ☆ ☆

قلت : وبراقش كلبة لقوم من العرب أُغير عليهم فهربوا ومعهم براقش فاتّبع القوم آثارهم بنباحها فهجموا عليهم واصطلموهم .

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

كلٌّ مَتْني وهنــــدُ مـــا كَلَّمَتْني ... ولطيشٍ بــدائهـــا قــد رمتني
قطعَتْ حبـلَ وُصْلَتي لا لـذنبٍ ... وعن البرِّ بــالأذى قــابلتني
هي في طَـوْرهـــا براقشُ كادتْ ... تُلْحِـقُ القــومَ بي وتُفْشِـلُ مَتني

لكنِ اللهُ جلَّ عدلٌ كفاني شرَّها والأقدارُ قد حرستني

☆ ☆ ☆

ولي في هذا المعنى أبيات ظريفة وها هي :

خامري ما استفاضَ يا أم عمرو رُبَّ آنٍ بالقول يَعْدُ المناقشْ
أنتِ فيما أبرزتِ من دنس الزو رِ كخبلٍ في لُجة الماء ناقشْ
قُمتِ طوراً كلبوَةٍ ذاتِ بأس وَدّعينا ماأنتِ إلاّ براقشْ

وأورد الخويّي لبعضهم ما نصه :

دهرٌ علا قدرُ الوضيع به وهَوى الشريفُ يَحُطُّه شَرَفُهْ
كالبحر يَرْسُبُ فيه لؤلؤهُ سُفلاً ويطْفو فَوْقه جِيَفُه

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

يارُبَّ بين الأنام من سَلَف علا وقد حَطَّ بعده خَلَفُهْ
وأشرفُ الناس سيرةً خَلَفٌ يرضاه في حُكم طوره سلفُهْ
يخلو الكريمُ الأُصولِ عن قَدَرٍ من درهمٍ يُقْتَنى به تَرَفُهْ
لكن اذا الخُلقُ صانَ مظهَرَهُ بفقره يَزْدهي به شرفُهْ
وكلُّ أصلٍ مهما علا وسما يعلو بتقليد حاله طَرَفُهْ

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول دعبل الخزاعي ونصه :

تلك المساعي اذا ما أخّرَتْ رجلاً أحَبَّ للناس عيباً كالذي عابَهْ
كذاك من كان هدمُ المجد عادَتَه فإنه لِبُناةِ المجدِ عَيّابَهْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

وربَّ ذي حسبٍ عـالٍ أضرَّ بمـا ... قـديمُـه شـادَ لَمَّـا قـدَّ أطنـابَـهُ
فـإن مَنْ رامَ مجـدَ السـالفين سعى ... لـه وَوَطَّـدَ بـالأخـلاق أسبـابَـهُ
وصـاحبُ الزُهْرِ لم يحفلْ بـذي عـوج ... وتَعْرِف المرءَ إنْ مـاشمتَ أصحـابَـهُ

☆ ☆ ☆

وما أبدع قول أبي هفان ونصه :

تَعَجَّبَتْ (دُرُّ) من شيبي فقلت لهـا ... لا تعجبي فطلوعُ البـدر في السُّدَفِ
وزادهـا عجبـاً أن رُحتُ في سَمَـلٍ ... وما دَرَتْ (دُرُّ) أنَّ الدُّرَّ في الصَّدَفِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قولي بقوله وهاهو :

ديبـاجـةُ الـذاتِ تُعلي الـذاتَ إن حسُنَتْ ... ومـا بـديبـاجِ بُردِ المرء من شرفِ
بـالعقل والفضل تعلـو الـذاتُ أين مضتْ ... والبُرْدُ إن عـزَّ مطروح على الكتفِ
والفضـلُ يـزدادُ إن أنفقت منـه وإن ... المـال ينْقُصُ والبرهـان غير خفي

☆ ☆ ☆

وحسن قول العباس بن مرداس[٤٧]:

ترى الرجـلَ النحيفَ فتزدريـه ... وفي أثـوابـه أسَـدٌ مـزيرُ

---

(٤٧) العباس بن مرداس :

العباس بن مرداس بن عامر السلمي من مضر ، شاعر فارس من أهل عقيق البصرة ، كان سيداً مطاعاً في قومه ادرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل فتح مكة وكان يغزو مع النبي ﷺ وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية توفي سنة ١٨ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : الأعلام للزركلي .

ويعجبـــك الطريرُ فتبتليـــه ... فيَخلفُ ظنَّـــك الرجـلُ الطريرُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي وحسبي الله :

تلطَّفْ بـــــالفقير فرُبَّ آن ... يقـومُ بحملـــك الرجــل الفقيرُ
ويُخلِفـــكَ الغنيُّ الظنَّ وهنـــاً ... ففي العـزمـــاتِ تختلفُ الأُمــورُ
وفي الأمرين كن لله عبـــداً ... كما يرضى فللـــــــه المصيرُ

☆ ☆ ☆

وما أشرف ما ينسب لسيدنا الإمام الشافعي(٤٨) رضي الله عنه وعنـا بـه ونصه :

رضينــا بــالعلـوم تكـون فينــا ... مُخلَّـــدةً وللجهـــال مـــالُ
لأن المـــال يفنى عن قريبٍ ... وإن العلم ليس لـــــه زوالُ

☆ ☆ ☆

فألحقت كلامه العالي بقولي :

رجـــالُ المـــال إن برزت شؤونٌ ... من الأيـــام في صفّ النعـــال
وأهـــل العلم عن شرفٍ وعـــزٍّ ... لـدى الحـدثـان في سُـددِ المعـالي

---

(٤٨) الإمام الشافعي :

محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع إمام الأنام ، ونظام الاسلام ، أحد الأئمة الأربعة الأطواد الشامخة في الدين الأجواد ، علم العلماء شظية من علمه ، وحلم الحلماء جذوة من حلمه . أحلّه الله محل القدس ، وأدلى اليه سحاب الأُنس ، قال المبرد : كان الشافعي - رضي الله عنه - أشعر الناس وآدبُ الناس وأعرفهم بالفقه والقراءات .

قال الإمام أحمد بن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلاّ وللشافعي في رقبته مِنّة .

أفتى وهو ابن عشرين سنة وكان ذكياً مفرطاً أشهر كتبه « الأمّ » ومنها « المسند » و« فضائل قريش » و« أحكام القرآن » وغيرها . ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وتوفي في القاهرة سنة ٢٠٤ هـ الأعلام للزركلي : منهاج اليقين في شرح أدب الدنيا والدين .

وكم ذلَّ المليُّ بغير علم ... وكم عَزَّ العليمُ بغير مال

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول قائلهم :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ... ولكنها دار انتقال لمن عَقَلْ
اذا أضحكتْ أبكت وإن هي أقبلت ... تَوَلَّتْ وإن أعطتْ فأيامُها دُوَلْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

وقد تصرعُ الأيامُ صرعةَ غادر ... غفولاً بأميال التعالي قد اكتحلْ
تُقيمُ شؤوناً لم تُخيَّلْ لعاقل ... ويقصر رغمَ المرء في طوله الأملْ
وفي الحكمة التدبيرُ زينٌ وفي الرضا ... فحيلةُ ربّ الحكمة التركُ للحيَلْ

☆ ☆ ☆

ومن كلام الشريف علي الحماني الحسيني[49] قدس الله روحه قوله :

هيَ الأيامُ والعبَرُ ... وأمرُ الله مُنْتَظَرُ
أتيأس أن ترى فرجاً ... فأين اللهُ والقدَرُ

☆ ☆ ☆

(٤٩) علي الحماني الحسيني : علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين . يعرف بالأفوه من أجلّ أولاد الحسين ومن مشهور شعراء الطالبيين وله ديوان مشهور قال الناصر : لو جاز قراءة شعر في الصلاة لكان شعر الحماني . وسئل الامام الهادي : من أشعر الناس ؟ فقال : الحماني . توفي سنة ٢٧٠ هـ بعد مخرجه من الحبس وفي اللوامع لابن حبيب المؤرخ أنه توفي سنة ٢٠١ هـ وهو الصحيح .

من لطيف شعره قوله قدس الله سره :

لنا من هاشم هضبات عز ... مطنبة بأبراج السماء
تطيف بنا الملائك كل يوم ... ونكفل في حجور الأنبياء
ويهتز المقام لنا ارتياحا ... ويلقانا صفاه بالصفاء

وقد ألحقت قوله المبارك بقولي :

يَجيءُ اللطف مُندجاً ... بحـــال طِرزُه الخَطرُ
وتبـــدو أزمـــةٌ للعين ... يروي خيرَهـــا الخَبَرُ
ورُبَّ دُجىً رمى قُلَلَ الـ ... ـظـلام فكفَّهـــا القمرُ
وكم قــومٍ سقـــاهم بَعْـ ... ـدَ يأسٍ في الفلا المطرُ
خفيُّ اللطفِ قـد يـأتي ... بمـــالم يَفْقَـــهِ البشرُ

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول القائل :

إن الكرامَ اذا مـا استُعْطفوا عطفـوا ... والحُرُّ يعفـو لمن بـالـذنب يَعْترفُ
والصفح عن مكرمٍ قـد تـاب مَكْرُمـةٌ ... وفي الـوفـاء لأخـلاق الفتى شرفُ
فـالعفـو بعـد اقتـدارٍ فعلـهُ كرمٌ ... والهجرُ بعـد اعتـذارٍ فعلـه سَرَفُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول هذا القائل بقولي :

الحُرُّ يُصْحَبُ لا تُخشَى بـوائِقُـــه ... والخِبُّ كُـلَّ فعـالِ السـوءِ يقترف
إن أنتَ أحسنتَ للخِب الـدني أســاء الفعـلَ ... والعِرقُ طـورَ المرء يختطفُ
ففي المعـــادن سرٌّ في نتـــائجهـــا ... يبـدو وتلـك بحكم الخَلْـقِ تختلفُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الفيلسوف الإسلامي الزاهد الفاضل أبي العلاء المعري[٥٠] رحمه الله ونصه :

لقــد عجبــوا لأهــل البيت كمـــا ... أتـــاهم عِلمهم في جلـــدِ جَفْرِ

---

(٥٠) أبو العلاء المعري :

أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ، شاعر فيلسوف قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة وهو من بيت علم كبير في بلده ، ولما مات وقف على قبره أربع وثمانون شاعراً يرثونه ، رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم جاء « المعرة » وأقام بها وبها توفي سنة ٤٤٩ هـ وله تصانيف كثيرة : الأعلام للزركلي .

ومرآة المنجّمِ وهي صُغْرى تُريـــه كلَّ غـــابرةٍ وقَفْرِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

علــومُ بني النبي رمــوزُ غيب ومـــا حُصرتْ بجَفْرٍ أو بسِفْرِ
نعم رقــوا بجفرهمُ فنـونـــاً بُصُلْتِ نصلهـــا الأغــلاطَ تَفْري
وتُسْفر عن لطيفِ خفيٍّ علمٍ تهـــاميٌّ رقيــق النسـج وفرِ
ولم يجحــد منــاقبَ آلِ طــه ﷺ ســوى ملمــوز زنــدقــةٍ وكُفْرِ

☆ ☆ ☆

وأنشد العارف الجليل السيد محمد وفا الحسني المصري[٥١] قدس سره :

أيـــا بــدرٌ على غُصنٍ رطيبٍ يهيمُ البــدرُ فيـــه والغصـونُ
كشفت لنـــا لثـامَ الحُسنِ حتى تحيَّرتِ اللــواحــظُ والعيــونُ
وجئتَ لنـــا بــوجـــهٍ مُستنيرٍ وحُسْنٍ صـــانـــه سرٌّ مصــونُ
وكم في الكـــــون من قمرٍ منيرٍ ولكنْ مثــلَ حُسْنِــك لا يكــونُ

☆ ☆ ☆

وقد تبركت فألحقت قوله المبارك بقولي :

لكمْ بقلــوبنـــا سرٌّ مصــونُ خفيٌّ ليس تــدركــه العيــونُ
نير على الخــواطر منـــه نشرٌ فتَطْـوى في صحـائفهـا الفنــونُ
لهـــا في الحضرة الكبرى شروحٌ مطلسمــةٌ بــأسطرهـــا المتــونُ
جلت مـــا كان في سُــدَدِ التجلي وأسْفَر سِفْرُهـــا عمّـــا يكــونُ
فصَعْبُ الحـادثـاتِ سوى قِـلاكم بكمْ وجليـــلُ مظهركم يهـــونُ
وهـــذا الملــكُ والملكـوتُ منكم عليـــه لـــه لمـوكبكم عيــونُ

---

(٥١) ——

على ذِمَمِ الــوجــودِ لكم ديــونٌ وبــالإخـلاصِ قـد تُقضى الـديون

☆ ☆ ☆

وللسيد محمد وفا ـ قدس سره ـ أيضا :

وعــاتبني بـلا لـومٍ فــأبـدى لعيني آيـــةً عنـــد العتـــابِ
أثـــار عتـــابُنـــا في وجنتيـــه لهيبـــاً شبَّ في مـــاء الشبـــاب

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي

وحبٌ رامَ يُلحقني عتـــابـــا بـلا سبب وعَنَفَ بـــاخطـــاب
فبرقـــعَ وجهَـــهُ مني حيـــاءً يُفيـد بـأنْ تصنَّـعَ في العتـــاب
صبرتُ عليـــه عن علم وكَمْ قـــد حكى العنـوانُ مضمون الكتـاب

☆ ☆ ☆

ومن لطائف إشاراتي والله المعز :

لقـــد نَقَش الحيـــاءُ بـوجنتيـــه رمـوزاً تلـــك واضحـــةُ الرمـوز
ويـــــدري كلُّ ذي لُبٍّ لعمري بـــأن التِبْرَ يُخبـــأُ في الكنـــوز

☆ ☆ ☆

ومن أعذب كلمات السيد محمد وفا الحسني المصري ـ قدس سره ـ قوله يشير للحبيب الأعظم ﷺ

طـابت بـك الأمصـارُ والأعصـارُ وترنّحتْ بحـديثـك الأطيـــارُ
وتَضوَّعَتْ أنفـاس طيبكَ مثـل مـا مُلئتْ بنـور جمـالـك الأقطـــارُ
فعلى الـوجـود جـلالـةٌ ونضـارةٌ وعليـه منـك سكينـةٌ ووقـــارُ
وتروحَنَتْ أرواحُ أشبـــاح الـورى وتقـــدستْ بشهـودك الأسرارُ

وكـذلـك الأسماعُ منـك تنعمتْ وتمتعتْ بجمالـك الأبصـارُ

☆ ☆ ☆

فألحقت متبركاً قوله بقولي :

سطعتْ بلمعـةِ نـورك الأنـوار وتعينتْ في طمسهـا الآثـارُ
وتمـايلت تـزدان أغصـان الرُّبَى طربـاً بـذكرك والهوى قهـارُ
فـالكـونُ يرقص للغرام مُهَيَّماً بـك حَرَّكَتْـه بحكمهـا الأسرارُ
وحظـائرُ الملكوت بـاسمـك عُطِّرَتْ وتـواجـد الغُيّـابُ والحُضّـارُ
أنت الهـلالُ لعيـد كلِّ حقيقـةٍ شبحتْ اليـك بغيْبهـا الأنظـارُ
آهِ على وقت تُنيـل بـه المنى بـالقُرْبِ منـك وتُرفَـعُ الأستـارُ
مـاءُ الحيـاةِ بكأس قُربـك رائـق للعـاشقين أجَـلُّ وبُعْـدُك نـارُ
وهـواك نشأةُ طَـوْرِ رُوحيَ لا يُرى في دارِ قلبيَ غيرهُ ديّـارُ
في العـالَمِ الأعلى لطرزكَ مظهرٌ بـوصيـده تتسـاقـطُ الأقمـارُ
والعـالَم الأدنى بنـورك مشرقٌ وسنـاك سِرٌّ سطـوعِـه سيّـارُ
بصنـوف أصنـاف الحـوادث كلهـا أنت الحبيبُ المصطفى المختـارُ ﷺ
صلَّى عليك الله ما احتبك الدُّجى وتـلاهُ في نشر الكيـان نهـارُ
وسرتْ بـأنحـاء الـورى ريحُ الصَّبـا وتروحَنَتْ بهفيفهـا الأزهـارُ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي والحمد لله :

مُذْ صِرتَ عبـدَكَ والتـولُّـهُ رونقي حسـدتنيَ الآصـالُ والأبكارُ
فـارحم إذاً يـاروحَ أربـابِ الهـوى عبـداً عليـك من النسيم يَغـارُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا غوث العصر ، وبركة الدهر ، السيد بهاء الدين

محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بـ (الرواس) - رضي الله عنه[٥٢] وعنا به - يشير للجناب العالي النبوي عليه الصلاة والسلام :

كلُّ شيءٍ فيــه جـلالُـكَ يَشْهـدْ ... يـاحبيبـاً لــه الخـلائـقُ تَشْهـدْ
لـــكَ في مظهر البَــوَارز نــورٌ ... وبسـاطٌ في سـاحـة الكـون ممتدْ
أنت مجـلا التجليـــات ومعنى ... حُكْمِها حيثما انطـوى وتـأكَّـدْ
أنت في كل ظـــــاهر وخفيٍّ ... مظهرُ القـدرة الـذي ليس يُجحدْ
أنت في الغيب أحمـد الرُّسـل والأعيـان طُراً وفي الكيـــان محمـدْ ﷺ
أنت روح الـــذَّرّات طيـــاً ونشراً ... وعلى فضلــك الخنـاصرُ تُعْقَـدْ
أنت نفـخ العلم الـــذي بَثَّ في الكـون اليـــك العلـومُ تُنمى وتُسنـــدْ
أنت بـــدءٌ وأنت ختمٌ وأنت اليــوم والأمس بعـــد ربـــك تُقصـــدْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بالحاق قوله العالي بقولي والعون من الله :

عِقْـد فخري بـذكر طـه مُنَضَّـدْ ... بعصـــامِ من لـؤلـؤ وزبرجـــدْ
رَصَّعَتْـــه عصـــائم الـــدُرِّ سَبْمَـ ... ـــن يـواقيتَهـا فرائـدُ عسجـدْ
ذِكرُ مَنْ يُنْعِشُ الفـــؤادَ بروحِ ... وإذاً بــالحيــاة منهـا يُسَرْمَـدْ
ذِكرُ عين الأسرارِ صبـح هُـداهـــا ... نـورِ عيني شمسِ الرسالـةِ أحمد ﷺ
هـــو معنى اتصـــالِ كلِ قريب ... هـــو مجلى الـزُّلفى لكل مُبَعَّـدْ
هـو نمـطُ القُربِ الــذي بطُـواه ... نَشْرُ بِشْرٍ لكل عبـدِ مـؤيَّـدْ
هـــو في دولـــة النبـوة فردٌ ... هـــو في سِدرة الرسالـــة أوْحَـدْ
هـــو بعـــد الرحمن في كل آنٍ ... وزمـانٍ يُـدْعَى ويُرْجَى ويُقصـد
فعليــه الصلاة مـــامـــال غصنٌ ... أو على الغصن بلبـــلُ الروضِ غرَّدْ

---

(٥٢) تقدمت الاشارة إلى ترجمته برقم ٣٢

وعلى آلــــه الأئمـــة والصحب جميعـــا وشبلـــه الغـــوث أحمـــد
والإمـــام الصيـــاد والفرد مهـــدي الأعـــالي أبي البهـــاء محمـــد

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول ابن المعتز العباسي(٥٣) ـ رحمه الله تعالى ـ في الربيع ونصه :

إنّ فصل الربيـع فصْلٌ عجيبٌ   تضحـــك الأرض من بكاء السماء
ذهبٌ حيثمـــا ذهبنـــا ودرٌّ   حيث دُرْنـا وفضـــةٌ في الفضـــاء

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

قـد عجبنـا من الربيـع ومـافي   لُطفـــه من تنـــوّع الآلاء
نقش الأرض لــؤلــؤ وجمانٌ   مُرْقمٌ في يـــاقــوتـــه حمراء
عَسْجـدٌ سهْم الـزبرجـد في لـوح لُجيْن تقـول شفّـافُ مـــاء
فلـذ الـدُرّ بـالـزمرد رُصّتْ   كُلُّهـا في ديبـاجـة خضراء
بلغـات تبـاينتْ عن وفـاق   ذكرتْ قُدس خـالـق الأشيـاء

☆ ☆ ☆

وما أجلّ وأجمل قول شيخنا وملاذنا الامام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

طفـح البرّ بـالأزاهر هـذا   مـاد لُطفـاً وذاك هـزّ اهتزازا
وانجلى أخرٌ بطرز لطيف   عـزّ في رونـق الجمـال طرازا
كلّهـا وحّـدتْ وبـالله هـامتْ   بفنـون حقيقـةً ومجـازا

☆ ☆ ☆

---

(٥٣) تقدمت ترجمته برقم ٨٢

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي والمدد من الله :

حَبَكَ الـزَّهرَ في الريـاضِ فـأبـدى　　من نسيم الصَّبـا لنـا أرْجـازا
جـاءنـا من هفيفـه بمعـانٍ　　أخَـذَتْ للقلـوب منـا مجـازا
كلهـا ذاكرٌ بنُطـقٍ خفيٍّ　　مظهِرٍ من رمـوزه أَلْغـازا
عرف العـارفـون معنـاه لَمّـا　　ركبُهم هـذه العـوالمَ جـازا
يفهم السرَّ من طُـوى الكـونِ عبدٌ　　طرحَ الكمَّ أهـلَ الأحيـازا
فـاذا قـام غـاب عن كل شيء　　وإذا نـامَ صحـح الإيجـازا
هـام من هَبَّـةِ النسيم على الروض وخلّى الفـاني وبـالله فـازا
يـالِقـوم بـالله طـابـوا وغـابـوا　　فيـه ذُلاً فعـوّضـوا الإعـزازا
ولعمري من عـامـل الله بـالإخـلاص لاشـك بـالجميـل يُجـازا
هـا هم القـومُ حين هـامـوا بحب الله صـارت أسماؤهم أحرازا

☆ ☆ ☆

ومن أفلاذ عصائم الكلمات التي وردت على لسان شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

مصـاحفنـا تُتلى وآيـات سرّنـا　　مُرَتَّلـةٌ محفـوظـةٌ في السرائر
تَجَلَّى لنـا النورُ القـديم فـأشرقت　　حظـائرُنـا أنْعِمْ بتلـك الحظـائر
فنحن شمـوسُ الله في أُفـق الهـدى　　جلانـا لنجلو غيْمَ أهـل البصـائر
نظمنـا رموزَ الغيب في مُطلقِ الخفا　　فقمنـا صـدوراً للصـدور الأكابر
وطرنا لبـاب الحقّ من نمط علمـه　　على نهج طـه نـور كل المحـاضر
ومن طينـة النـور المطلسم حُقّقَتْ　　بكـونيّـةٍ منّـا شؤون الـذخـائر
ورثنـا معـاني السرّ من خير مُنْعِمٍ　　بغـائب كنزٍ من هُـداه وحـاضرِ
وطـافت بنـا الأفرادُ تبغي تحققـاً　　بمنهـاجنـا في وِردهـا والمصـادر

فنحن لأهل المجد في النسج أوّلٌ وأخز ركب الكل في كل أخر
خلفنا عليًا والحسين وصنوه وقمنا على أُسلوب تلك المظاهر
وفي طيّ سرداب الدوائر كلها عرفنا الأعالي في رجال الدوائر

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وتنورت بالحاق كلامه العالي بقولي وحسبي الله :

أعاذلُ لو أصبحت في الحب عاذري وانصفتني طيّبت قلبي وخاطري
أُحبُّ بهاء الدين شيخي وإنني ولهتُ به عن أُسرتي وعشائري
وغبتُ بمعنى حبه والهوى له جلالةُ سلطان على القلب قاهر
هو العارفُ المهديُّ والسيد الذي له السّبقُ في صفّ الرجال الأكابر
تناجيه منّي الروحُ في طوْر غائب فيتحفني بالفضل إسعاف حاضر
أجلُّ رجال الله في العصر شيخهم فتاهم إمام القوم رغم المكابر
إمامٌ لقد ناب النبي وحيدرا وزاحم كُبّار الأُولى بالمفاخر
وطلّسم في هذا الكيان لعزه ولاح كشمس الأُفق تجلى لناظر
تقدّم في نسج التأخُّر مثلما تقدّم طه وهو بين الأواخر
أفاض من العلم الوفير معارفا أتت بالمعاني المفحمات البواهر
بروحي لقد أفدي شمائله التي حكت لُطفَ روض زاهر الورد عاطر
عشقتُ محيّاه الكريم وإنني أرى ذاك حصني يوم كشف الدفاتر
عليه من الله التحياتُ كلما ترنّم ذو فهم بأبيات شاعر

☆ ☆ ☆

ويلطف قول المثقب العبدي[٥٤] ونصه :

فإمّا أن تكون أخي بحقٍّ فأعرف منك غثّي من سميني

---

(٥٤) المثقب العبدي

وإلاَّ فــــاطَّرِحْني واتَّخِــــذني   عــــدواً أتقيـــــك وتتقيني
وإني لـــو تُعــــانـــدني يميني   عنــادك مـــا وصلتُ بهـــا يميني
إذاً لقطعتُهـــــــــا ولقلتُ بيني   كـــذلـــك أجتـوي من يجتـويني

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

أصاحبُ قـد نَقَضْتَ وثيقَ عهـدي   وكنتُ أراكَ ذا حسبٍ ودينِ
نثرتُ عليـــك من كلمي عقــوداً   فَصُلْتَ عليَّ بـــالقـــول المُهينِ
بمـا فيـك ارتضيتُـكَ لي صـديقـاً   وإنـــك كاسبٌ لـــو ترتضيني
فـأبطنتَ الخيـانـــةَ لا لـذنب   وســوء الحــال عـاقبـة الخـؤونِ
بنــوم الجهـــل طِشْتَ ورُبَّ حينٍ   تَفُــزُّ بِــوَكْــزَةِ العلم اليقينِ

☆ ☆ ☆

قال رجل لسيدنا أمير المؤمنين، إمام الدين والمسلمين، الأمير المرتضى علي[55] ـ كرَّم الله وجهه ورضي عنه وعنا به وأكرمه بتحياته وسلامه ـ أخبرني : عن واجب وأوجب ، وعجيب وأعجب ، وصعب وأصعب ، وقريب وأقرب . فما خنس لسانه حتى أجابه الأمير ـ عليه رضوان الله وأشرف تحياته ـ قائلاً :

= العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبد القيس ، شاعر جاهلي من أهل العراق اتصل بالملك « عمرو بن هند » وله فيه مدائح ، ومدح النعمان بن المنذر ، شعره جيد وفيه حكمة ورقة توفي قبل الهجرة بخمس وثلاثين سنة تقريبا : الأعلام للزركلي .

(٥٥) علي بن أبي طالب

أبو الحسن ، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي : أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة (باب مدينة العلم) وابن عم النبي وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال ومن أكابر العلماء والخطباء ، أول الناس إسلاماً بعد خديجة ولد بمكة وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ، وأقام بالكوفة دار خلافته الى أن استشهد فيها سنة ٤٠ هـ له في الصحيحين ٥٨٦ حديثاً : الأعلام للزركلي .
يقول الناشر : الكلام فيه يقصر عجزا عن إدراك ترجمته وحقيقته ، ويطول طمعاً دون وصول الى تحديد مرتبته بعد أن قال نبينا الصادق الأمين ﷺ فيه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي » الحديث .

تَـوْبُ الـــورى واجبٌ عليهم وتركُهم للـــــذنـــوب أوجبْ
والـــدهر في صَرْفـــه عجيبٌ وغفلـــةُ النـــاس عنـــه أعجبْ
والصبرُ في النـــائبـــات صَعْبٌ لكنَّ فـــوتَ الثـــواب أصعبْ
وكلمـــــا يُرتجى قريبٌ والمـــــوت من كل ذاك أقربْ

☆ ☆ ☆

فتشرفت وتعطرت وافتخرت بالحاق قوله بقولي :

ليـل النـوى شـــأنـــه غريب وصحبـــــة الخـــائنين أغربْ
والقطـــع للكاذبين عـــــذبٌ والـــود للصـــالحين أعـــذبْ
وحُبُّ أهـــل التقى ثـــوابٌ وحُبُّ آل النبي أثـــــــوبْ
ومن زكا أصلـــــه نجيبٌ لكن فروع الــــــوصي أنجبْ

☆ ☆ ☆

نقل الإمام أبو يعقوب الخوَيِّي عن بعض العلويين أنه أنشد لنفسه :

لقـد صـدقوا والراقصـاتِ الى مِنىً بـأن مـودّاتِ العِـدَى ليس تنفعُ
ولـو أنني دارَيْتُ دهري حَيَّــــةً اذا استمكنتْ يوماً من الدهر تلسعُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي وحسبيَ الله :

أظنّ جميـل الظنّ بـالنـاس كلِهم ولا غيرُ ربي مَنْ يَضُرُّ وينفـــعُ
وإن رام غدري بـالخديعـة غـادرٌ يُرَدُّ ومنـه الحبـلُ بـالسر يُقْطَـعُ
نعم للعـدى والحـاسـدين منـازعٌ بمـا قـد طـووا من غُصـةِ المكر تُسرعُ
يَـدُ الله تعلـو فـوقَ أيـديهمُ التي بهـا نكثـوا عهـدَ النبي وضيّعـوا
ويحرس أهلَ البيتِ من شـادَ بيتَهمْ وتُكسَرُ أصنـــامُ الفجـور وتُصرعُ
لإنْ أبطَنوا سـوء وجـاؤوا بفريـةٍ يرى اللهُ مـاقـد أبطنـوه ويسمـعُ

فتُؤخذ ثاراتٌ وتُقضى بعونه ... تعالى لُبانـاتٌ وتُسحق أضلعُ
وتبرز من طيّ الغيوب بشائرٌ ... إشاراتُها بالغوث والنصر تُرفَعُ
فلا أنا في هَمّ العِدَى أينا انْتَحَوْا ... ولا أنا فيهم نكبةً أتوقَّعُ
أرُدُّ بهم أمري الى الله راضياً ... بأحكامه فيهم وذلك أنفعُ
ولابدع فالربُّ القويُّ بلطفه ... يُفرِّق نصراً للضعيف ويجمعُ

☆ ☆ ☆

نقل التقي السبكي[٥٦] ـ قدس سره ـ في المناقب لسيدنا السيد أحمد الرفاعي[٥٧] ـ رضي الله عنه وعنا به ـ ما نصه :

يا نِسوَة السرّ إني في الهوى رجلٌ ... سِرّي عن السّرّ والإخفاء أُخفيه
قفْنَ الغداةَ وها أنتُنّ في وجلٍ ... فذلكنّ الذي لُمتُنّني فيه

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول شيخنا الإمام الرواس بهذا المعنى والنوع ونصه :

والغانيات اللواتي لُمنني حسداً ... على محبة مَنْ في السر أطويه
متى تلألأ بدر مبرز بَشَراً ... فذلكنّ الذي لُمتنني فيه

☆ ☆ ☆

---

(٥٦) تقي الدين السبكي :

علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي ، أبو الحسن تقي الدين : شيخ الاسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين . وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات وُلد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر) سنة ٦٨٣ هـ وانتقل الى القاهرة ثم الى الشام وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ له تآليف كثيرة استوفى ابنه « تاج الدين » أسماء كتبه وأورد ما قاله العلماء في وصف أخلاقه وسعة علمه توفي في القاهرة سنة ٧٥٦ هـ : من الأعلام للزركلي .

(٥٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٤١

ومن كلام سيدنا الإمام الشافعي - رضي الله عنه[٥٨] - يمدح أهل البيت الكرام عليهم الرضوان والسلام :

لـو شُـقَّ عن قلبي لُقي وسْطَـــه ... سطران قــد خُطَّــا بــلا كاتبِ
حقيقــةُ الإيمـــان في جـــانبِ ... وحُبُّ أهــل البيت في جـــانبِ

☆ ☆ ☆

وقد صدّر هذين البيتين سيدنا السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي رضي الله عنه[٥٩] فقال :

ألـــذُّ مِن ضربِ ومن ضـــاربِ ... ومن غـــزالِ كاعبِ نـــادبِ
ومن طراد الخيــــل في مشعبِ ... ولاعبِ يلعب مـــــع لاعبِ
ألـــذُّ من هـــذا وهـــذا وذا ... حُبُّ عليّ بن أبي طـــــالبِ

ومن المعلوم أن بعد هذا التصدير بنشد المنشد أعني بعد قولـه : (حُبُّ عليّ بن أبي طـالب) (لـو شُـقَّ عن قلبي لُقي وسْطَـه) الى آخر البيتين فتصير خمسة عدد أهل العبا - عليهم السلام - وقد ألْحقتها بهذه الأبيات الشريفة السبعة المباركة فصارت أثني عشر عدد الأئمة - رضوان الله وسلامه عليهم - والعناية من الله تعالى :

آلَ رســـول الله زُهر الـــورى ... وسيلـــةُ الحـــاضر والغـــائبِ
قـــد أحرزوا فضلاً عـــلا عَـــدُّه ... عن دَرْكِ فِكْرِ الكاتب الحـــاسبِ
هُم حُجَـــجُ اللهِ وآيـــاتـــــه ... في قـــادم النـــاس وفي الـــذاهبِ
قـــامـــوا بـــآفـــاق المعـــالي فهم ... كالبـــدر أو نجمِ الهـــدى الثـــاقبِ
من كل جحجـــاحِ رفيـــع الـــذُّرى ... نـــوالُـــه كالعـــارضِ الســـاكبِ
عَلَـــوْا بطـــه المصطفى رتبـــةً ... شـــامخـــةً عن أملِ الطـــالبِ

---

(٥٨) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠١

(٥٩) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٨

آلَ عليّ بن أبي طـــــالبِ　　　آلَ النبيِّ المحسنِ الــــواهبِ

☆ ☆ ☆

وتنورت بمدح الآل الكرام عليهم السلام فقلت :

بني النبي لكم في المجـد مرتبـةٌ　　　من دونهـا في منصّـات العُلى الرتبُ
إن ثَم مِن حَسَبٍ يُروى ومن نسبٍ　　　فبعـدَكم حسبُ الكُبَّـارِ والنسبُ
فـالنـاس جسم وأنتم روحـه وهمُ　　　لفـظ وأنتم بـه المعنى الـذي يجبُ

☆ ☆ ☆

ونسب لسيدنا الإمام أبي حنيفة[٦٠] ـ رضي الله عنه ـ هـذان البيتـان ، وفي مناهج التوسل للشيخ عبد الرحمن البسطامي الحنفي أنها لـلإمـام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ والله أعلم وهما :

كيف الـوصـول الى سُعـاد ودونهـا　　　قلَـلُ الجبــال ودونهنَّ حُتـوفُ
الرِّجْـلُ حـافيـةٌ ومـالي مركبٌ　　　والكفُّ صِفْرٌ والطريـقُ مَخـوفُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله المبارك بقولي :

أبكي وليس سـوى الـدمـوعِ بسيلهـا الشَّحـاح يُطفي نـارَه الملهـوفُ

---

(٦٠) أبو حنيفة

النعمان بن ثابت التيمي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو حنيفة : إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . قيل أصله من أبناء فارس . ولد بالكوفة ، وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه ثم إنقطع للتدريس والافتاء . وأراده عمر بن هبيرة « أمير العراقين » على القضاء فامتنع ورعاً ، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد فأبى ، وكان قوي الحجة ، قال الإمام مالك يصفه : رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته !

وكان كريما في أخلاقه ، جواداً ، حسن المنطق والصورة ، جهوري الصوت ، اذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي . قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة . وله تصانيف جليلة توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـ : الأعلام للزركلي .

فأنا العديمُ وحِمْلُ وزري مثقلي والله برٌّ والنبي رؤوفُ

☆ ☆ ☆

وقلت من الروي والقافية :

ماذا أقولُ اذا سُئِلْتُ وإنني بالذنبِ وَاوَهْنَ القُوى معروفُ
لاعِلم يُصلحني ولا عملٌ به أدنو ولا برٌّ ولا معروفُ
وحدي على نهجِ اعوجاجيَ في الهوى أمشي ورُكبانُ الصلاح صفوفُ
طافوا بكعبةِ سرّهم برقائقٍ شرُفتْ وَوَهْماً بالزعوم أطوفُ
رأوا الحقيقةَ بالبصائرِ والغطا ضخمٌ عليَّ وباصري مكفوفُ
ونُقودُهم سارت وقد ربحوا بها ونُقودُ عزمي يا هذيمُ زيوفُ
سلُّوا السيوفَ على الهوى فتحكموا وعليَّ سُلّتْ للذنوب سيوفُ
مالي سوى بذل الدموع وسيلةٌ يرجو بها قلبٌ لديَّ خؤوفُ
ومع الخضوع بباب طه المصطفى ﷺ أبداً الروحي بالولوه عكوفُ
وأنا امرءٌ من آل أحمدَ مؤمنٌ ومحمدٌ بالمؤمنين رؤوفُ
صلى عليه الله ما الروضُ ازدهى مَنْ وَرْدِه بالمرسَلات صنوفُ
والآل أقمار المحافل مَنْ بهم يَحمى الدخيلُ ويأمن الملهوفُ
والصحب أهلِ الفضلِ والهمم التي أبداً بفيفاء الغيوب تطوفُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي ـ والحمد لله تعالى ـ قولي هذا الذي رحت به لأشياخي الثلاثة[٦١] مادحاً ، وعلى غصن التنويه براتبهم صادحا وها نصه :

لي في الطريقِ الأحمديّ ثلاثةٌ عنهم نظام حقيقتي مَرْويُّ

---

(٦١) وله أيضاً رضي الله عنه في بعض مؤلفاته مشيراً الى أشياخه :

سادوا رجال العصر دون تَردُّدِ … والكلُّ منهم سيدٌ ووليٌّ

فأبي أبو البركاتِ أوَّل من له … عهدٌ عليٌّ مُؤكَّدٌ وقويٌّ

معمورُ قلبِ جهْبذٌ ذو مِكْنَةٍ … أسدٌ عِصاميٌّ الجناب أبيٌّ

عُمَريٌّ طورِ حيدريٌّ تسلسلٍ … طِرزُ الحسينِ بوجهه مرئيٌّ

والشهمُ مولاي ابنُ خير الله ذو الشرف النَّقيِّ أبو الصفاء عليٌّ

رَبُّ المفاخرِ والمآثر والنَّدى … كنز الكمال العارفُ العَلَويُّ

والمرتضى شيخ الفطام أبو البها … ء ابنُ البتولِ السَّيدُ المهديُّ

غوثُ الزمان خلاصةُ الأعيان بلْ … تاجُ الأكابر عِقدُها الدُّريُّ

بحرُ العلومِ ومعدِنُ المنطوقِ والمفهومِ ليثُ العِترةِ المرضيُّ

الظاهرُ المخفيُّ مَنْ نورُ النبيِّ بوجهه منه السطوعُ جليٌّ

قطبُ الرجال إمامُ أهل الحال … فيَّاضُ النوالِ الوارثُ النبويُّ

يَنْحطُّ قوسُ الشُّهْب عن عزماته … في الخَطبِ وهو الضيغم الغيبيُّ

وله بفضل الله جَلَّ جلالُه … زَنْدٌ بحلِّ المشكلاتِ وَريُّ

عَلَمٌ لقد خفَقَ الكمالُ بثوبه … وأُفيضَ منه الهاطلُ القُدسيُّ

مَزجَ الظهورَ مع الخفاء فشأنُهُ … طيٌّ به نشرٌ ونشرٌ طيُّ

ثلاثة أسياف أصول بحدها … على مُعتم الأيام والخطب والضد

أبو البركات الفحل ذخري وصنوه … عليُّ ابن خير الله والسيد المهدي

وله أيضا رضي الله عن الجميع قوله :

أصول على دهري بسيفين منهما … بوارق سر الله بالنصر تنجلي

وتأتي فيوض الغيب من كل جانب … أبو العلمين المرتجى وأبو علي

☆ ☆ ☆

أبو العلمين : سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه .

أبو علي : سيدنا السيد أحمد عز الدين الصياد دفين متكين رضي الله عنه .

الحمـــد لله الثـــلاثـــــة كلُّهم لي مُسعِفٌ ومظـــــــــاهرٌ ووليُّ

☆ ☆ ☆

وما أشرف وأعلى قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

حفظنـا لكم عهـد الغرامِ من الأزلْ وفرقـانُ معنـاكم على سرنـا نـزلْ
وطبنـا بكم عن كلّ بـادٍ وحـاضرٍ وغبنـا لكم والعـاشقـون على وجـلْ
ولاحَ لنـــا منكم تجلّي حقيقــــةٍ كما لكليم اللهِ لاحَ على الجبـــلْ
تبـدَّت لنـا أيـامكم بحقـائـقٍ طـوت واردَ الفضـل الـذي يُصلح الخللْ
ولم تـزلـق الأقـدام منـا لغيركم ولـو مـزج البحرين بـالخمر والعسلْ
ومن علـل الـوجـد الـذي حـلَّ كلنـا فنينـا غرامـاً والغرام لـــه عِلـلْ
متى حصـلَ التقريبُ منكم لبُعْـدنـا إذاً كلُّ مـا نرجوه من بُغيـةٍ حَصَلْ
فـأنتم لجسم الكـون روحٌ وللهـدى صراط بـــه لله كم سيـدٍ وصـلْ
بكم يُصلـح الله الشـؤونَ جميعَهـا ويـأتي المُرجَّى حين تنقطع الحِيَـلْ
بني الطُّهْر أهـلَ البيت أنتم أئمـــةٌ لكم سرُّ سلطـان الـوجـود قـد انتقـلْ
وفي وَسَـطِ التعـدادِ منكم بـواسـطٍ لنـا سيـدٌ عـالي النقيبـةِ مُحْتَفَـلْ
أبـو العلمين السيـدُ الأيّـدُ الـذي تَصرُّفُــــهُ في الكـون كان ولم يـزلْ
لــه دولـةٌ لم يَنْقُضِ الـدهرُ حكمَهـا مـؤيَّـــدةٌ والأوليـــاء لهم دُوَلْ
هـزبرٌ من البيت البتـوليّ سيـــدٌ متى أمَّـهُ المقطـوعُ بـالمـدد اتصـلْ
لــه تـاجُ سلطـانِ الـولايـة مُفْرَدٌ وعن شأنِ سلطـانِ الـولايـةِ لاتسـلْ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله المبارك بقولي وإنما وليي الله :

ألا يـا كرامَ الحي من أرض واسـطٍ ويـا مَنْ بهم يُعطَى المؤمّلُ مـاسـألْ

لكم طارَ قلبي لاجئاً برحابكم وفي ظلِّ هاتيك الحظائر قد نزلْ
بكم غاب عن زيدٍ وعمرو وفي الهوى ودينِ الهوى عن غير أعتابكم رحلْ
قد اتصلتْ بالصدق فيكم حبالُهُ وعن غيركم في عالَم الطينة انفصلْ
فيامن على علمٍ بخلتُ بسرهم وطرْفي لهم دُرَّ المدامع قد بذلْ
ويامن لهم طيَّ الفؤاد مَجَرَّةٌ ونجمُ سواهم من سماواته أفلْ
ويا خَلَفَ الأطهارِ من آلِ حيدر نسجتم على ما أسَّسَ السادةُ الأُولْ
رفعتم مَنارَ المجدِ شأناً وإنكم يُقِرُّ بعالي شأنكم كلُّ من عَقَلْ
أتانا أبو العباس منكم فأوضحَ الطريقَ ونورُ الصدق في بُرْجه اكتملْ
فطابت به منا القلوبُ وضاءتِ البصائر بالتحقيق وانمحق الزللْ
هو الغوثُ سلطانُ الحقيقة أحمدٌ أبو العلمين الطاهرُ النَّبْعَةِ البطلْ
تسلسل في البيت البتولي مجدُهُ بطرزٍ على كل المعالي قد اشتملْ
وفي بيته قد أنبتَ اللهُ أُمَّةً بأطوارها والفضلِ قد يُضرب المثَلْ
وناهيك بالمهدي منهم فإنه خزانةُ فخرٍ ضمنَها العلمُ والعملْ
تمكَّنَ في غوثية العصر وارتقى مقاماً لعمري دونه الشمسُ في الحَمَلْ
ونابَ الأُولَى آلَ النبي برفعةٍ وحالٍ وعن ذي الفانيات لقد عدلْ
له فَعَلَتْ ما شاء قُدْرَةُ ربه تعالى وإنَّ اللهَ يَحْكُمُ ما فعلْ

☆ ☆ ☆

وما أعذب وأطيب قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به :

هذا طريقُ الشرعِ يا مغرورُ خَلِّ الهوى فلكل حقٍّ نورُ
لاتنبسط للشطح واعرف حُكمه وافطنْ فزعمُ الشاطحين غرورُ
واهجر دعاوى الاتحادِ ومثلَها دعوى الحلول فنصلُها مكسورُ
قدِّسْ بسرِّك ذاتَ ربك إنه فردٌ شديدُ الانتقام صبورُ

أيغركَ الإمهالُ منه ألا انتبهْ فـإليه عاقبة الجميع تصيرُ
وصفاتِه قدِّسْ حقائقها ففي تقديسها كلُّ امرئٍ مأمورُ
فصفاتُه لاعينُه أو غيرُه قامتْ به ومع الورود صدورُ
لاتقبل الترتيبَ بل ضمنيةٌ تَنْشَقُّ عنها في الكيانِ ستورُ
فالشَّقُ يَحْدُثُ والصفاتُ قديمةٌ مضمونها في علمه موقورُ
وبنسبة الاحداث يَحْدُثُ كلُّ ما يَبْدُو وللمعنى الخفيِّ ظهورُ
والعلم تُرْسَمُ فيه كلُّ حقيقةٍ واذا انجلتْ فنسيجها منظورُ
رسمُ المعاني في قديم العِلمِ مَطْويٌّ وحادثُ نسجها منثورُ
ومن الغيوب لكل شأنٍ بارزٍ معنىً عليه من الجلالِ ستورُ
ولقد تُوَفَّى كلُّ نفسٍ أبْرزتْ أجلاً ولوح كتابها مسطورُ
فعنِ الكرام الكاتبين خطوطُها تبدو وكلُّ حادثٌ مقهورُ
فالقائلونَ بوحدةِ إطلاقها نزغاتُ زيغٍ كلُّهم ممكورُ
راموا القصورَ بوهمهم فرمى بهم من قُرب شاهقةِ القصورِ قصورُ
فلبعضهم حدُّ السيوفِ وبعضُهم لكماله في حاله معذورُ
وكلامهُ في الشّطح نقصٌ ظاهرٌ وبه عن النهج القويم فتورُ
قول يُقال وليس يُكتب بل ولا يُرضَى وزاعمه الغنيُّ فقيرُ
وكذاك دعوى الفعل باسْتِبْدادِ مَنْ يُعْزَى اليه فردُها مشهورُ
إن كان عن خَلْقِ الإلٰه فإنها حقٌّ وإلاّ فهي حقاً زورُ
فبحكمِ نصِّ الشرع لم يُسْنَدُ الى المخلوق في أفعاله التأثير
اللهُ جَلَّ هو المؤثر والذي للغير يُسنَدُ قاله المحمورُ
وأتى أُناسٌ أسقطوا التقليدَ في هذي المذاهب والجهولُ صبورُ
أهلُ المذاهب نقَّحوا أحكامها حِكماً تُضيء وقولهم منصورُ
خدموا النبيَّ بشرعه وسعوا بعزم الصادقين فسعيهم مشكورُ

ولقد أحاطوا بالنصوص ونهجها		علماً فبيتُ فهومهم معمورُ
فالآخذون بقولهم قالوا بما		قالوه لاسَبْقٌ ولا تقصيرُ
قد قلَّدوا المعصومَ لكن وافقوا		قول الأئمة والإمامُ بصيرُ
حاز العُلى بالاجتهاد فكلٌّ ما		أبداه من عمل هو المبرورُ
فالزم طريقتهم وخلِّ من انتحى		بزعومه إنَّ الإلٰه غيورُ
وابهج بميراث النبي ولا تزغ		فالله للبَرّ التقي نصير

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وتبركت فألحقت قوله العالي بقولي ومن الله العون :

خيْرُ الطريقِ المنهجُ المأثورُ		ولحال طه رونقٌ مستورُ
فنظامُه هو في الحقيقةِ ظاهرٌ		مافيه من صَعْبِ الشكوكِ وَعورُ
نهجٌ تطيبُ به القلوبُ فكلُّهُ		حقٌ وحُكم نصوصِهِ منصورُ
وافى به الأصحابُ والآلُ الكرامُ وتابعوه فهديُهم هو نورُ
مافيه إغلاقٌ ولا شطحٌ ولا		كبْرٌ ولا طيشٌ يليه غرورُ
هو ذِلَّةٌ لله جلَّ جلاله		وهو الخبيرُ الصانع المذكورُ
هُرعتْ له همُ الرجال بصدقها		واليه أفئدةُ الكرام تطيرُ
ساروا على إثرِ النبي لقدسه		فهمُ لركبانِ الطريقِ صدورُ
فبحكم صدقِ الاتّباع تمكنوا		من حال أحمدَ فالمسيرُ يسيرُ
قد نزهوا أقوالَهم عن كل ما		في الشرع معنىً قولُه محظور
وأتوا بأزكى الاعتقاد لبابه		ولهم هنالك لهفةٌ وزئيرُ
من كل ليثٍ في العجاج مُلَثَّمٍ		ولدى الصفوف الشُّمّ فهو هصورُ
كالسيد المهديّ سلطانِ الحمى		ذُخري اذا عَجُّ الخُطوبِ يثورُ
يأتي بأصناف العلوم فكلها		دُرَرٌ حواها بَحْرُه المسجورُ

شبل الرفاعي الكبير وعينه	وابن الكبيرِ الشأنِ فهو كبيرُ
شيخي بهاء الدين مَنْ منه انجلى	علَمٌ على أهل الوحى منشورُ
تاجِ العصائب من كبارِ أطائب	غُرٌ لهم ضمن الخفاء ظهورُ
محيي خلال الصالحين وناصرُ	الدينِ المبين وسيفُه المشهورُ
لي منه أُستاذ ألوذُ بظله	وحمايَ دوماً ركنه المعمورُ
فرع من الأصل الذي نُحمى به	يومَ السؤال إذ النماء تمورُ
لازال يُمطرُ رَبْعَنا من غيثهم	مددٌ ونصرٌ دائم وسرورُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي والحمد لله قولي :

أقْصَرْتَ لي يومي وقد أسهرتني	بك ياكحيلَ المقلتين طويلا
فعسى الذي أعطاكَ حسناً وافراً	يُعطيك من جبر القلوب قليلا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليامي الشهير ونصه :

خليليَّ ما للعاشقين قلوبُ	ولا للعيون الناظراتِ ذنوبُ
ويا معشرَ العشاقِ ما أوجع الهوى	اذا كان لا يلقى المحبَّ حبيبُ
أموتُ لِحبي والهوى لي مطاوعٌ	كذاك منايا العاشقين ضروبُ
عدمتُ فؤادي كيف عذَّبه الهوى	أمَا لفؤادي من هواه نصيبُ .

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

يُرَنِّحني ريحُ الجنوب بطور مَنْ	أُحِبُ فيغشاني هنالك طيبُ

فـأسكر في معنى الخيـــال ولهفـــةً أحِنُّ ومن هَبِّ النسيم أطيبُ
ويُضْحِكني مَرْأى الحبيب الـذي بـدا لفكري ويُبكيني قِلىً ومغيبُ

☆ ☆ ☆

وللعباس بن الأحنف ، وقد أجاد :

أقمتُ ببلـــدةٍ ورحلتَ عنهـــا كـلانـا بعـد صـاحبـه غريبُ
أقـلُّ النـاسِ بـالـدنيـا سروراً حبيبٌ قـد نـأى عنـه حبيبُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، وهو حسن أيضا :

بروحي من أُخـــاطبـــه بروحي ونُطقي وهـــــو كِبراً لايُجيبُ
فـــأُكثِرُ عنـــه أعـــذاراً وقلبي بـــه من قلبـــه القـــاسي لهيبُ
وأخـــدعُ فيـــه لـوامي وصـونـــاً لـــه فـــأقـولُ مـــا هجر الحبيبُ
ويُلْحِـقُ وعـدَه كـذبـاً وخُلْفـاً ويـومـاً يصـدقُ الرجـلُ الكـذوبُ
وليس يُفيـد صـدقُ القـول شيئـاً اذا كـذبتْ بمـا فيهـا القلـوبُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف شعر العباس بن الأحنف قوله :

سبحـــان من خَلَـقَ المَلـولَ ملـولا لا يستطيـع الى الـوفـــاء سبيـلا
لـو كنتُ أصبرُ مـا كتبتُ صحيفـةً يـومـــاً اليـــك ولا بَعَثْتُ رسـولا
مـا كان ضرَّك من تَعاهُـدِ عـاشقٍ يُهـــدي التحيـــة بُكرةً وأصيـلا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، والطبع السليم الحَكم :

يـا ريمُ حسبـك لـو سمحت بنظرةٍ لعليـــلِ قلبٍ يطلبُ التعليـــلا

قَصْرَ السرور بـه عليـك وحُـزْنُـه　　أضحى وآيـاتِ الغرام طـويـلا
أوَ تعْـذُبُ الأوقـاتُ إنْ طَرِحَ الـوفـا　　عَمْداً وإن هَجَرَ الخليـلُ خليلا ؟ !

☆ ☆ ☆

ومن شرائف المعاني ما ضمَّنته قولي ، والله المستعان :

أُخـاطبُ فيـك نسيم الصَّبـا　　وأذكر بـالـوجـد عهـد الصِّبـا
فـأسمـعُ من هَبِّ لُطف النسيم　　كـلامـاً عن الهجر قـد أعربـا
أرى عجبـاً أن يُريـعَ الصَّبـا　　محبَّـك والحـقُّ أن أعجبـا
ألِفْتُـكَ قبـل انسـدالِ الستـور　　وقبـل انحجـابـك ضمن الخبـا
وقلبي وحـقِّ دجى مقلتيـك　　لغيرك يـا روحَـهُ مـا صبـا
نقضت العهـودَ بـلا مـوجبٍ　　وبرقُ الـوصـال غـدا خُلَّبـا
وظلمـاً بعُـدتَ وحقـاً عليـك　　بكُلِّـكَ منيَ أن تقربـا
أزادُك قلبيَ يـومَ المسير　　ومـذهَبُـك الصدُّ طـور الظِّبـا
ذهـابُـكَ قلبي ولمـا ذهبتَ　　سترت ذهـابَـك والمـذهبـا

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول العباس بن الأحنف ونصه :

مـا أحسن الـودَّ اذا كان مَنْ　　تـهـواه يجـزي الـودَّ بـالـودِّ
وأنعمُ العـاشـقِ في عيشـه　　إن دام من يـهـوى على العهـدِ
وأقبـح الـوصـل اذا لم يكن　　يفي الـذي يهواه بـالـوعـدِ
والحُب مَنْ يعلـقْ بـه لايـزال　　في طـاعـةِ الأحـزان والجهـد

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي ، وفي هذا الإلحاق فليتدبر فإنه لطيف :

لِمَ القِلَى يـا مخلفَ الـوعـدِ　　قـد طـالَ عن خُلْوِ الكرى عهـدي

أسرفتَ في هجري بـلا بـــاعثٍ وجُرتَ بـالتعـذيبِ عن عمـدِ
أصبتَ يـامُخطىءُ نهجِ الهـوى لـو كنتَ تجزي الـود بـالـودّ
هـل عطفـةٌ منـكَ بنيـل المنى كعطفـة المولى على العبـدِ ؟
لِيُصْرَفَ الحـزنُ ويـأتي الصفـا ويَمْحـقَ القرب دُجَى البُعـدِ

☆ ☆ ☆

وما أجل وأشرف قول شيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنابه ـ بواقعة :

أفرطتَ في دعـوى التفـوّق بـالأكابرِ يـا مكابرْ
مـا أُيّـدوا بـالسيف بـل هبـة الكريم فلا تخـاطرْ
إن الـــذي أعطى الأوا ئـلَ قـادرٌ يُعطي الأواخرْ

☆ ☆ ☆

وهنا أتشرف بالحاق كلامه العالي بقولي :

شيخي الإمـامُ أبـو البهـا ء الغـوثُ أُستاذ الـدوائرْ
مَهْـديُّ أبنـاء الرفـا عيّ الأسـاتـذةِ الأكابرْ
لَمّـا حنـا عطفـاً علـ ـيَّ وقد حباني بالبشائرْ
غـار امرءٌ لم يَـدْرِ حُكـ ـم الغيبِ والمفتونُ حـائرْ
ردَّ النصـــوص بسره ومضى لخـاطره يُسـامرْ
فجَلا لـه شيخي الظـلا م بنظمـه نظم الجـواهرْ
وبـدا بحمـد الله مـا قد قـالـه والحقُّ ظـاهر
أنـا مـذنبٌ عبدٌ ضعيـ ـفٌ عـاجـزٌ والله قـادرْ
وبمنهجي أستـــاذيَ الـ ـمهدي سلطـانُ الحظـائرْ
بجُــــلاه قمتُ وإنني بجنـاحـه العَلَويِّ طـائرْ

مَنَّ الإلـه بنفحـة الـ ـمختـار رغمـاً للمكابرْ
فـالسر عن قلب الرسـو ل الهـاشمي الطُّهر صـادرْ
والله يفعـل مـا يشـا ء بـأمره تبـدو المظـاهرْ
فـدعِ الجهـول ومـا ادعـا ه ومـا يـؤمِّـل أو يُحـاذرْ
وصن السريرة بـالرضـا والله أعلم بـالسرائرْ

☆ ☆ ☆

ولما كان هذا الإلحاق مبنياً على الحكاية ولم أبلغ فيه من مدح شيخي - رضي الله عنه - الغاية أفردت بهذا الوزن والروي هذه القصيدة النضيدة بمدح شيخي صاحب الأطوار السعيدة ، والأخلاق الحميدة ، والعلوم المفيدة - رضي الله عنه وعنا به - وهاهي بنصها والحمد لله رب العالمين :

بدرُ الكمـال من الستـائرْ حيًّـا فـأشرقتِ الحظـائرْ
شيخي بهـاءُ الـدين مهـ ـديُّ الرجـال أبو المفـاخرْ
الـوارث العَلَـويُّ سلـ ـطان الحمى عـالي المـآثرْ
والمُلحـقُ الشُّعْثِ الأصـا غر بـالأجـلاّء الأكابرْ
فلـكٌ بـه دَوْرُ الـولا يـة والهُـدى النبـويّ دائرْ
فرعٌ جليـلُ الأصـل زاكي الـ ـفعـل رحبُ البـاع طـاهرْ
سبـقَ الرجـالَ أولي الكمـا ل ببـاطنٍ عـالٍ وظـاهرْ
دُمِجَتْ بطيَّـةِ سِرِّه شيم الأوائـل والأواخرْ
أُنظر اليـه تقـول إنـك للـوصي الفحـلِ نـاظرْ
واسْمَعْه تَحسبُ جَدَّه الـ ـكرار يخطب في المنابرْ
وتظنُّ والـده الرفـا عيُّ الإمـام الغوث حـاضرْ
وتخـالُ صيّـاد القلـو ب يجول في تلك المحاضرْ

وترى جنابَ في معا رفه العظيمُ الفكرِ حائرْ
شيخ الطرائق والحقا ئقِ والحظائرِ والدوائرْ
عَلَمُ العلومِ وكنز أصـ ـنافِ الإفاضاتِ البواهرْ
النائبُ النبويُّ معـ ـمور السريرة بالسرائرْ
ذو مظهر بالفضل والـ ـبرهان مَنّاحٌ وقاهرْ
الله أعطاه التصرفَ في البواطن والظواهرْ
بحرٌ إلٰهيٌّ الفيو ض نداه يقذف بالجواهرْ
ولقد تَجِفُّ اذا أردنا وصفه العالي المحابرْ
قد حازَ فضلاً يُدْهِشُ الـ أبصارَ من أهل البصائرْ
فَعَلا بسِيرته عن الـ أشْباهِ طُراً والنظائرْ
منهاجه مَثَلٌ شريـ ـف السبكِ في الأكوان سائرْ
فبه الرفاعيُّ الكبيـ ـر يُزيل شنشنةَ المكابرْ
وبه أبوه لأُمِّه الـ ـجيليُّ مُفتخرا يُفاخرْ
وزكت أُرومتُه بعرق طيبِ زاكي العناصرْ
يعلو الى الحسنين بالنسب الذي نظم الزواهرْ
عُقِدَتْ على طرفيه بالـ إجلال في الكونِ الخناصرْ
وله الكراماتُ التي بَهَرَتْ ومنها البحرُ زاخرْ
لم يَجْحَدَنْها قَطُّ إلاَّ كلُّ ممكور وخاسرْ
يُحْيي القلوبَ بنظرةٍ ويُفيض بالنَّفَسِ البشائرْ
وفتىً يلوذ به بصدق بيتُه بالله عامرْ
قطبُ البريةِ غوثُها شيخ البوادي والحواضر
والله ما ناديتُه إلاّ ومنه السرُّ حاضرْ
وَلاَهُ مولاه الولا ية فهو تاجُ ذوي المظاهرْ

وبـه انطـوتْ أسرارهــا ... ولهـا لعمري منـه نـاشرْ
وعلـومُـه كم قـد طـوى ... فيهـا عبيراً بـالعبـائرْ
ورمـوز حكمتـــه جَلَتْ ... سر البشـائر بـالأشـائرْ
ذو همــــة كم قَــوَّمَتْ ... بعد اعوجـاجِ حـالَ عـاثرْ
وفتى قـويُّ العـزم قـد ... فَلَقَ العجاجَ ببـأسِ صـابر
أغْنتـه نجـداتُ الرسـو ... ل عن القبـائل والعشـائرْ
وعَـلا منصــة رفعـــةٍ ... حَـوَتِ المـوارد والمصـادر
وبكل أمرٍ ربُّـــــــه ... أبـداً لـه واقٍ ونـاصرْ

☆ ☆ ☆

ويعذب ما أورده الحريري[٦٢] في مقاماته ، وذلك بيتان معموران خمَّستها فقلت :

اذا انتبه الإنسانُ من سُكْرِ نومـه ... وقـام نبيـه الفكر حَرّاً بقـومـه
يقـول ولم يَجْنَـحْ لِـلائِـك لـومِـهِ ... لعمرك مـا الإنسـان إلاّ ابنَ يـومِـه
على ما تجلّى يومُهُ لا ابْنُ أمِهِ
يـؤخره فقْدُ النُّهى إن تقـدَّمـا ... ويُبْرِزهُ العِرْفـــانُ إن كان مبهما
فكم خـاملٍ بـالعلم هـامَ النُّهى سَما ... ومـا الفخر بـالعظم الرميم وإنمـا
فخارُ الذي يبغي الفخارَ بنفسه

☆ ☆ ☆

---

(٦٢) الحريري :

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري : الأديب الكبير صاحب « المقامات الحريرية ـ ط » و « ذرة الغواص ـ ط » و « ملحة الإعراب ـ ط » له شعر حسن ، وأخبار ، غزير العلم مولده سنة ٤٤٦ هـ ووفاته بالبصرة سنة ٥١٦ هـ من الأعلام للزركلي .

وأورد الحريري ـ رحمه الله ـ في مقاماته من لطائف الأبيات البديعة ما نصه :

لعمرك ما كلُّ فرع يدل ... جناهُ اللذيذُ على أصله
فَكُلْ ما حلا حين تُؤتى به ... ولا تسأل الشهدَ عن نحله
ومَيّز اذا ما اعتصرتَ الكرومَ ... سُلافةَ عصرك من خَلّه
لِتُغْلي وتُرخِصَ عن خِبرةٍ ... وتَشْريَ كُلاً شِرَى مثله
فعارٌ على الفطِنِ اللوذعي ... دُخولُ الغميزةِ في عَقْله

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

اذا المرءُ أخطأ نهج الصواب ... عناداً فقد زَلَّ في فعله
وإن أهملَ العلمَ يبغي الحطامَ ... فذاك الدليل على جهله
يدل على العقل فعلُ الفتى ... ومنتظَمُ السبك من قوله
ومَنْ مِنْ حرام يُفيضُ النوالَ ... فقد بَرْهَنَ الحُكمَ في بخله
وقد يُطلبُ التبر من كنزه ... ويُسْتودعُ السرُّ في أهله

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي والعون بالله ومن الله :

عجبتُ لأصحاب هذا الزمان ... فهل هكذا سائرُ الأزمُن ! ؟
اذا الحالُ خالفَ أهواءَهم ... رَمَوْا هَدَفَ الود بالألسن
كأنك وقْفٌ لآرائهم ... وفرضٌ عليك بها تعْتَني
وإن هزّك الدهر في صَعْبَةٍ ... قلوكَ وراشوكَ بالأعين
تفرَّد هذا الزمانُ الأخيرُ ... بمزج المسيء مع المحسن

☆ ☆ ☆

ومما كتبته لبعض الأخلاء عن واقعة :

يـا مَن جعلتَ العتبَ طبعـاً لاتكنْ ممن يرى للمخلصين ذنـــوبــــا
فمتى انسلكتَ مـع العتـاب خرجت من نهـج الـوداد فــلا أراك عتـوبــا

☆ ☆ ☆

وكتبت في أُخرى لأحد الأخلاء :

أفـــلانُ لاتَبْـــغِ التكلف إن تكنْ خِـلاً من الخِـلّ المعَرَّفِ بـالـوفــا
فــالـود في طبـع الكرام غريـزةٌ صِينت ومـــا للخِـلّ أن يتكلَّفـــا
فـــاذا الـــوداد جرى بشكل تكَلُّفٍ بين الأحبَّة قُـل على الـدنيـا العفـا

☆ ☆ ☆

ومن أدقّ كلام سيدنا السيد المهدي رضي الله عنه وعنا به ونصه :

أبَنَيَّ خَـلِّ ذوي النفـــاق بغَيِّهم هَمَــلاً ودَعْ بين الأنـــام أذاهُمُ
أتروم منهم غيرة ؟ وقـــديمهم رأوا النبي ونـــورُهُ أعمـــاهُمُ

☆ ☆ ☆

فتشرفت بالحاق قوله العالي بقولي :

إلْـزم سبيـلَ الصـادقين وكن على طـول المـدى معهمْ وخَـلِّ سـواهُمُ
فـالنـاس يـاهـذا معـادن فـاغتنمْ من شـــأنهم أسرارَ من ســوّاهُمُ

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلمات شيخنا الإمام السيد المهدي رضي الله عنـه وعنـا بـه قوله

فِتَنٌ هـــذه المظـــاهرُ فـــافهمْ حِكمـةَ الـوضع فـالرجـالُ معـادنْ
تـــداعى الجبـــالُ تسعى بعـزمٍ وتَرى في البســاطِ وهي ســواكنْ

فتـــدبَّرْ صنـع المهين فـــالـــذر   ات فيهـــا ممـــا طـــواه كائنْ

☆ ☆ ☆

فافتخرت ملحقاً قوله الجليل بقولي الكليل ونصه :

رُسِمَ الكلُّ قبـلُ في العلم فـــالمقـ   ـضيُّ لابـــد في الحقيقـــة كائنْ
لكنِ السرُّ غـــامضٌ وهـــو عن أفـ   ـهـام أمثـالنـا بعيـدٌ وبـائنْ
وبمعنى اعتبـــارنـــا بَعْـــدَ فكرٍ   نفهمُ السرَّ تـــارةً إن نعـــاينْ
والـــذين ارتضـــاهم الله أحبـــا   بـاً لعمري هم للخفـايـا أمـاكنْ
إنمـــا خِلْعـــةُ المحبـــةِ فيهـــا   مـــددٌ ضمنَـــه المســاوي محــاسنْ

☆ ☆ ☆

نقـل ابن الحـاج الـواسطي ـ طـاب ثراه ـ في (أم البراهين) أن الإمـام الأكبر ، والغوث الأشهر سيدنـا السيـد أحمد الرفـاعي[٦٣]ـ رضي الله تعـالى عنه وعنا به ـ كان يُنشِد من شعره في أيام رمضان هذه الأبيات المباركة ونصها :

أراني اذا مـــا أظلم الليـــلُ أشرقتْ   بقلبيَ من نـــار الغرام مصـــابيـحُ
أُصلي بـــذكراكم اذا كنتُ قـــائمـــاً   ألاَ إنَّ تـــذكارَ الأحبـــةِ تسبيـحُ
يَشـــحُ فـــؤادي أن يبـــوحَ بسركم   كـذلـك بعض الشح في المرء ممدوحُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت وافتخرت بإلحاق كلامه العالي بكلامي هذا وحسبي الله :

كتمتُ هـــوى من هيَّم القلبَ حُبُّهم   ومن طي كتماني بحـــاليَ تصريـــحُ
تُرَنِّحُني ريـــحُ الصَّبـــا بشـــؤونهم   فتخطَفُني من كل أجـزائيَ الريـــحُ
يقـــولـــونَ لي هـــلاّ اشتغلتَ بغيرهم   فقلتُ وهل بـالشغل تُشفى المجاريـحُ ؟

☆ ☆ ☆ ☆

---

(٦٣) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٤١

روى الخويّي في الفرائد بيتين لبعضهم في صاحب تغيّر عليه ونصها :

قد كنتَ أكرم صاحب وأبرَّه — حتى دهتك أصابع الشيطان
جَذّ الإلهُ بنانها وأبانها — كم غيّرتْ خُلُقاً من الانسان

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

يا من تُغيّره روايةُ كاذب — ويروح منقاداً بكل عنان
ما فيك من شيم الأحبة شيمةٌ — لتُعدّ في الأحباب والخلاّن
ترضى وتغضبُ للمطامع زالقاً — عن نهج أهل الصدق والعرفان
وتقيم منك على المحب تعنتاً — حُججاً بمحض الإثم والعدوان
وتظن أنْ تغدو بذلك رابحاً — سُفِّهتَ رأيك باعثَ الخسران

☆ ☆ ☆

وفي حِكَمِ الإمام الصادق بن محمد ـ رضي الله عنهما ـ (قبر العاقّ خير منه) فنظمت هذه الحكمة بسلك هذه الأبيات فقلت :

رَبُّ الزور طبعاً يلهو — كم تبدو الدنايا عنهُ
والخِبُّ المحبُّ الدنيا — فوق الدين لاتأمنهُ
والخِبُّ الذي لايبغي — إلاّ أنت قلباً صُنْهُ
واهجر عاتباً لايرضى — لو كالبدر أضحى يزهو
وابنٌ عقَّ أعرض عنه — (قبر العاقّ خير منه)

☆ ☆ ☆

وروى الامام الخوَيّي بيتين لبعضهم احتويا على معنى يحث على علو

الهمة وعدم فوت الفرصة ونصها :

وقـالـوا يعـود المـاء في النهر بعـدمـا عَفَتْ منـه آثـارٌ وجفَّتْ مشـارعُـهْ
فقلت الى أن يرجـع المـاء عـائـداً ويُعْشِبُ شطَّـاه تموتُ ضفـادعُـهْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقتها بقولي :

يُسـارعُ ربُّ الحزم بـالخير مؤمنـاً بمـا الله في الحكم المقـدَّر صـانعُـهْ
يقـوم بنفـع النـاس لله لم يَجِـدْ بمسراه عما المصطفى الطُّهرُ شارعُهْ
يـؤدِّي حقـوقَ الله والخلـقِ ريِّضـاً وتُبـذلُ فيما الله يرضَى صنـائعُـهْ
ويُعرضُ عن خـوض اللئيم ترفعـاً على أنـه في لغـوه اللهُ سـامعُـهْ
وإن امرءً آذى الأنـامَ لنفعـه سَتَقْبُحُ يومـاً في الزمـان مصارعُهْ
ويـأمن مكرَ الـدهر من هـو أحمق وإن كثرت مما اقتنـاه بضـائعُـهْ
ومـا الشيءُ من هـذي الحُطـامِ بمسعدٍ يُسَفِّـهُ شـاريـه ويخسر بـائعُـهْ

☆ ☆ ☆

وفي الفرائد للخوَيِّي - رحمه الله - بيتان رواهما عن الخالدي - طاب ثراه - وهما :

وأخ رَخُصتُ عليـه حتى مَلَّني والشيءُ مملـولٌ اذا مـا يرخُصُ
مـا في زمـانـك مـا يَعِزُّ وجـودُه إن رمتَـه إلاّ صـديـقٌ مُخلصُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقتها بقولي والله المعين وبه ثقتي :

النـاسُ أجنـاسٌ لكلٍّ معـدنٌ والحُب عن حِكِمٍ يـزيـدُ وينقصُ
تجري مـع الحِكَم الشـؤون وتـارةً للقِرْدِ في الـزمن المـلايم يُرْقَصُ

ويُكرَّمُ الخِب اللئيم لشَرّه ولفضلـــه الفَطِنُ اللبيب يُنَقّصُ
فـاذا علقتَ بمخلصٍ فـاحفـظ لـه حـقَّ الـوداد وأين ذاك المخلصُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف إشاراتي والحمد لله وهو يقطر لطفاً :

يُميـلُ النسيمُ الغصـونَ الرقـاق فيخطَفُ ذاك اللطيف اللطيفـا
وتجـذبُ نـوعَ القلـوبِ الطبـاعُ وطبعـاً يُحب الشريفُ الشريفـا
وإن الخـؤونَ يُـوالي الخـؤونَ ولا ريب يرضَى العفيفُ العفيفـا
وتلقَى القـويَّ يُعـز القـويَّ وقلبـاً يعين الضعيفُ الضعيفـا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلام سيدنا القطب الأعظم السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني[٦٤] ـ رضي الله عنه وعنا به ـ قوله وهو في غاية الحسن ومعانيه تحتمل وجوها كثيرة :

يامدعي القربِ والأقوامُ قد بلغوا مراتبـاً ذات إجـلالٍ وإعـزازِ
وقفتَ بـالـوهم في زعمٍ على شطـطٍ مـا العِلم تَنْسيـقُ أرمـازٍ وألغـازِ
القـومُ في السُّوَرِ الأُولى منـازلهم وأنت بين أبي جـادٍ وهَـوَّازِ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت قوله العالي بقولي :

يُـزاحمُ القـومَ قـومٌ لاخـلاق لهم بـزعمهم طيشَ هَمّـازٍ ولَمّـازِ
مـا ماثلوا القومَ في عـالي مراتبهم إلاّ كما مـاثـلَ العصفـورُ للبـازِ

---

(٦٤) ــــــــ

الحقُّ مهما طواه النـاسُ في كـذِبٍ　　　يُجْلَى بفَرْقٍ كفرق الشـام عن رازِ

☆ ☆ ☆

وأقول روى الأبيات الصيادية الشريفة سيدنا الإمام السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بـ (الرواس) - رضي الله عنه - في رسالة له صغيرة اسمها (واردات الغيب) وقال بعد ذلك ذكر الأبيات وبعض كلمات ونصه :

سيدنا الإمام السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني - رضوان الله تعالى وتحياته عليه - كان من أعظم الأقطاب الذين أحرزوا بالتمكين مرتبة الغوثية وقاموا بها رُتبة وخِلعة بدون طيش ولا سُكْر ، وهو من سلاطين حضرة الحضور .

والحق أقول : هو في الدوائر على قدم جَده سلطان الأولياء والصديقين السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني - رضي الله عنهما وعنا بهما - وله اللسان العذب الرشيق ، والكلام الحلو الرقيق وهو أحد أهل الناطقة العلوية في البيت الأحمدي العلوي ، ولا تلتفت أيها المحب لمن لم يعلم مقادير الرجال ، ويشتغل بالقيل والقال ، ويُتعب النظر بكُتب أهل الوحدة المطلقة والشطاحين فهو مثلهم من المغلوبين ، وتمسَّكْ أيها المحب بظاهر الشرع لا تعدونَ عيناك عنه تُريد زخارف الأقوال ، فما هي : إلاّ من القواطع عن الله ، والموانع عن الدخول الى حضرة القرب النبوي ، ولو تضمَّنت كلماتٍ صحيحةً فهي كالسم في الدسم ، اللهَ اللهَ بدينك ، اللهَ اللهَ بإيمانك ، دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، خذ ما تعرف من ظاهر السُّنة ، ودع ما تُنكر من باطن الاختيارات ، ولا تُقدّم على الشرع قولا ، ولا تُحدث فيه فعلاً ، واتّقِ الله فالله غيور ، وإن الله لمع المتقين . انتهى

فمن رقيق نظم السيد المترجَم قوله رضي الله عنه :

أمن رفرف الأكوان لاحت لك النفس فوافقها من حالك الطور والحِس
تأسَّ بأهل الله واعمل بجدهم وتمكينهم فالجنس يعرفه الجنس
همُ شهدوا نور الحبيب وحسنَه وأُطمست الأملاك والجن والإنس

☆ ☆ ☆

وما أسنى وأشرف قول شيخنا الإمام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

إيّاكَ تزعم في الورى فوقيةً عن واحدٍ من كل خلق اللهِ
فنهايةُ الأحوالِ غيرُ جليةٍ ولدى التناهي يَسقط المتناهي
فخف الإلّه وكن لبيباً واعياً فالأمر في تنويعيه للهِ
واصرف جميعك عن جميع الكون لاَ تَـزْلَقْ ولا تَمْرَحْ بقلبٍ لاهي
كم راحَ للدركات يَهْوي مَن علا بالنفس بين تفاخرٍ وتباهي
خاض المنايا وهو يحسب أنها لا شيء يطرقها بعزم واهي
فافزع لربك ناهجاً نهج الهدى وطريقةَ الهادي فما إلاّ هي

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت بالحاق قوله بقولي :

يامن يروم الى الحقيقةِ مشعباً خُذْ صادقاً إثْرَ العريض الجاهِ
وتَنَحَّ عن دعوى التعالي إنها فيها من المرض المُلِمِّ دواهي
إن الدواء هي الشريعةُ فالتزم مِنهاجها واعمل بأمر اللهِ
فالنصُّ بالحكم المؤيّد آمرٌ وعن المآثم والنواهي ناهي
واجعل بكل الناس ظنك طاهراً واهجر أخا السوء الأثيم اللاهي

وصُنِ اللسانَ فلا تدعْه مُلوثاً فإلى القلوب طرائقُ الأفواهِ
واستغنِ بالمولى ففي قيد العنا من كان منتصراً بغير اللهِ

☆ ☆ ☆

ويُعجبني ويُطربني قول شيخنا الامام الرواس رضي الله عنه وعنا به ونصه :

أترجو من الأموات نصراً وكلُّ مَنْ تراهم من الأحياء في الكون أمواتُ
فإن ثَمَّ نصرٌ عن يدٍ قد تسربلتْ قُوىً فلها من حضرة القدس اثباتُ
ولا فعل للمخلوق والغيرُ آلةٌ . تدبَّرْ فللشرك المأوَّل آفاتُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله الشريف بقولي وأنا أعثر بأذيالي خجلا ولاحول ولا قوة إلاّ بالله :

تمسَّك بأهل الحقّ والحقّ إنه على الحقّ والسارين فيه علاماتُ
وخَلّ أُخَيَّ الغيرَ عنك وكن كمن سَرَوْا وبرُحبِ الأمن في بابه باتوا
يقولونَ أبْعَدْت الضمير ألِلسّوَى يعودُ ضميرٌ أو تدوم له ذاتُ
لقد أبرز الآثار ربي لحِكمةٍ أجَلْ كلُّ أصناف الحدوث إشاراتُ
مظاهرُ تبدو جَلَّ مُحدِثُ كونها له عزٌّ في هذي المظاهر آياتُ

☆ ☆ ☆

ومن شرائف الكلمات النورانية قول شيخنا الإمام السيد محمد مهدي رضي الله عنه وعنا به :

رقرقْ وجودَك في عَدَمْ وافْنِ المزعومَ عن الامَمْ
لاتنظرَنْ ثَمَّ الأعارب لا ولا شوسَ العجمْ

وبكل هـذا لا تَـدَعْ ما قـام فيهـا من حِكَمْ
آثـار أسرارٍ جَـلا منهـا الخفيَّ المكتتمْ
دلَّت عليـه وشـأنهـا جـارٍ على نص القِسَمْ
هـل آكِـلٌ كلَّ الحطـا م فتىً بلَمَّتهـا خَطَمْ
أو آخـذٌ مـاقـد قَنَى أو آمنٌ فيما أَلَمْ
فـاسلكْ سبيل الصالحيـ ـن الزُّهرِ أصحـاب الهممْ
وانهـج على قـدمِ النبيّ وخَـلِّ رُكبـان النـدمْ
سـاروا على أهـوائهم كالعُمْي تخبـطُ في الظُّلَمْ
شيـخٌ يتيـه بشطحـه وبشطحـه الـوهمُ انتظمْ
وفتىً يرى في نفسـه التـ ـأثيرَ زلْفَـةَ ذي صممْ
ومُخـامِرٌ وهم الحلـو لِ والاتِّحـادِ مـع العـدمْ
أرأيتَ معـدومـاً يـدو م وُقيتَ داهيـةَ السَّقَمْ
أبصر بنـور الله تعـ ـرف سر مـا خَـطَّ القلمْ
وهنـاك لم تُغْـطِ الحـوا دثَ قـطُّ سلطـانَ القِـدَمْ
ولهـا تُقَر بمـا الـذي الـ ـباري الحكيمُ لهـا حَكَمْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت متشرفاً مفتخراً قـول سيدي بقـولي والعنـايـة من الله لـه الحكم واليه ترجعون ونص قولي :

شيخي حكيمُ الأوليـا ء كتـابُ آيـات الحِكَمْ
أبـدى أسـاليب الطر يق على الطريـق المنتظمْ
وأبـان أسرار الـوجـو د وحُكمَ أطـوار العـدمْ
والجمـعَ بين النكتتيـ ـن على هُدى الشرعِ الأتمْ

والفرقَ مـا بين الحـدو ث بكل طـور والقِـدَمْ
لن تستبِـدَّ الحـادثـا تُ بفعلهـا فـافهمْ ونَمْ
يـا مَن يرى التـأثير للـ ـمخلوق قـولـك حَشْوُ سَمْ
وكذاك يا من قد نفَى الـ آثـارَ منـك الجهـلُ عَمْ
النـار تحرق بـالـذي فيهـا أُقيمَ ولا جرمْ
والمـاءُ يُعطى الرّيَّ بـالسر الـذي فيـه انتظمْ
ولكل اجـزاء الـوجـو د إفـاضـةٌ فيهـا قسَمْ
جرت المقـاديرُ التي كُتبتْ وقـد جَفَّ القلم
أوَ مـا رأيتَ قـوامَ هـذا الجسم في هـذي اللُّقَمْ
فـاعرفْ من الأسباب أسـ ـرار المسبِّب لن تُـذمْ
واعمـل بـأحكام الشريـ ـعة لن يـزلَّ بـك القدمْ
وتنـحَّ عن مـزج الضيـا ء بغير علم في الظُلَمْ
وخُـذ الهـدى من أهلـه فـالنـار تلمع في العَلَمْ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول الشريف الموسوي ـ قدس الله روحه ـ ونصه :

أنت الكرى مـونسـاً طرفي وبعضهم مثلُ القَـذى مـانعـاً عيني من الـوسَنِ
لقـد تمـازج قلبـانـا كأنهما تراضعـا بـدم الأحشـاء لا اللّبَنِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، فليتدبر فلكل وجهة :

أسهرتَ طرفي وقـد أشبعتـه شجنـا وقـد يشب لهيبَ النـار بـالشجن
طـواكَ قلبي وقـد مـزّقتـه حنقـا عليَّ وَفّقْتَ سرَّ الحـال في اللبن

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم ، ونصه :

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحانِ اذا هما لم يُكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه ... واقنعْ بجهلك إن زجرتَ مُعلّما

☆ ☆ ☆

وألحقتُ قوله بقولي :

قَرّبْ كرام الخيّرينَ أولي النُّهى ... واهجرْ مَن اتخذ التودد مغنما
فأخو الحُطام مقاربٌ ومباعدٌ ... فافطن له مُتأخراً متقدّما
رَيّض فؤادَك يالبيبُ لبُعده ... أبدَ المدى حتى يزورَ جَهَنّما

☆ ☆ ☆

ومن تجربة ابن العميد[٦٥] رحمه الله قوله :

أخِ الرجالَ من الأبا ... عدِ والأقاربَ لاتُقاربْ
إن الأقاربَ كالعقا ... رب بل أضرُّ من العقاربْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله :

إنَّ الأقاربَ إن زَكَوْا ... شيَماً بهم تُنْفَى النوائبْ

---

(٦٥) ابن العميد :

محمد بن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل : وزير من أئمة الكُتّاب كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ولُقّب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله . قال الثعالبي : ندئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان كريما ممدوحا له « مجموع رسائل - خ » وشعر رقيق . قال ابن الأثير في وصفه : أبو الفضل من محاسن الدنيا اجتمع فيه مالم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع مع حسن خُلق ولين عشرة وشجاعة تامة ومعرفة بأمور الحرب والمحاصرات وبه تخرج عضد الدولة البويهي ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء توفي سنة ٣٦٠ هـ عاش نيفا وستين : من الأعلام للزركلي .

وإذا علتْ أخـــــــــلاقُهم وضعـــوك في أعلى المراتبْ
لكن اذا انحطـــوا بســـوء الخلـــق والتحفـــوا المعـــائبْ
فهم العقـــارب فـــابتعـــدْ عنهم فمـــا هم بـــالأقـــاربْ
بـل هم عليـك من الـــزمـــا ن لجلب أصنـافِ المتـاعبْ
وإذَنْ فـــأحسنَ منهمُ البُعَـــداءُ من أقصى الأجـــانبْ
فـــاستكفِ بـــالله الكريم عن المـــلايم والمجـــانبْ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول عبد الله بن طاهر رحمه الله ونصه :

ألم تَرَ أنَّ المرءَ تَـــدْوَى يمينُـــه فيقطَعُهـــا عَمْـــداً ليسلم ســـائِرُهْ
فكيف تراه بعـد يُمنـاه صـانعـاً بمـا ليس منـه حينَ تبـدو سرائرُهْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي وفيه معنى جيد ونصه :

اذا المرءُ لم يحفـظ كرامـــةَ خِلِّـــه وأضحى لِلُـؤم بـالعنـاد يجـاهِرُهْ
يحِـلّ لــه في شِرْعـةِ المجـد قطعُـهُ وعـاذلُـه في ذلـك القطـع عـاذِرُهْ
وإن قـال ان القلب منــه يُجلّــه يُكـذِّبُـهُ في ذلـك القـول ظـاهِرُهْ

☆ ☆ ☆

وقد ذكر شيخنا القطب الغوث الجليل السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خـزام الصيـادي الرفـاعي الحسيني الشهير بـ(الرواس) - عطر مرقـده - في رسـالتـه المسماة (واردات الغيب) بيتين لسيدنـا ومولانـا الإمـام السيـد أحمد الرفاعي الحسيني - رضي الله عنه وعنا به - ونصهما

إن كان لي عنـــد سُليمى قبـــولٌ فمـــا أُبـالي مـــايقـولُ العـــذولْ

أطمع أن ترضى لأني على   خبّي لها عندي شهودٌ عُدولْ

☆ ☆ ☆

قلت : وبعد أن ذكر شيخنا البيتين المذكورين ، قال هو ـ رضي الله عنه ـ ما نصه :

شهودي الصدقَ على حُبّها   ودمعةٌ تسقي فجاجَ الطلولْ
ولوعةٌ يعرفها أهلُها   مُحْرقةٌ لولا انهارُ السيولْ
لذاكَ أذنتني بسلطانها   لدستها ما بين كل القُفولْ
وقمتُ في حضرتها زاهيا   لم أدرِ للفرحة ماذا أقولْ
نَقَلْتُ قبل الوصول عنها الرضا   وتمّ حُكم الوصل بعد الوصولْ
الحمد لله المرجّى أتى   وصَحَّحَ الله تعالى النقولْ

☆ ☆ ☆

قلت وإشارات شيخنا ـ رضي الله عنه ـ للذات المقدسة المحمدية ، وفيها رمز يُعرب عن مد اليد النبوية الزكية للحضرة الجليلة الرفاعية ، وهنا قلت مُلحقاً مع الفخر والشرف قول شيخنا ـ رضي الله عنه ـ بقولي :

لقد حكى المهديُّ عن جده   رموزَ أسرارٍ تَطيش العقولْ
يا الفروعِ قد علتْ رفعةً   قد شاكلت بالطوْل شأن الأصولْ
منهم بهاء الدين صدر الحمى   علاَّمةُ الوقت القؤول الفعولْ
سلطانُ أهل الحال غوث الورى   والصادق الموثوقُ فيما يقولْ
بحر من العرفان موجاتُه   في كل برٍّ بالمعاني تجولْ
وسيدٌ رَحْبٌ ذراع له   دانتْ لإحراز القبول الفحولْ
ياليت شعري هل أراني ولي   في بابه الرَّحْب المعلّى مُثولْ
أُقَبِّلُ الأرض بذاك الحمى   بخشية ودمعُ عيني سيولْ

أذرُ في العين ثرى قبره ويـا بعَيْني تُرْبُ تلـك الطلـولْ
مـا أطيب الـوقفـة في بـابـه وبي لـوجـدي واشتيـاقي ذهـولْ
هــذا هـو القْصــد وكلُّ المنى عسى المنـايـا عنـه أن لاتحـول

☆ ☆ ☆

وما أعذبَ قول الحسن بن هاني في الإمام علي الرضا رضوان الله عليه وسلامه :

قيـل لي أنتَ أشعر النـاس طُراً في المعـاني وفي الكـلام النبيـه
فلمـاذا تركت مـدح ابن مـوسى والمعـالي التي تجمَّعنَ فيـه
قلت لا أستطيـع مـدحَ إمـامٍ كان جبريـل خـادمـاً لأبيـهِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي : والفضل بيد الله :

إنَّ مـدحَ الرضـا عليٍّ لعمري يفخر المـادحُ المفـاخرُ فيـه
هــو من عترةِ النبي إمـامٌ يـذكر اللهَ مـوقنـاً رائيـه
كعبـةُ الأمنِ مهبـطُ الروح جبريـل أمين الرحمن بيتُ أبيـه

☆ ☆ ☆

وقد روى بعضهم عن أبي نُواس الحسن بن هاني مثل هذه الأبيات في مدح أهل البيت المحمدي ونصها :

قـال لي قـائـل رأيتـك تهوى آل طـه ودائمـا تجتبيهم
كان فرضـاً عليـك تستغرقُ المـد ح جميعـاً فيهم وفي مَن يليهم
قلت مـاذا أقـول والكـون طُراً يستمـد النـوالَ من نـاديهم
أنـا لا أستطيـعُ أمـدحُ قـومـاً كان جبريـلُ خـادمـاً لأبيهم

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي مفتخراً ومتشرفاً بمدح الآل الكرام على جدهم وعليهم السلام ، ونص قولي :

آلُ بيت النبي أقمـــارُ فضـــلٍ نَشْرُ ذاك الكســاء قــد يَطـويهم
عِترةُ المصطفى ودون نـــــزاعٍ طُــويَتْ ســـائرُ المفــاخر فيهم
لم يخبْ في الـــدارين مخلص قلب راح في كشف حـــادثٍ يرتجيهم
فبهم بــــل وقبلَهم بـــــأبيهم أشرق الكــون بــالهــدى وأبيهم
ربهم في العما اصطفـــاهم وحُكمـــاً وافـــــق اللهَ كل من يصطفيهم

☆ ☆ ☆

ولشيخنا ـ رضي الله عنه وعنا به ـ وهو في غاية الحُسن :

قد تَدَّعي رُتبة القوم الذين علوا يـــا كاذبـــاً غرَّهُ الأسماءُ والنسبُ
هـــذا أبـو لهبٍ في حُكم رتبتـــه لـو صح منهاجُـه المرضيُّ قيل أبُ
قــد أسقطتــه على وهْنٍ قطيعتُــه بغيِّــه وانطـوى في صــده الحسبُ
فتـــابــع القـــومَ لاتترك طرائقَهم وَلْيُصْلحِ الشأنَ منـك الـدينَ والأدبُ
فمنهـجُ المرء يُـدرَى من غـوامضه وسِرُّها صدقُـهُ الممـدوحُ والكـذبُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي والأمر لله :

لم ينفـع القـولُ في أمرٍ بـلا عمـــلٍ وكلُّ شيء لـــه في حُكمـــه سببُ
صحـائفُ في خـزانـات الغيـوب لقـد صِينَتْ وقـد سُطِّر الألـواح والكتبُ
تبـاين الصـدقُ والـزور القبيـح كما عرقـاً تبـاينت الأعجـام والعربُ
أقـول هــذا لفرق النـوع معترفـاً بأنـه الـدين عنـد الكامـل النسبُ

☆ ☆ ☆

وما أعذب قول شيخنا رضي الله عنه وعنا به :

لازمْ أُولي الذوقِ أربابَ الفهوم وخذْ   من علمهم مُـذعنـاً كلّ الأفـانينِ
ولا تقـل ذاك من بـدوٍ ومن حَضَرٍ   قـد يـوجـدُ الـوردُ في غير البسـاتينِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله متشرفاً بقولي :

يخف ميزانُـه بـالكـذب إن ثقلتْ   بـالصـدق للقـوم كفَّـاتُ الموازين
أقـوالـه لغـطٌ في اللفـظ مبرزةٌ   قـول الـدُّهـاة وأفعـالَ المجـانين

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنـا الإمـام الرواس - رضي الله عنـه وعنـا به - من كلامه :

العقـل يَثْبُتُ بـالأفعـال إن شرفت   وإنمـا المرء يُغلَى السعر بـالخُلُـق
فربَّ شخصٍ غـلا سعراً كجـوهرةٍ   ثمينـةٍ منطـوٍ في درعـه الخَلَـق
وربَّ لابس درعٍ دُرُّه يَقَــــقٌ   وذاتُـــــه كتُراب ذَرّ في الطُرق

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي الغالي بقولي والله المعين :

خـذْ صـاح بـالُخلق المرضي منزلـةً   عنـد الكرام ففضلُ النـاس بـالخُلـق
فكم فتى حسن الأخـلاق سـاد بـلا   مـالٍ فضمَّ العُلَى في ثـوبـه الخَلَـق
كـذلـك الخُلُـق الممدوحُ كامنُـه   كالمسـك ينفـحُ منـه طيّب العَبَـق

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام الرواس ـ رضي الله عنه وعنا به ـ من كلامه العالي :

يمْ ذوي الحقّ واعرف شأنَ رُتبتهم لم يُدمجِ العطرَ في كلّ الرياحينِ
في الخَلق كالناسِ لكن في خلائقهم طوْرُ الملائك عن آثار تمكين
لله ذلوا وقد عَزُّوا يشام بهم ذُلُّ المساكين في عِزّ السلاطين

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت مفتخراً متشرفاً قوله المبارك بقولي وفيه إبداع :

يامن ولهنا بكم والوجدُ هيَّمنا فلا نُفيق لِتعداد الأحايين
غبنا بكم وانقطعنا في محبتكم عن الأجلاَّء طُراً والمساكين
متى جُنِنا بكم قُلْنا بمفخرة (مالذَّة العيش إلاّ للمجانين)

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه وعنا به ـ من كلامه العالي المبارك ما نصه :

نَبْهَجَ إذ يأتي بشيرَ اللقا يا مَنْ أقمتم في رياض النَّقا
قد أبعد الحظ المدى بيننا والبينُ شيءٌ من دواعي الشقا
إن صَحَّ ما قال البشير الذي بَشَّر من بَعد القِلَى باللقا
فُتنا له أرواحَنا للفَنا فيكم وفي هذا الفَناء البقا
وذا على بارئنا هيّنٌ كم عَتْم بُعْد باللقا أشرقا

☆ ☆ ☆

فألحقت كلامه المقدس المبارك بقولي ، والمدد من الله :

يا سادةَ دمعي رُباهم سَقَى والعينُ إلاكُمْ فلن تعشقا

قيَّـدَني الـوجـدُ بـاعتـابكم ولم أرمْ والله أن أُطلقـا
قـد خَـالَفتْ في اللب من هجركم لهفتيَ الأسمرَ والأزرقـا
الله كم تنثُرُ عيني بكم دُرًا ثميـنـاً نـوعُـهُ مُنتقى
أضرَّنـا يـا قـوم هـذا القِلَى بـالله جـودوا لحظـةً بـاللقـا

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا - رضي الله عنه - من كلامه الأشرف ما نصه :

نباهي بكم يا أهل (أمّ عَبيدةٍ) صنوفَ رجال الله والحقُّ ظاهرٌ
بأخلاقكم تزهو العبائرُ كلما أُفيضتْ ويزدان الحمى والمنابرُ
لكم خضعت بعد اليمين التي انجلت قبائلُ أصحاب الوَحَى والعشائرُ
يزاحمنا من مُدَّ بالوهم ظلُّه ودونَ مدانا بالسموِّ الزواهرُ
تعالتْ لأصحاب اليمين أكُفنا بعهدٍ عليه قد عُقِدْن الخناصرُ
فتم لنا العزُّ المطلسم كنزُهُ فما التِّبْرُ شيء عِنده والجواهرُ
لإنَّ حسد الأكفاءَ شامخ مجدنا فقد تَحسدُ الحسناءَ ميَّ الضرائرُ

☆ ☆ ☆

أقول : أورد شيخنا - رضي الله عنه - في مدحه الذي ذكرناه خطابه بصيغة الجمع إعظاماً لشأن الإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - وقد تشرفت بإلحاق قوله العالي بقولي ، والعناية من ولي التوفيق والهداية ، وهنا نص قولي :

لك اليومَ يا مهديَّ أبناء أحمدٍ مقامٌ له تعنو الفحول الأكابرُ
تفرَّدتَ في الأقطاب يا باهر السنا فنورُك وضَّاحٌ وصيتك عاطرُ
إشاراتك الفيَّاضةُ العلمِ بحرها بأنواع آيات الحقائق زاخرُ

وأنتَ لنا ذُخرٌ ننال به المنى — اذا كثرتْ للكانزين الذخائرُ
أبوك أبو العباس شيخ الحمى الذي — به لاذ كُبَّارُ الوَحَى والأصاغرُ
إمام بمد اليد من قبر جده — تفرَّدَ والبرهان كالشمس ظاهرُ
وأنت ابنه المندوب في كل حضرةٍ — على اثره والفرعُ للأصل صائرُ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا - رضي الله عنه - من كلامه الشريف ما نصه :

خلِّ الرياضةَ وارْتَضْ في محبتنا — يا منْ يرومُ من المحبوب إحسانا
والزمْ طريقَتَنا وافهم حقيقَتَنا — إنْ نلتَ من واردات الغيب عرفانا
فاللهُ في عالم القدس المنيع عُلاً — على دوائرِ أهلِ الله وَلاّنا
نُعطي ونمنع والأقدارُ تسعفنا — فضلاً وعينُ رسول الله ترعانا
ونحن في السدرةِ الكبرى بحضرته — قمنا على عزه السَّطَّاعِ بُرهانا
من رامَ في عصرنا من غيرنا مدداً — نحا البعيدَ ويدنو لو تولاّنا
كذا قضى اللهُ والأحكام سابقة — وإنْ طَغَى خَصْمُنا ظلماً وعُدوانا
يمضي على الوهم مقهوراً بحسرته — والله يقضي كما يرضي الذي كانا

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي الغالي بقولي ، والفضل لله :

يا سيدي يا بهاء الدين أنتَ لنا — رُكنٌ به يَعْمُرُ الرحمنُ أركانا
إنا تبعناك يا شيخ الوجود على — طريقةٍ قد جَلَتْ نوراً وإيمانا
لمّا اقتدينا بك ازدانت محاضرنا — والسعدُ ظاهَرنا والله أعطانا
طويتَ فينا براهينَ الطريق فلم — نحتجْ إذنْ بعد هذا الطي بُرهانا
عرَّفتنا بعد تنكيرِ ألَمَّ بنا — وعزمك النبويُّ الحالِ أعلانا

فـأنت عـوثٌ بـإذن الله كم علنـاً　　أطفـأتَ من حـادثـاتِ الـدهر نيرانـا
وكم رفعتَ وضيعـاً فـارتقى وسما　　بـالعلم والحـالِ بهرامـا وكيـوانـا
ونحنُ كيفَ انطوتْ في الدهر بـارزةً　　على طَريـق بهـاء الـدين مـولانـا

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنـه ـ من كلامـه الشريف ما نصه :

أجِـلِ الطرفَ فـالبرايـا مرايـا　　واعتبرْ بعـدُ في مرايـا البرايـا
وتـدبَّرْ صُنـعَ الإلَـه ومـا قـدْ　　بَثَّ في الكـون من خبـايـا الـزوايـا
وإذنْ تُبصر المعـاني رقـاقـاً　　ولعمري كم في الـزوايـا خبـايـا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله اللطيف الشريف بقولي ونصه :

جَلَّ من في الآثـار أبدى الخفـايـا　　وارتضى لـلأعمـال منَّـا النـوايـا
أبْرزَتْ مُضْمَرَ الخفـايـا النـوايـا　　ولعمري إن النـوايـا مطـايـا
وبطيِّ التراب في حُفَرِ القـ　　ـعِ سـواءٌ أُمَّـارُهـا والرعـايـا

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا رضي الله عنه وعنا به :

سِرَّانِ في الحُكم إيجـادٌ وإفقـادُ　　ومنـه نـوعـان تقريبٌ وإبعـادُ
تخـالفـا انطـويـا في العلم وانتشرا　　في الحُكم والطُّرْزِ إصـدارٌ وإيرادُ
فـالعلم في قِـدَمٍ والحُكم في حَـدَثٍ　　مـاقـام عنـه ولـلأضـداد أضـدادُ

☆ ☆ ☆

وللشريف عيسى الحسيني المعروف بموتم الأشبال[٦٦] ـ قدس الله روحه وطيب ضريحه ـ ونصه :

الى الله نشكـوا مـانـلاقي فـإننـا ... نُقَتَّـلُ ظلمـاً جهرةً ونُخـافُ
ويَسْعَـدُ أقـوامٌ بحُبِّهِمُ لنـا ... ونَشْقَى لهم والأمر فيـه خِـلافُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي ، وحسبي الله ، وكفى بالله :

عجبتُ لأهـل البيت بعـد جـلالهم ... أُخِيفوا جـزاءَ الطيبـات فخـافـوا
وقـد أُثْقِـلَ الأغيـارَ وافرُ فيئهم ... ومنـه فهم صِفْرُ الأكفّ خِفـافُ
يـوالـون خَلـقَ الله لله إنمـا ... عليهم بكاسـاتِ الخصـام يُطـافُ
أفـاضـوا القِـوَى في المسلمين وإنهم ... من الهَمّ والكَرْبِ المُلِمّ ضِعـافُ
لـذلـك فـالـدنيـا على كل صورةٍ ... تُـذمُّ وتُقْصى بعـدهم وتُعـافُ

☆ ☆ ☆

وحسن قول السيد محمد الفخري رحمه الله وهو :

الى الـدَّنيّ أرى الـدنيـا الـدنيـةَ لا ... تـزالُ تُـدني وتُقْصي كل ذي شَرَفِ
وطبعُهـا كان هـذا في شبيبتهـا ... فكيفَ وهي غَـدَتْ تَعْـزا الى الخَرفِ

☆ ☆ ☆

---

(٦٦) عيسى بن زيد :

عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : ثائر من كبار الطالبين كنيته أبو يحيى ويلقب بموتم الأشبال . قتل لبوة فقيل له : أيتمت أشبالها . فقال : نعم أنا موتم الأشبال . فكان لقباً له ، وُلد ونشأ بالمدينة المنورة وكان أعلم أهل زمانه وأورعهم وأسخاهم وأشجعهم صحب محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وأخاه ابراهيم ، ولما خرج محمد في أيام المنصور العباسي ثائراً بالمدينة المنورة ثار معه عيسى فكان على ميمنته ، ولما قُتل محمد وابراهيم اجتمع رجالها فلم يجد فيهم ما ينهض بالأمر فتركهم وتوارى واستتر الى أن توفي سنة ١٦٨ هـ : من الأعلام للزركلي .

وقد ألحقت قوله بقولي ، والله المعين :

تَبًا لـدنيا رأتْ إزعـاجَ من شَرُفَتْ ... أعراقُـه سُنَّـةً عن غير مُقْتَرَفِ
تُرضي أخـا سَرَفٍ أطرافُـه خَبُثَتْ ... وقـد تُسيء الشريفَ الطاهر الطرفِ
وترتضي كلَّ خِبـلٍ لاخـلاق لـه ... طيشاً وتُهْمِلُ جَحْجاحاً من التحفِ
في الأمر سِرٌّ تُرادُ البـاقيـات لمنْ ... زكتْ مغـارسُـه والسر غير خفي
فـارجعْ الى الله لا تطلبْ بـه بـدلاً ... واخضع لسلطانـه الأعلى ومنـه خَفِ

☆ ☆ ☆

وفي (جلاء القلب الحزين) لشيخ الإسلام الإمام السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي(٦٧) ـ رضي الله عنه ـ من حكمياته المباركة قوله :

أذانُ النـاسِ حين الطفـلُ يـأتي ... وتـأخير الصَّلاة الى الـوفـاةِ
يُشيرُ بـأن عُمر المرء شيءٌ ... كما بين الأذانِ الى الصـلاةِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلامه العالي بقولي :

مجيءُ الطفـلِ حين يَجيء معنىً ... لمن يـدري يـدُلُّ على الـوفـاةِ
فـإن حَسُن العُبـورُ فـذا التـوالي ... سـواءً في الحيـاة وفي الممات

☆ ☆ ☆

وله رضي الله عنه وعنا به أيضا :

ولـو أنَّ لي في كلِّ يـوم وليلـةٍ ... بسـاطَ سليمـانٍ ومُلـكَ الأكاسرهْ
لمـا سَويَتْ عنـدي جنـاحَ بعـوضـة ... اذا لم تكن عيني لـوجهـك نـاظرهْ

☆ ☆ ☆

---

(٦٧) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٨

فألحقت كلامه العالي بقولي وحسبي الله :

لعمرك أسرارُ البـــــواطنِ كيفما تخافتْ لـدى أهـلِ البصائرِ ظاهرهْ
وكلُّ شـؤونِ الحـادثـاتِ بـأسرهـا عن العلم بـالحُكم المـؤيَّـدِ صـادرهْ
فَسَلِّمْ اذا دَبَّرْتَ لله راضيـــــاً بـأحكامـه إذ قـدرةُ الله قـاهرهْ
ولا تنتصِرْ قلبـاً بغير جنـابـه فما خابَ في الدارين من كان نـاصِرَهْ
وعَمِّرْ لــه منــك السريرةَ إنهـا سرائرُ أصحـاب الحقيقـة عـامرهْ

☆ ☆ ☆

ولسيدنا الإمام الرفاعي - رضي الله عنه - هذان البيتان بجَدّه الإمام الحسين الشهيد سلام الله عليه :

شَقَقْتُ جَيبي عليـك شقـاً ومـا لجيبي أردتُ حقـا
لـو كان قلبي مكان جيبي لكان للشَـقّ مُستحقـا

☆ ☆ ☆

فألحقت كلام سيدنا - رضي الله عنه - مفتخراً متشرفاً بقولي والأمر لله :

لله كم قـد فتقتَ رَتْقَـا من قلب مُضنىً قـد ذابَ عشقـا
خَسِفْتَ يـا بَـدْرَ آهِ لَوْ مَنْ يهـواك يَفْنَى وأنتَ تَبْقَى

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام الرواس - رضي الله عنه وعنا به - من كلامه المبارك :

المرءُ يسعى ولغير الـــذي يسعى لـه الأقـدارُ قـد تجـذبُـهْ
عليـه أن يسعى ومـاذا إذنْ عليـه إن خـالقُـهُ يغلبُـهْ

وليحترفْ للرزق لا كاســـــلاً　　يقـولُ رزقُ المرءِ قــد يطلبــهْ
يُجرِّدُ الهمـــةَ للسَّعي والأقــدارُ قــد تُبـدي الــذي تكتبــهْ
بين طريــــــق الأمر والسر لا　　يــزل من بينهما مــذهبُــهْ
هنـــالــك الــلائم لم يرْمِـــه　　بلـومـــه والعقــلُ لا يُتعِبــهْ
والحُكم لم يــأخــذه سلطــانــه　　ولم يُكَــدِّرْ بــالهـوى مشربــهْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلامه الشريف بقولي والمدد من الله :

لكل معنىً حِكمـــةٌ حُكْمُهـــا　　يُفصِــحُ عن فحــواه إذ تَطْلُبُــهْ
نَقْرؤهُ لكن على غفلـــــــةٍ　　منّـــا وفي أوراقنـــا نكتبُــهْ
يَبْعُـــدُ منّـــا حين نجرى على　　آرائنـــا من غـــوره سبْسَبُــهْ
مَشْعَبُنـــا في الشرق يــوم السُّرَى　　والغربُ والهفَ النُّهى مَشْعَبُــهْ
والسرُّ من مضمـونـــه ظـــاهرٌ　　يُبْعِــدهُ الفهمُ وقــد يُقْرِبُــهْ
ليسعى الفتى للرزق لكنـــــه　　إيمـــانُــهُ بــالغيب قــد يصحَبُــهْ
وإنمـــا الإيمـــانُ نــور الفتى　　كالليــل يجلـو عَتْمَــه كـوكبُــهْ

☆ ☆ ☆

وحسن ما أورده الإمام الخوَيِّي ـ رحمه الله ـ لبعضهم وحكمته صريحة ، وهو :

أرى عهــدكم كالــوردِ ليس بــدائم　　ولا خيرَ فيمن لا يــدومُ لــه عهــدُ
وعهـدي لكم كالآسِ حُسْنـاً وبهجـةً　　لـــه نَضْرةٌ تبقى اذا ذهب الــوردُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قول القائل بقولي ، وأظن أنّ نكتته ألطف والله أعلم :

نقضتم عهـوداً أوجب اللهُ حفظهـــا　　وأكثرتمُ الــزورَ الــذي كُلُّـــه رَدُّ

زهوتم بعهد الحَسنِ والزُّورُ طبعُكمْ ... وأقصرُ شيء يزدهي عهدةُ الوردْ

☆ ☆ ☆

ومن كلام غوث الأمة سيدنا الإمام الرفاعي - رضي الله عنه وعنا به - كما رواه عنه الحافظ الذهبي[٦٨] - رحمه الله - في تاريخه الكبير :

أغار عليها من أبيها وأُمّها ... ومن كلِّ مَنْ يَرْنو اليها وينظُرُ
وأحذر من أخذ المراةِ بكفها ... اذا أبصرتْ منها الذي أنا أبْصِرُ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي بقولي :

فؤادي ضنينٌ أنْ أبوح بسرِّ مَنْ ... أُحِبُّ ويخشى أن به السرُّ يخطُرُ
اذا كان جُزئي وهو قلبي كما ترى ... له غارَ فاعلم أنَّ كلّيَ أغْيرُ

☆ ☆ ☆

ومن أغرب ماروى له الإمام الذهبي وأعذبِهِ قوله رضي الله عنه وعنا به :

اشتقْتُ يا سُفُن الفلاةِ فبَلّغي ... وطَربتُ يا حادي النياقِ فغنّني
هي تلك دارهمُ وهذا ماؤها ... فاشربْ ومُرَّ عليَّ إن لم تستني

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله الأطهر بقولي ، والفيض يؤمل من الله ، ولا إله إلاّ الله :

أهِ لأيام الوصال فإنها ... تحكي الحياةَ بلطف طالعها السَّني

---

(٦٨) الذهبي :
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ مؤرخ علامة محقق . تصانيفه كثيرة مولده ووفاته في دمشق ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ : من الأعلام للزركلي .

قلبي يطير بطـوره لرحـــاب مَنْ   أحْبَبْتُهُمْ فيــــــودّ أن لا يَنْثني

☆ ☆ ☆

وحسن قول الشريف الموسوي - رحمه الله تعالى - ونصه :

اشترِ العــزَّ بمـــا بيـــع فمـا العــزُّ بغــالِ
بـــالقصــار الصُّفْر إن   شئتَ أو السمر الطوال
ليس بـالمغبـون عقـلاً   مشتري عــزٍّ بمـــال
إنمـــا يُــدّخَر المـــا   لُ لحـاجـات الرجـال

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي ، والمنة لله :

لازمِ الحِكمـــــة في الأقـــوال طَراً والفعـــــال
وابتعـــد عن درب طيّـــاشٍ من الحِكمـــة خــالي
لم يَنَـــلْ عِــزّ بعَمٍّ   واضحِ المجـد وخـــال
بـــــل بعلمٍ وكمالٍ   زانـــه حُسنُ الخصـــال
وبمــــالٍ صين للبـــــذل وإتحـــافِ النـــوال
والـــذي يـزعم بـــالمـــال التعـــالي للمعـــالي
جَهِـــل المعنى ولم يفهم رمـــوزاتِ الرجـــال
فـــالمعـــالي هي دينٌ   لم يُــدنَّس بـــالتغـــالي
وفهـــــومٌ نيّرات   صُنَّ عن قيـــل وقـــال
وابتعـــادٌ عن أذى النـــــاس الأداني والأعــالي
واذا أمكن نَفْــــعُ الـــكلِّ في قـــالٍ وحـــال
ولقـــاء الخَلْـق بـــالبِشْـــر على غير مَـــلال

لا بـــالِ عَينــــه تُسرق من جيب الليــــالي

☆ ☆ ☆

من المعلوم عند أرباب العلم بأخبار العرب وأيامهم أن الحارث بن عباد كان من أحلم الناس في زمانه ولما قَتل جَسَّاسُ كليباً اعتزل قومه لأنهم ظلموا بقتال كليب وطال الحرب وتمادى الشر بين تَغْلِبَ وبكر ، وفي كل تلك الحروب يكون الأمر والغلبة لِتَغْلِبَ على بكر فلما استَحرَّ القتلُ في بكر إجتمعوا الى الحارث وقالوا : قد علم الناس كلهم أنك اعتزلت قومك لما ظلموا، فلو أرسلتَ ولدك بجيرا الى المهلهل أمير تغْلب يقول له قولا طيباً فعسى أن يكفَّ عن بكر وتنقضي هذه الحروب والمتاعب ، ففعل وأرسل بولده بجير الى المهلهل وقال له قال له : قد علمت أني اعتزلت قومي لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم وقد أدركت وترك فأنْشدك الله في قومك .

فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه فأبلغه الرسالة . فقال : مَن أنت يا غلام ؟ قال : بجير ابن الحارث فقتله ثم قال : بُؤْ بشِسْع كليب . فلما بلغ الحارث قتله وما قال له مهلهل حين قتله . أنشد :

قرِّبــا مربــطَ النعــامــة مني ... إنَّ بَيْــع الكريم بــالشِّسْعِ غــال
قرِّبــا مربــطَ النعــامــة مني ... لقحت حرب وائــل عن حيــال
لم أكن من جُنــاتِهــا علم اللــ ... ــه وإني لحرهــا اليوم صــال

☆ ☆ ☆

والنعامة فرس الحارث وكان يقال له فارس النعامة ثم جمع قومه وقاتل مهلهلا وقومه وقتلهم فلم تقم لهم بعد قائمة .

وفي الأمرين من سر العدل الإلٓهي ما فيه بلاغ ولا جرم فإن مصارع

الظلم وخيمة ، والظلم ظلمات يوم القيامة .

وقد ألحقت قول الحارث بقولي :

لا تكن ظـــالمـــاً فتبلى بظلم — وتَرى مُرْغَماً شتـــاتَ الحـــال
وتـــذكَّر جَسَّـــاسَهـــا وكُليبـــاً — تلــك حـــال فيهـــا ريـــاضةُ بـــال
وكـــذا في مهلهـــل وبجيرٍ — عِبرة للعقـــول مثـــلُ العقـــال

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلمات الفيلسوف الإسلامي الفاضل أبي العلاء المعري رحمه الله[٦٩] :

تشتـــاق أيّـــارَ نفـــوسُ الـــورى — وإنمـــا الشـــوق الى وردهِ
تـــدعـــو بطـــول العمر أفـــواهنـــا — لمن تنـــاهَى القلبُ في ودّهِ
يَسَرُّ أن مُـــدَّ بقـــاءٌ لـــه — وكلُّ مـــا يُكرَهُ في مَـــدّهِ
تجربـــةُ الـــدنيـــا وأفعـــالُهـــا — حَثّتْ أخـــا الـــزُّهـــد على زهـــده

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، وحسبي ربي :

جـــدُّ الفتى يُفهمُ من وعـــده — ومجـــدُه يُبْصَر في عهـــدهِ
والشيءُ قـــد يمتـــاز بين الـــورى — بمـــا يراهُ النـــاسُ من ضـــده
والعقـــلُ يُـــدْرَى فضلـــه إن يكنْ — لم يُخْرجِ العـــاقـــلَ عن حَـــدّهِ
ورُتبـــةُ المرء وإن أُهْمِلَتْ — تُعْرَفُ بـــالآثـــار من بعـــده

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه ـ ينقل عن جَده لأُمّه

---

(٦٩) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠٢

عقد مجدنا السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي - رضي الله عنه -[٧٠] أنه أنشد بواقعة يخاطب ابنه السيد حسام الدين - قدس الله روحه - مانصه :

وإذا الكلاب تلاوحت أذنابها ... فأنا أبوك وللسّباع حسابُ
مهما تكاثر جَيْشُهُمْ وتعاظموا ... فهمُ ذبابٌ والذُّبابُ ذبابُ
وبناءُ أصحاب التقى فوق البنا ... وبناءُ أصحاب الضلال خرابُ

ثم قال وصدَّق اللهُ قوله وأخزى عدوه وأعزَّ مجده أليس الله بكاف عبده .

قلت : وقد ألحقت قول شيخ الإسلام السراج المخزومي - رضي الله عنه - بقولي :

إن التُّقَى منه التوكُّلُ والذي ... يقني التوكلَ لم تَرُعْهُ صعابُ
يُحمى بسر اللطف من صدع البلا ... وتصونه بشؤونها الأسبابُ
تُسْتَغْلَقُ الأبوابُ دون مُحَسّد ... وبمحض لطف تُفتح الأبوابُ
وإذا البلاءُ تنزلاً صرع امرءً ... زاكي العناصر دأبُه الآدابُ
يرضى عن الباري لغامض حكمةٍ ... تدري بها الأقطاب والأنجابُ
فالمنْحُ في العُقْبى يدومُ وهذه الـ ... ـدنيا بها هذا الشراب سرابُ
وعن الرضاءِ المحض قد يبدو الرضا ... ومُحبَّبٌ ما يفعلُ الأحبابُ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا الإمام السيد سراج الدين - رضي الله عنهما - يروي قوله جوابا للقاني ملك بغداد حين وهبه قرايا وردَّها عليه :

إني وإن كنتَ ذا عيالِ ... قليلَ مالٍ كثير دَيْنِ
لَمستَعفٌ برزق ربي ... حوائجي بينه وبيني

☆ ☆ ☆

---

(٧٠) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ٢٨

فألحقت كلامه المبارك العالي بقولي :

يا من عَرَفْتم صدقي لربي | والصدقُ حقاً دِيني ودَيْني
أقامني الله حيث يرضى | فضلاً وقرَّتْ بذاك عيني
ولست أبغي إلاَّ رضاه | آثارُ ذاتي له وعيني
قطعت كلي له اتصالاً | بحبله فارغَ اليدين
لا أبتغي الفضلَ من سواه | بكل حالٍ لو حانَ حيْني
وسيلتي المصطفى اليه | روحُ البرايا في المشهدين
وحسبي الله في أموري | لاتدخلوا بينه وبيني

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا ـ رضي الله عنه وعنا به ـ يروي عن جده دِعامةِ مجدنا الإمام شيخِ الاسلام السيد سراجِ الدين الرفاعي ثم المخزومي ـ رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وبركاته ـ أنه أنشد في محاضرة جليلة ما نصه :

غِبتُ عن كلي وعن هذا الورى | بكَ يا عيني ولو أني أموتْ
لم أرَ الدنيا ولا أطوارها | ولهذا فكلامي كالسكوتْ
إنما الدنيا خيالٌ عارضٌ | كُلُّها وَهْنٌ كبيت العنكبوتْ
عدمٌ في طرزِ باقٍ جَهِلَ الْمُقْتَني منها رُموزاتِ الثبوتْ
عِلْمُ ما كان لعمري ثابتٌ | والذي كان حدوثٌ ويفوتْ
كلماتٌ طُرِّزَتْ في لوحها | هي أسماء لعمري ونعوتْ
أنتَ يا حبَّاهُ معناها الذي | قام في خِدْرِ زوايا الملكوت

☆ ☆ ☆

ثم قال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ وقد ذيَّلت قول سيدي الإمام شيخ الإسلام السيد سراج الدين ببيتين من نسيج محاضرته ـ رضي الله عنه ـ وهما :

لـــكَ روحي يـــاحبيبـــاً نـــورُهُ   ينجلي في بُرْج سمـــــك الجبروتْ
كلُّ روحٍ لم تكن محرابَهـــــــا   تنزوي القبلـــةُ عنهـــا فتمـــوتْ

☆ ☆ ☆

قلت : وقد ألحقت قول شيخي - رضي الله عنه - ببيتين فقلت :

أشرقَتْ منـــك المعـــاني في العُلى   وتـــدلّتْ لخفـــايـــا البهمـــوتْ
رحمـــةً جئتَ فـــدارك زلّتي   واغمسَنْ كلي ببحر الرحمـــــوتْ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف المعاني ما أورده شيخنـا - رضي الله عنـه - في (واردات الغيب) لجده سيدنا الإمام السيد سراج الدين - رضي الله عنه وعنا بـه - ونصه :

بنا حـارَتِ الأفكارُ من كلّ فـاضلٍ   وشـأنُـكَ مـا زلنـا بـه نَتَحَيَّرُ
وتصْـدر عنـا الخـارقـات جليلـة   وعنـكَ فـإنّـا والخـوارقَ نصْـدرُ
فـأنتَ لآيـات النهـايـات مَـوْرِدٌ   وأنتَ لغـايـات البـدايـات مصـدرُ

☆ ☆ ☆

ثم قـال شيخنـا - رضي الله عنـه - وقـد أوردت ثـلاثـة أبيـات من هـذا النسج فقلت :

لـكَ المـددُ الفيّـاضُ فـالكون كلـه   ونحن بـــه من طـــاهر الخمر نسكرُ
ولـولاك لم تلمـعْ بـوارقَ كـونـنـا   ولا سِرُّنـا المكتـومُ في المُلـك يظهرُ
وإنـــك روحُ البـــارزاتِ وشمسُهـا   فـألـوانهـا من نـور شَمْسِـك تُبْصَرُ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قولها العالي بقولي ، والمدد من الله :

إليـكَ إشـاراتُ القلـوب وسيرهـا   تغيبُ بمعنـــــاك الكريمِ وتحضرُ

جلالتُكَ العظمى جلائلُ سرّها   بكل زمانٍ كالكواكب تظهرُ
فيا أكبر الأشياء بعد مليكها   متى لُحتَ قال المُلكُ : الله أكبرُ

☆ ☆ ☆

وقال شيخنا ـ رضي الله عنه ـ في (واردات الغيب) وهو له بجده الأعظم ﷺ :

معانيكَ ثابتة في القلوب   فأنتَ المعاني بها والفهومْ
فمنكَ الإفاضاتُ والمكرماتُ   وعنكَ الفهومُ وعنكَ العلومْ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي :

إليكَ تسير قفولُ القلوب   وترسم أسرارها في الرسومْ
فأنت لها الروح تُعطي الحياةَ   وتمحو بنور القبول الهمومْ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا رضي الله عنه :

أيها الساري رُويدا   خذ فؤادي وتعجَّلْ
لي بذاك الحي حبٌّ   هو مقصودي المؤمَّلْ
لا تدعْ قلبي بحقِّ الصدق خُذْهُ وتفضَّلْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي بقولي :

آهِ من قلبي فقلبي   حَرْفُهُ المعجَم مُهْمَلْ
عللوه واعجبوا منه   عليلٌ يتعللْ
طال هجر الحِب حتى   صار آهي منه أطولْ

ولشيخنا رضي الله عنه وعنا به :

يـــاقــومُ قلبي عصـــاني قـــد طـــار مني وحَلَّــقْ
فهـــــــل سمعتم بقلب بُرْجَ السماء تَطَرَّقْ
بين السماء وبين الأرض الـــــــذلـــــول مُعَلَّــــقْ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله العالي بقولي :

فِيَمْنْ هــــو الفجرُ أشرقْ غَرَّبَ قلبي وشَرَّقْ
ومن مــــزيـــــد بكائي قــد صرتُ بــالـدمـع أشرقْ
وبين عـــانِ وخـــالِ بــالــدمــع حُكمـاً يُفرَّقْ

☆ ☆ ☆

ومن كلام الفيلسوف الإسلامي الزاهد أبي العلاء المعري رحمه الله(٧١) ما نصه :

عِشتَ من أيسر حِـــلّ وتشبَّهتَ بظلّي
لست بـــالخِـلّ أُصـــافيـــك ومـــا أنت بخِـلّ
ربمـــا يعتمـــد المرء على العضـــو الأشَـــلّ
أيهـــا الـــدنيـــا لحـــاكِ اللهُ من رَبَّـــةِ دَلّ
مـــا تسلّى خلـــدي عنـــكِ وإن ظَنّ التسلّي
إنمـــا أبقيتِ مني لـــلأخـــلاء أقلّي
أمسِ أوديتِ ببعضي وغـــداً تُـــذهِبي كُلّي

---

(٧١) تقدمت الاشارة الى ترجمته برقم ١٠٣

لــك أوقـــاتي فخليـ ـني إذا قمتُ أُصلّي
ودعيني ســـاعـــةً فيـ ـك لمـولاي الأجَـلّ
والصِّبـا ملـكٌ وقـد يُبْـ ـكَى على الملـكِ المولّي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي ، وحسبي الله وكفى

خِـلّ عنـك الطيشَ خَـلّ واخضعَنْ للمتجلّي
لاتَرَ الفعـــــل لغيرِ قـــطُّ في عَقْـدٍ وحَـلّ
يَجْـذِبُ الحـظُّ سعيـداً للتحلّي بـــالتخلّي
فيرى الـدنيـا بعينِ الـ ـعقـلِ عن زُهْـدٍ كظـلّ
ويرى السير الى الله بـــإخـــلاصٍ وذُلّ
غـــائبـاً في مشهــد الـ ـتقـديسِ عن كل محـلّ
يَلْفِتُ الهمـــةَ عن كل مَلِيٍّ ومُقـــلّ
والِيُّ اليـوم يـــامن قـــد درى سرَّ التجلي
إن قَنَى المرءُ حُطـامَ الـ ـكونِ من جزءٍ وكُـلّ
هـل غـداً يصحبهـا للـ ـقبر إنْ راحَ فقل لي ؟

☆ ☆ ☆

وقد كتبَ لي الفاضل الكامل الحسيب النسيب المرحوم عبد القادر قدري أفندي آل القدسي الكاتب الثاني للجناب العالي الملكي مداعباً يشكو من أحد الأحباب الظرفاء أنه أخلف وعده ما نصه :

مـــاذا يقـول سيـدي وسنـدي وعُمْـدتي ورُكنُ حِصنِ مجـدي
شيخي الـذي أقمت نفسي عنـده بصـدقِ إخـلاصٍ مقـامَ العبـدِ
بخلفِ وعـدي ولا عُـذرَ لـه وعهـدُه عهـدُ زمـانِ الـوردِ

فـاحكم بمـا ترضـاه يـا سيـدنـا   وحُكْمـك المعمـول فيـه عنـدي

☆ ☆ ☆

فكتبت له طيب الله ضريحه وروحه :

الى حبيب القلب ســامي المجـــد   والجِـــدُّ جَمِّ الجـود زاكي الجَـــدِّ
جـوابُ مَنْ دَقَّـقَ في ســؤالــه   ليصــدر الحكم بخلف الــوعــدِ
إن كان عن عـــذر صحيـح لم يصر   حكمٌ على الحبِّ بنقض العهـــدِ
وإن يكن جــاء بعــذر ظــاهر   وخجــلٍ زيَّنَ وردَ الخَـــدِّ
ككســل أو هفــوة عن زلــل   فجــازه حــالا بقطـع الـوَردِ

☆ ☆ ☆

ولشيخنا الإمام السيد المهدي ـ رضي الله عنـه وعنـا بـه ـ في (ولردات الغيب) ما نصه :

من يَجْمـعُ في همتــه غيرَ لقــانــا   لا يلمـع في جبهتـه برْقُ سنــانـــا
يستبـدل في حضرتنـا أسودُ وجـهٍ   وجهــاً قَمريــاً فنراه ويرانـــا

☆ ☆ ☆

وفي قوله العالي إشارة للكرامة التي أجراها الله تعالى على يد عبده ووليه سيدنا الإمام الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ وهي مشهورة الذكر ، معروفة السر ، فإنه مُحيَ ببركته اسمُ قاصده من ديوان الأشقياء ، وكُتِبَ بفضل الله في ديوان السعداء نص عليها الكثير من العارفين والعلماء العاملين في طبقاتهم وكُتبهم ـ نفعنا الله بهم ـ وقد ألحقت قول شيخنا ـ رضي الله عنه ـ بقولي وكل له مقال بنسبة المقام والبون بيِّنٌ ، بين الجبان والمقدام :

الحبُّ من الحَـان كما شـاء سقـانــا   بالفضل وأحيـانـا وقد صـان حمـانـا

قُمنـــا ببعـــاد نخب في غفلتنـــا بـالقرب حَبانا وللرحـاب دعـانـا

☆ ☆ ☆

ومن كلام شيخنا - رضي الله عنه - في (واردات الغيب) مانصه :

مَن ذا الـذي يَرَى جمـالَ سيـدي طرفـــة عينٍ والسِّوَى آنــاً يَرَى
يَعْمَى عن الأكــــوان ذو بصيرةٍ يراه عن بُعـد بـأسجـاف الكرى

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فألحقت كلامه الشريف بقولي :

سَرَتْ الى الحِبِّ القلـــوبُ فجرى من العيـون للهُيـــام مــا جرى
قــد زَمْـزَمَتْ ليـلاً لــه وإنمــا (عند الصبـاح يَحمـد القوم السُّرَى)

☆ ☆ ☆

وكتب اليَّ أحـد أفـاضـل الفـارسيين كتـاباً عربياً قـال في بعض جُمَلـه مـا نصـه : أمـا سيـدي فهـو اليـوم مظهر السر العلـوي ، وبـدر ذلـك البرج المرتضوي ، ورحم الله تاج العارفين الجنيد بن محمد فإنه قال :

رَقَّ الـــزُّجـــاجُ وراقتِ الخمْرُ فتشـــابهـــا وتشـــاكلَ الأمرُ
فكأنمـــا خمر ولا قـــدحٌ وكأنمـــا قـــدحٌ ولا خمْرُ

☆ ☆ ☆

قلت : وأطـال في كتـابـه ، وأظهر العجب العُجاب من كمالاتـه وآدابـه ،

فكتبت له بعد كلام :

معنى عليٌّ للسماء عــــــــــلا قــد حــارَ في سلطـانــه الفكرُ
إن كان فينــا منـــه لامعـــةٌ في المـــاء حينــاً يُطْبَـع البـدرُ

☆ ☆ ☆

وقد تشرفت فقلت في أمير المؤمنين ، الكرار الأعظم ، سيدنا علي - كرَّم الله وجهه ورضي عنه واتحفه بتحياته وسلامه - مادحاً وعلى أغصان الافتخار بنعته العالي صادحاً :

عليٌّ مظهر الرحمن مجلى الـــــد ... نـــوّ لكل أربـــابِ الفتـــوحِ
متـــونٌ كمالـــه فيهـــا فنـــونٌ ... تعـــالت عن عبـــاراتِ الشروحِ
أُريـــد مـــديحـــه فيطيش فكري ... وأسكر في الغبـــوقِ وفي الصَّبـــوحِ
مليـــكُ ولايـــةٍ سلطـــان قـــدسٍ ... لـــزهـــد قـــام في رَثٍّ المســـوحِ
تقـــول لـــه بـــدهش الوجـــد روحي ... أمير المـــؤمنين فـــدتـــك روحي
وفي لهفـــاتهـــا بـــالسُّكر فيـــه ... تَقَلَّبُ في الغمـــوض وفي الـــوضـــوحِ
تطير لســـاحـــة النجف المعَلَّى ... فعن طربٍ أقـــول : أروحُ روحي

☆ ☆ ☆

﴿ تحفة ﴾

إن نسب سيدنا الإمام الرواس - رضي الله عنه وعنا به - ينتهي من جهة الآباء للإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنـه - ولأسباطـه الأكابر ، النجوم الزواهر ، ومن جهة أُمهاته الى الإمام الجليل السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني - رضي الله عنـه - فهو حسيني الآبـاء حسني الأُمهات ، وقد نص على ذلك في (واردات الغيب) وفي الرفرف وفي الكثير من كتبـه ، وفي (واردات الغيب) أنشد بهذا المعنى ما نصه :

لأبي سيـــد الرجـــال الرفـــاعي ... رفعتني نظماً عقـــــــودُ جُمانِ
وبسلـــك الفخـــار قـــد سلسلتني ... نسبـــة الأُم للفتى الجيـــلاني
فهما كـــوكبـــا سماء المعـــالي ... وبـــأبنـــاء حيـــدرَ العَلَمـــانِ
وأنـــا الحمـــد لله قـــد قمت بـــدراً ... يكنفـــاهُ في المطلـــع الكـــوكبـــانِ

يَستقلُّ البـدورَ مَنْ غـايـة النظم بـأفـلاذ أصلـه الحَسنـانِ

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله العالي بقولي مادحاً جنابه المكرم :

يـا بهـاءَ الاسلام والـدين يـا مَنْ   عـزَّ في نظم مَجـدِه الطرفـانِ
أنت للفخر سُلَّمٌ ولهـذا الـدين ذُخرٌ مُجَـدِّدٌ في الـزمـانِ
أنت قطب الـوجـود من غير ريبِ   وإمـام الأُولى أُولي العرفـانِ
نُبْتَ عن جـدك الإمـام الرفـاعي   وورثتَ السـامي الـذُّرى الجيـلاني
أنتَ بين الاثنين كـوكب فضـل   ألْبَسـاهُ درعيهما القمران
فلهـذا يـاشيـخ كل البرايـا   قمتَ فرداً ومـا لـك اليـوم ثـاني
والإمـامـان يـازعيمَ الأعـالي   بـك بين الـسادات يفتخرانِ

☆ ☆ ☆

وفي (واردات الغيب) لشيخنا رضي الله عنه وعنا به :

قفْ أمثيرَ الركب هـذا الحمى   وهـذه واسـطُ ذاتُ الريـاضْ
عَفّرْ بـواديهـا ومَرّغْ بـه   خـدَّك لاتعبـأ برَبِّ اعتراضْ
وادٍ يلـوح النُّـورُ من نَـوْرِه   ويترع الكـوثرُ تلـك الحيـاضْ
الله كم من جمـعِ حـالٍ بـه   قـام بسوق السر دون انفضـاضْ
على انكسـارِ زهر أيـاتـه   تحسبهـا كسْرَ العيـون المراضْ

☆ ☆ ☆

فألحقت كلماته العالية بقولي وحسبي الله :

ثُرْ حـاديَ الركبِ وخـذ مهجتي   فـانني منـك ولـو ذبتُ راضْ
وانـزل بهـا في لابتي واسـطِ   حيث الريـاضُ الريِّضـاتُ العراضْ

وقـل لكم مهجـة عبـدٍ صَبـا ... بحبكم والحبُ يـا قـومُ قـاضْ
هـامَ بكم عن غيركم معرضـاً ... عن مُعْرضٍ بالصادق الحب خـاض
وعنكم الإحسـان يُرْوَى وبـل ... منكم لعمري كل برٍّ يُفـاض

☆ ☆ ☆

ومن لطائف غُرر كلمات شيخ الاسلام السيد سراج الدين الرفاعي المخزومي رضي الله عنه وعنا به قوله :

اذا مـا التَوَى البرقُ اليمانيُّ وانطـوت ... شـؤونٌ بهـذا العتم في نشرهـا تجري
بكينا فـأبكينـا النواحي وأهلهـا ... وطبنا وقـد غبنـا الى مطلع الفجرِ
فلم تحضرِ الألبـاب منـا تـولهـاً ... بكم غَيْبَـةً دامت الى الحشر والنشر

☆ ☆ ☆

قال شيخنا الإمام الرواس - رضي الله عنـه وعنـا بـه - بعد نقله هذه الأبيات الشريفة في (واردات الغيب) ما نصه

فيـا غيبَـةَ أعطتْ حضوراً مـؤيَّـداً ... وفضـلاً أفـاض النـورَ في السر والجهر
ويـا حضرةً لم ينقُضِ الـدهرُ عهـدهـا ... تُثيب الهدى من حيث نـدري ولا نـدري
تطلمست الأسرارُ فينـا بُحكم مـا ... بـدا من حضـورٍ ضمنـه غيبـةٌ تجري
فقمنـا ولم نـدرِ القيـامَ وطـورَهُ ... ولا غوشَ هـذا الكون في البر والبحر
ومن عجب لم تُطْـوَ عنـا دقيقـة ... ولم نفهم المعنيَّ فيهـا من السرّ
فقف إن تُرِد فيض الغيـوب ببـابنـا ... ولا تشتغـل قلبـاً بـزيـد ولا عمرو
فخـالقُنـا البرُّ الكريمُ أقـامنـا ... شموساً لتجـديـد الشريعـة في العصر
فـإن فـاض في العصر انهارُ سحـابـةٍ ... بـأرضٍ فـإن الفيضَ من سرّنـا يَسْري
أجـلْ نحن آيـاتُ التجلي مُبينـةً ... فـإن غلـط القراءُ لم يغلـطِ المُقري

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت كلماته الطاهرة الباهرة بقولي ، والحمد لله على فضله :

رفعنـــا لكم أبصـــارنـــا عن تحقــقٍ ... بحكم الهــوى نسري على النهي والأمرِ
ولم نلتفتْ والله يـــومــــــاً لغيركم ... ولـــو قُلِّبَتْ منـــا القلــوب على الجمرِ
نمــوت بكم نحيـــا بكم كلنـــا لكم ... عبيــد بلا عتق مــع الطي والنشرِ
بحـق الهـوى والغـائبينَ عن السِّوَى ... أغيثـوا دمـوعـــاً في محبتكم تجري
اذا الحــظ أدنـــانـــا اليكم بليلـــةٍ ... فتلك وفرقـان الهوى ليلـة القـدرِ
عُرفنـا بكم والحقّ كنـا من النـوى ... مُنكَّرةً منـــا الحقـــائــقُ في الطَّــوْرِ
ولــولا أيـــاديكم ومـــوجــاتُ برِّكم ... غرقنـــا مــع التنكير في لُجج النُّكْرِ
ألاَ يــــا أطبـــاء القلـــوب بحقكم ... أعيـدوا علينـــا عـــادةَ الفضـل والبرّ
ولا تقطعوا يــاقــوم عنــا حبـا لكم ... فحُبــاً لكم غبنـــا عن المــدّ والجـزرِ
تُشـاهـدُكُمْ منــا القلوبُ ولم تــزلْ ... مُهيمــــــــــةً في الحب تكتم للسرّ
فمنـــوا بكشف الحُجْب عن أعين بكم ... لهـــا أعينٌ تجري بهـــا مرة القَطْرِ
وقـولـوا : لنــا في أيسر الروم فِتيـةٌ ... بعُسْرِ النوى فـالغوث بـالنصر واليُسْرِ
ولا تهملـونــا يـــا كرامُ لنقصنـــا ... فـأنتم لنـا عـونٌ على نُوَبِ الـدهرِ

☆ ☆ ☆

ومن مناجات مولانا شيخ الإسلام السيـد سراج الـدين الرفـاعي المخزومي - رضي الله عنه - يرويها بسنده عن جـده الإمـام الأكبر الرفـاعي - رضي الله عنه وعنا به - ونصها

يا من بك حاجتي وروحي بيديك ... أعرضتُ عن الخلـق وأقبلتُ اليـك
مـالي عمـلٌ صـالـحٌ أستظهر بـهْ ... سلَّمتُ لـكَ الأمرَ تـوكلت عليـك

☆ ☆ ☆

وهنا قد ألحقت هذه المناجاة الجليلة بقولي مستدراً فيض صاحبها رضي الله عنه وعنا به :

يا من هرعتْ قوافلُ الصدق اليكْ ثم اعتمدتْ بنير الحقّ عليكْ
إرحم كرماً ذُلّيَ واستُرْ زللي حين أراني خاشعا بين يديك

☆ ☆ ☆

وما أحسن قول عمنا المرحوم السيد كاظم أفندي آل خزام الصيادي الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ في واقعة :

لَبِسْتُ من السواد طِراز مجدٍ تسَنَّمَ من سنا النور المبينِ
ومِسْتُ به بأمراط ابتهاجٍ وقلتُ إليَّ يا عُمْشَ العيونِ
فإني أحمديٌّ ذو نجارٍ (متى أضعِ العِمامَة تعرفوني)

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قوله بقولي :

ورثتُ الزيَّ عن جَدي الرفاعي أبي العلمين ذي المجد المصونِ
وجلجلت العلومَ بطيّ درعي فدرعي صار كنزاً للفنون
لقد عرفتنيَ الأقطارُ طُراً فليس بضائرٍ أن تجهلوني
فسطعُ البدر يُحْجَبُ عن كليلٍ وتَخفى الشمسُ عن عُمْي العيونِ

☆ ☆ ☆

وقال المرحوم السيد كاظم افندي آل خزام رحمه الله تعالى :

لإن شمختْ بنا رُتبُ المعالي وطُلْنا النجمَ بالهمم الرفاعِ
فلا عجبٌ فإنا آل بيتٍ نؤول لحضرة الغوث الرفاعي

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي والله المعين :

تَحَـــدَّرَتِ المنـــاقبُ من عليٍّ لأهـل البيتِ تنزلُ بـــارتفـــاع
وأوفرُ قسمـــةٍ منهـــا استفـــاضتْ بـزُهرِ الآلِ أبنـــاء الرفـــاعي

☆ ☆ ☆

وللمرحوم كاظم أفندي في واقعة :

أفرط الـــواشي بنـــا عن حســدِ لقبـــول الشكلِ ثـــوب التُّهمِ
لأولي الإنصـــاف قلنـــا كرمـــاً قـــابلـوا تُهمـــةَ ذا بـــالشّيَمِ

☆ ☆ ☆

فألحقت قوله بقولي :

يَكْنِـزُ التُّهمـــةَ زوراً فـــاســقٌ ويَغُضُّ الطرفَ عـــالي الهمم
إنمـــا الخـوضُ لســانٌ نـــاطـقٌ بفم الخِبِّ الـــزَّلـوقِ القَـــدمِ
يُبصر العَيبَ بـــوهمٍ كاذبٍ وهـو عن ســاطعـــة الشمسِ عَمي

☆ ☆ ☆

ومن كلام المرحوم كاظم أفندي آل خزام - رحمه الله - في واقعة :

بأُمّ الأُولى أجدادِنا (بَرْقَ) سُلْسِلَت الى السيـد الجيليّ منّـا الســلاسـلَ
رواها السّراجُ المنتقى في (صحاحه) وصاحبُـه الـوتريُّ فـالحبلُ واصـلَ
ورثنـاهـا أبنـاءُ الأخِ السيـد الـذي اليـه انتهت في الأوليـاء الفضـائـلَ
ألاَ هـو مـولانـا الرفـاعيُّ مَنْ بـه تمسّـكَ في نهج الطريـق الأفـاضـلَ
أبـو العلمين بن الحُسين الـــذي سما سماء المعـــالي والمعـــاني دلائـــلَ
ومَـدُّ يـد المختـارِ برهـانُ طَـوْلهـا رفيـعَ لـديــه يقصر المتطـــاولَ
وناهيك بـالبـاز الـذي طـال مجدنـا بــه ذروةً مـــا نـــالهـــا المتنـــاولَ

أبـو صـالـحٍ شيـخ الأكابر وافرُ الـ مفـاخر غـوثٌ طـاهرُ العرقِ كامـلُ
همـــا العلمـــانِ الأطـولان ومنهما لنـا البرُّ والفخر المسلسلُ حـاصـلُ
يقـول ابْنُ ابنِ نسبـةُ البنتِ لم تُفِـدْ أجَلْ مـالها في العد والعقـد طـائـلُ
فقلنـا لـه اهْـدَءْ مـا اللبيب بسـامـعٍ ولا أنت لـو تـدري البراهينَ قـائـلُ
أبـونـــا كريم النبعتين وأُمُّنـــا بمفخرهـا الـوضّاحِ تـدري القبـائـلُ
مسلسلـــةٌ أنســابُنــا بـأئمـةٍ من الطرفين المجـدُ فيهم يُبـاهِـلُ
وفي مـدد الجَـدين قُمنـا كـواكبـاً تعـالتْ ومنهـا الحـاسدُ الخبلُ ذاهـلُ
كريمـان من عَلْيـا أبينـا وأُمِّنـا أقـامـا لنـا ركنـاً ذُراه الشمائـلُ
تُـؤيِّـدنـا الأخـلاقُ فـالصدقُ بُرْدنـا وأمراطنـا أطـوارُنـا والخصـائـلُ
متى ذُكِرَتْ أوصافنا لأُولي النُّهى اصـ ـطفـونـا ولم يَرْتَبْ بـذلـك عـاقـلُ

☆ ☆ ☆

فألحقت كلامه اللطيف بقولي ، والله حسبي وكفى :

هـو المجدُ إن سـامـاك بكرٌ ووائـلُ خصـائـلُ يرضـاهـا النُّهى وشمائـلُ
وعلمٌ وسيعٌ يجـذب النـاس للهـدى وطبـعٌ كريمٌ طيِّبٌ وفضـــائـلُ
وعرْقٌ شريفُ النبعتين مـؤيَّـــدٌ متين اذا مـا عـارضتـه الـدلائـلُ
وإلاّ فمحض القـولِ لم ينفـع الفتى اذا كَـذَّبَتْ منـه المقـالَ الفعـائـلُ
وكم زاعمٍ مجـداً ولا مجـدَ عنـده زُعوماتُـه الظِّـلُّ الـذي هـو زائـلُ
فقلْ للـذي لم يُعْـطِ للمجـدِ حقَّـهُ طريقُـكَ مِزْلاقٌ وزعمـك بـاطـلُ
تمسَّـكْ بنهـج المصطفى في طريقـه فما خـاب من في نهجه الحقّ عـاملُ
مضى الآلُ سـاداتُ الـوجودِ بـإثْره فَـــأُعْظَمَهُمْ خَصْمٌ لهم ومخـــالـلُ
وقـد تَبِـعَ الأصحـابُ نَيِّرَ دَرْبـه فـدانتْ لهم أقيـالُهـا والقبـائـلُ
فقفْ صاحِ في باب الرسول وكن على طريقتـه والعـزُّ والمجـدُ حـاصـلُ

وإن رُحْتَ تَعْـزَى للحبيب بنسبـةٍ   لهـا شرفُ الأخـلاقِ والفعـلُ كافـلُ
فَرُحْ بأمـانِ الله من دونِـك السُّهَى   مقـامـاً ومـا لـلآلِ آنـاً مُعـادِلُ
نجـومُ الهـــدى آلُ النبي فكلُّهم   بسَمْكِ العُلَى الأسمى بدورٌ كـوامـلُ
يُطـاولهم في ذروة الفخر حـاسـدٌ   فيقصُرُ عنهم عـزمُـةُ المتطـاولُ
أُولَئـك قـومٌ شرَّف اللهُ قـدرهم   ومـالهمُ بين البرايـا ممـاثـلُ
لإن حسـدتهم أُمَّـةٌ ضلَّ رأيهـا   فكم حسد النحريرَ للفضل جاهـلُ

☆ ☆ ☆

ومن لطائف كلماتي قولي :

لـو قـال للمضنى غُـزَيِّـلُ حـاجر   وجـداً على لَعَجِ الهوى سِلْ سـالا
لهفي لـوَرْدِ فـوق وجنتِـه ازدهى   كم قـد سقتـه مـدامعي سَلسـالا

☆ ☆ ☆

وقلت مُذيّلاً البيت الأول لبعضهم :

(صاحِ إنْ جزتَ الغَريَّا   فـابْـكِ مـولاكَ عَليًّـا)
سيـــدَ الأشراف طُراً   الـوصيَّ الهـاشميـا
كم وكم في يـوم عـجٌ   جَـزَّ هـامـاً قَسْوريـا
كل ذي قلبِ سليم   خـالصِ يهوى عليـا

☆ ☆ ☆

وقلت في الإمام الكرار عليه الرضوان والتحية :

عجبـاً من قـائـلِ حُبُّ علي   لـك دأبٌ قلت يـا هـذا الخَلي
قـد تطـاولت بقـولِ سمـجِ   أنـادِيني في الـورى حُبُّ علي

☆ ☆ ☆

ومن إشاراتي القلبية ، في منظوماتي اللفظية المعنوية ، قولي :

مـــآثِرُ الأســلاف إذ تُنْقَــلُ ... فحيــدرٌ والــدنــا الأفضــلُ
وجَدُّنا روحُ الورى المصطفى ﷺ ... سر الــوجــود السيــد الأكْمــلُ
ونحن من نبعـــةِ بيتِ عَــلاَ ... وعن ســواه الــدينُ لا يُنقــلُ
وفي ذراري الأنبيـــاء الأُولى ... لنــــا الطراز الأكيس الأوَّلُ
سلسلتِ القُــدرةُ في نظمنـــا ... قــومــاً بهم رحب العُلى يَحْفــلُ
قــومٌ ببحبــوحــة دست الهــدى ... لهم لعمري المنبرُ الأطـــولُ
جــاء الرفــاعيُّ بــأوســاطهم ... قَرْمـاً لــه أُسْـدُ الشَّرَى تــذهــلُ
أحمــد شيــخ الآل حــامي الحمى ... ذو نسبٍ كالشمس لا تـــأفُــلُ
إن نُكِّرَتْ أقــوامُ قــومٍ فــذا ... مُعَرَّفُ القــوم ولا يُجْهَــلُ
أبــو اليــد البيضــاء مَنْ ذكرُهــا ... في كل فــجٍّ نَصُّــهُ المنــدلُ
عَيْلَمُ[٧٢] عِلْمٍ مــوجُــهُ حِكمــةٌ ... منصــورةُ الأحكامِ لا تُخْــذَلُ
وذو كرامــــاتٍ براهينُهـــا ... مِن وَضْحهــا شمسُ الضُّحى تخجــلُ
مــا رام بــالســوء حمــاه امرءٌ ... إلاّ وأمسى نَفْسَـــهُ يَقْتُــلُ
تطرقــه الأقــدار صــدّامــةً ... ببــأسهــا من حيثُ لا يعقِــلُ
فقــلْ لــذي جهــلٍ بــأوهــامــه ... رَمَى السُّهَى أخطــأتَ يــا مُغْفِــلُ
بيت الرفــاعي الرفيــع الــذُّرى ... في هــامــة البــدر لــه منزلُ
كم رام يستنزلــه ســاقــطٌ ... والنجمُ بـــالأحــلام لا ينزلُ
آلُ عليٍّ في بروجِ العُلَى ... رغمــاً لمــا يهــذو بــه الأسفــلُ
إن غَرَّكَ الإمهــالُ يــا خصمَهُم ... كأنّـــك المنْسِيُّ والمهمَــلُ
عـــاقبـــةُ الأمر لأهــل التقى ... والآلُ في أهــل التقى الكُمَّــلُ

---

(٧٢) العيلم : البحر والماء الذي عليه الأرض : كذا في القاموس .

لابُـدَّ يشـوي القهرُ أعـداءهم ويُمْهِـلُ اللهَ ولا يُهْمِـلُ

☆ ☆ ☆

وقد أورد ابن الجوزي ـ قدس الله روحه ـ في المنتظم لأبي الأسود الدؤلي(٧٣) رضي الله عنه ما نصه :

يقـولُ الأرذلـونَ بنـو قشيرٍ طَـوالَ الـدهرِ لا تَنْسَى عليـا
أُحبُّ محمـدا حُبّـا شـديـداً وعبّـاسـاً وحمـزةَ والـوصيـا
فـإن يـك حبُّهم رَشَـداً أُصِبْـهُ ولستُ بمخطئٍ إنْ كان غيّـا

☆ ☆ ☆

فذيلت قوله بقولي هذا :

أَقمْتُ على الأُولى حججـاً صراحـا بحب المرتضى فنشرت طيّـا
وطِبتُ بـذكره فشبعت رِيـا وقـد أدركتُ نشراً عبهريـا
وقـد شُغِفَتْ بـه في الغيب روحي وأحفـظ عهـده مـا دمتُ حيـا
عليـه وآلـه الأعـلام مني سـلامٌ مُعْبِقـاً مسكاً زكيـا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي قولي ، والمدد من الله ، وحسبي الله :

طـال شـوقي لنـور طلعتكم أيهـا الغـائبـون عن نظري
يتجلّى لي خيـالُكمْ أبـداً فـاسـألـوا عن خيـالِكم فِكَري
لا أرى غير شمس مظهركم هي ذاتَ البروجِ في بصري
أثراً كنتُ والهيـامُ لكم قـد محـاني بـالعين والأثر
وَجَـدَ القلبُ نـارَكم فقضى وأضـاعَ الهـوى بكم عُمُري

---

(٧٣) ________

يـــــاالقَلْبِ أذَبْتمـــوه وقـــــد كان قلبــــــا أقسَى من الحجرِ
ســـامـــح الله سُـــودَ أعينكم فهي تنضى بيضـــا من القـــدرِ
وخـــدودٌ لكم لقـــد برزتْ كبروز النجــــــوم والقمرِ
قبلَكم لا ومجـــدِ ســـودَدِكُمْ مـــا رأيتُ الأقمـــار في الصُـــوَرِ
شَبَّهْتُكُمْ بـــالحـور طـــائفـــةٌ وسبقتم للحـــور بـــالْحَـــوَرِ
بشْرُكم قـــد جـــلا بمنظركم لُطْفَ طـــوْرِ الأمـــلاكِ في البشرِ
مـــزج الحُسنُ بِشْرَ طـــالعكم مَـزْجَ فُلْـذِ اليـاقـوتِ بـالـدُّرَرِ
رونــــق اللطف في شمائلكم طرزُه عبرة لمعتبر
وبتلـــك الـوجـوه مُـــذْ جُليتْ نصٌ والفجرِ بـــالـوضـوح قُرِي
أيَّـــد اللهُ شـــأنكم أبـــداً مـــا سقى الروضَ هـــاطـلُ المطرِ
أو تغنَّى القمريُ في غُصُنِ والصَّبـــا هَبَّ ســـاعـــةَ السحر
وعُـــلاكم مـــازال رونقُـــهُ يتعـــالى في البـــدوِ والحضرِ

☆ ☆ ☆

ومن كلام الشيخ محمد العيساوي الشيخوني(٧٤) ـ رحمه الله ـ يمدح سيدنا الوالد الماجد ـ قدس سره ـ بقوله :

لنـا بـ (شيخونَ) شيخ نستفيضُ بـه نـورَ البتـولِ اذا مـا أعْتَمَ الـزمنُ
اذا نعتنـــــاه قلنـــــا مفردٌ عَلَمٌ وإنْ مدحنـاه قلنـا السيـد الحَسَنُ

☆ ☆ ☆

يُشير أنه يكتفي عن مدحه الكثير بذكر اسمه المبارك لشهرته بالصلاح والحال والفضل .

---

(٧٤) محمد العيساوي الشيخوني : كان رحمه الله من تلامذة الممدوح ومريديه من أهل الفضل والتقوى والحب الصادق يدل عليه كلامه وله الآن بين اظهرنا أحفاد مباركون ادام الله علينا وعليهم وكافة إخواننا المسلمين سائر نعمه .

وقد ألحقت قوله بقولي :

شيخُ الهدى حسنٌ شهمٌ يُقَدِّمه ... على الرجال بحقٍّ خُلْقه الحَسنُ
وجُودُ كفٍّ جَرتْ من بحره لأُولي الـ ... ـحاجاتِ بالنيةِ المرضيةِ المِنَنُ
مضى ولم يعرفِ المحجوبُ رفعته ... ومثله عَزَّ أن يأتي به الزمنُ

☆ ☆ ☆

وما ألطف قول بعضهم :

نونُ الهوانِ من الهوى مسروقةٌ ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا
ومتى هويتَ فقد تعبَّدك الهوى ... فاخضعْ لحِبك كائنا من كانا

☆ ☆ ☆

وقد ألحقت قول القائل بقولي :

ألحبُّ يُخْرِس ألْسُناً قَوَّالةً ... فمن الهوى لا تستطيعُ بيانا
أسرارُ أصحاب الهوى في طيّها ... نَشَرتْ على أصحابها عنوانا

☆ ☆ ☆

ومن رقائق كلماتي قولي والفضل من الله :

غُزَيِّلٌ مَرَّ له بصدره ... لُؤلؤةٌ تلمع وهو القمرُ
رمى فؤادي بنبالِ طرفه ... تعمُّداً وراح لا يعتذرُ
فقلت أخطأت أبا لؤلؤةٍ ... بما ارتكبتَ ما الطعين عُمَرُ

☆ ☆ ☆

ومثله قولي أيضا :

رأتْ جروحي فئةٌ هزَّها ... مَجدٌ لنصري قُدِّسَتْ من فِئَةْ
قالت : مَنِ الخصمُ لنُمضي به. ... سيوفنا رغماً لمن بَرَّأَهْ

فقلت : خَلّـوه وقـولـوا معي يـا قـاتـل الله أبـا لـؤلـؤهْ

☆ ☆ ☆

ومن الحِكم الرشيقة قولي ، والعون بالله :

مـا كان لله هـو الصـوابُ وغيرُه فـالخطـأُ المعـابُ
فـالعمـل الـذي لـه الثـوابُ جـزاؤه وغيره العقـابُ
ورُبَّ خصمين أمَيُّ اختصما ولمعت بينهما الحِرابُ
فـواحـد أضحى هـو المغلـوب والثـاني فـذاك الغـالب المهـابُ
سطـا على المغلوب حتى بـاد فـا الـ ـمعمـورِ من أرجـائـه خراب
حقّق ترى المغلوب لم يُغلَب وذا الـ ـغـالبُ لم يـدُم لـه جنـابُ
على الخيـال يـا أُمَيْمُ اقتتـلا كـلاهمـا غـايتـه التراب

☆ ☆ ☆

وقد قلت بسيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه وعنا به :

أيهـا الغـوثُ أحمـدَ القـوم إني مستظـلٌ بظـلِّ سـاحـة بـابـكْ
وأبى الله أن تَمَسَّ سهـامُ الـ ـخَطب من كان لائـذاً برحـابـكْ
أنتَ يـابَضعـةَ الحُسين إمـامٌ تترامى الأُسُـودُ في أعتـابـكْ
نـائبـاً للنبي قمتَ وجهراً فـاح مسـك الكسـاء من أثوابـكْ
وأنـا مـا بقيتُ يـا ابن الرفـاعي كيف دار الزمـانُ عبدُ جنـابـكْ

☆ ☆ ☆

وقلت مخمسا كلام سيدنا الغوث السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي ـ رضي الله عنه ـ الذي تشرف به بمدح روح الوجود ، وسيد كل موجود ﷺ ونصه :

قبـل تشخيص صـورتي في المرايـا قمت عبـداً لتـاج أهـل المـزايـا

وعلى وَهْنِ همتي بـالخطـايـا   مـا ذكرتُ الحبيب روح البرايـا
في مقام إلاّ وقد غبتُ عني
فعلى حـالَتَيْ فراغ .وشغـل   هـو روحي في طي بَعْـدٍ وقبـل
كنز قـدس مستجمعٌ كلَّ فضل   ليتـه جـاد لي بقُبلـة نعـل
هي أشهى من ألف جنة عدْنِ

☆ ☆ ☆

الى هنا وقد استراح القلم من تسطير سطور هذه اللطائف والحِكم فالمرجو ممن أحرزوا رُتبة الأدب الجزل ، وتصدروا على منصّات العلوم والفضل ، أن ينظر كل منهم الى هذه الحديقة الأنيقة بعين الصفح عن الزلأت ، والغض عن الهفوات ، فإن الانسان محل الخطأ والنقصان ، والكمال المطلق في النوع الآدمي من خصائص النبي الأعظم ﷺ والله أسأل ، وبجاه نبيه صاحبِ الوجه المقبول أتوسّل ، أن يُحسن لنا وللمسلمين الخواتيم ، وأن يشملنا جميعاً ومن تحويه شفقتُ قلوبنا باللطفِ الخفي والكرم العميم ، وأن يحشرنا امنين يوم القدوم عليه تحت لواء صاحب الخُلق العظيم ، الرؤوف الرحيم ، عليه أكمل الصلاة وأفضل التسليم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبلطفه تحصل النجاة من الآفات ، ويرتقي العبد الضعيف الى أعلى الدرجات ، وكفى بالله ولياً ونصيرا ، وصلى الله على سيد مخلوقاته ، وشرف مصنوعاته ، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

كمل تحريره بقلم مصنفه الفقير اليه تعالى محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني ثم الخالدي غفر الله له ولوالديه ، وأحسن بدار الجزاء جزاءهم بين يديه ، وكان ذلك في يوم الأربعاء اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة المبارك أحد شهور سنة ١٣٢٣ هجرية .

﴿ التقريظ الحقيقي ﴾

قد اخترنا من كلام المؤلف رضي الله عنه فصلا من بعض كتبه جعل عنوانه (الحكمة الشرعية) لخصنا منه ما ينوب عن كثير التقاريظ لأن المفاهيم قد تختلف وعلى الأخص فيما بين المتقدمين وبعض المتأخرين والأذواق قد تتباين اذا لم تكن في زمننا هذا معدومة الوفاق ، أو نادر فيها وجود الاتفاق .

يقول المؤلف السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي - رضي الله عنه - تحت عنوان (الحكمة الشرعية) :

قال تعالى ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يُؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيرا ﴾ وهذه الحكمة المنصوص عليها في كتاب الله عز وجل : هي العمل بما شرع الله ورسوله ﷺ وبذلك الجمع بين خيري الدنيا والآخرة ، لأن الله جلّت قدرته جمع لحبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام في شريعته المباركة ما تفرق في شرائع إخوانه المرسلين - عليهم الصلاة والسلام - من كل ما ينفع البشر في الدنيا ، ويكون سبب نجاحهم في العقبى . فالحكمة قانون إلٰهي أُضمر في الكتاب العزيز ، فسّره المفسر الأعظم حبيب الله ﷺ وفي تفسيره الكريم مضمرات تحتاج لإلهام رباني ليكون المرء مُحدَّثاً كشأن الفاروق الأعظم سيدنا عمر - رضي الله عنه - وبذلك نُعت على لسان المصطفى - عليه الصلاة والسلام - ومن فروع المُحدَّثية المعنية بالحديث الشريف أيضاً الفراسة وقد ورد « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » والمتصف بالحكمة يقف مُقيداً مع الشرع ، وفي الآثار « الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها » وفي خبر آخر « استعينوا

على كل صناعة بأهلها » وأيضا « اقتلوا الأرض بخُبّارها » وكذا « أهل مكة أدرى بشعابها » وفي هذه الجُمل الشريفة نكات حكمية ، ولطائف علمية ، رقيقة التبيان ، دقيقة البيان ، دلّتنا على أن نأخذ الحِكمة الصالحة من كل من تُعرف عنده الحكمة ، ولا نتجاوز الحد المحدود بهذه النصوص لا بعموم ولا بخصوص ؛

ومن فروع المحَدَّثية التي مرَّ ذكرها ، وأُذيع بلسان الحكمة سرها ، الاكتفاء بما أفاض الله للعبد من علم صالح غير مُستند على تقريظ زيد ، وشهادة عبيد ، من ميت أو حي ، أو بعيد دارٍ أو جارِ حيّ ، فإن ذلك من دواعي البطالة ، وآثار الجهالة ، نعم جرت عادة الفضلاء والعلماء ، وسرت سُنَّة العقلاء والنجباء بإعطاء الحقوق لأهل المقادير من المؤلفين والمنصفين ، وأرباب العلم المحكم المتين ، بتقريظ كتبهم والثناء عليهم وعطف أنظار أهل الكمال اليهم ، لينتفع بعلمهم المبتدي ، ويشاركهم في العمل الصالح المنتهي ، ولينجذب الى إعزازهم الجاهل ، ويقف فيهم عند حده المتطاول ، وفي ذلك الشأن انقياد لأمر رسول الله ﷺ بنصه الشريف « أنزلوا الناس منازلهم » ولقوله تعالى في النهي القطعي ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ولا بدع فمن خالف الله تعالى فيما نهى عنه ، وخالف رسول الله ﷺ فيما أمر به لم يكن من الحكمة ولا من الدين على شيء ، وبضاعة العلم تجارة صاحبها ، وماله المخبأ بجيبه لاتحتاج الى شهادة أحد ، وما أحسن ما نقله الحافظ ابن الحاج في (أمّ البراهين) عن الإمام الرفاعي رضي الله عنه أنه قال :

كن عالماً وارض بصف النعال ... لا تطلب الصدر بغير الكمال
فإن تصدرت بلا آلة ... يكون ذاك الصدر صف النعال

☆ ☆ ☆

وفي الحقيقة : الاعتراف من الفضلاء بالفضل للفضلاء دليلٌ صريح على

ثبوت فضيلة الشاهد المعترف بشهادة ماورد في الخبر ، عن الصادق الأبر ، وعن أصحابه الغرر ، وذلك « إنما يعرف الفضل من الناس ذووه » وكون إنما أداة حصر وتحقيق فمفهومها يقضي بنفي الفضل عمن لم يعرف الفضل لأهل الفضل فليتدبر . فإن المعنى رشيق المبنى ، وقد تتحد الآراء وتتقارب القلوب بمجرد النظر الى آثار أهل الفضل وإن بعُدت الديار وتباينت الأقطار ، وما ألطف قول سيدنا الإمام الرفاعي - رضي الله عنه - بواقعة ونصه :

إن كانت الأجسام نائية فقلوب أهل الحق تأتلفُ
يارُبَّ مختلفيْن قد جَمعت قلبيهما الأقلام والصُّحفُ

☆ ☆ ☆

ولما كانت الحكمة الشرعية برهاناً قائماً على العقول ، ونقولها في كل مطلب أبهج الكلام وأشرف النقول ، خصصنا الكلام هنا على الحكمة الشرعية فانها قد استجمعت مطالب الحكماء في كل وضع وضعوه ، وطريق سلكوه . انتهى ملخصا ففي هذا القدر ما يكفي ويشفي والله ولي التوفيق .

ولطيف قول بعضهم :

العلم في الرجل الحليم فضيلةٌ ونقيصة في الأحمق المطياشِ
مثلُ النهار يزيد أبصار الورى نوراً ويُعشي أعينَ الخفّاشِ

☆ ☆ ☆

فذيَّل سيدنا السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي - رضي الله عنه - قول هذا القائل بقوله وهذا نصه :

ومن اقتنى علماً ولم يك عاملاً سلك الطريق وكان أعجز ماشي
واذا تجرَّأ هاتكاً أحكامَه نقضَ العهودَ وعُدَّ في الأوباشِ

☆ ☆ ☆

﴿ تقريظ لطيف ، سبكه سيد شريف ﴾

إنه بحرٌ أمدّه بالدُّر

﴿ وابل حال المؤلف الناظم الأغر ﴾

فمن الرجال الذين هم سادات الناس وحصن أمنهم من ذوي الفضل الذين يعرفون الفضل لأهله ، ويتحاشون مخالفة نهي مولاهم الحَكَم العدل ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ويعملون بأمر جَدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو القول الفصل « أنزلوا الناس منازلهم » وهم أيضاً من سادة الأحرار الذين تحلوا بقول قائلهم :

الحُر مَن يرعى وداد لحظة ... وينتمي لمن أفاد لفظة

☆ ☆ ☆

منهم سيدنا السيد الأيّد ، الشيخ الجليل ، فرع الدوحة الهاشمية النبيل ، الأديب اللبيب ، واللوذعي الأريب ، ذو الذوق السليم ، النابع من أشرف خيم وعنصر كريم ، السيد محمد بن السيد أحمد الحربلي الصيادي الرفاعي محتداً ، الحلبي موطنا ومسكناً فقد بعث الينا بكلمة رمزية قرَّظ فيها وأرَّخ عام سطوع بدر هذا السفر العظيم قياما ببعض الواجب المشرّف ، وشكراً لمولاه الكريم المنعم المتفضل المسعف ، واعترافاً بالفضل لمؤلفه ذي الأيادي التي كانت وما زالت - وإن كان قد لحق صاحبها بالرفيق الأعلى - تهدي الهدي المحمدي لأهل القلوب السليمة وسائر الأمة المحمدية وتتحف ، وهذه لوامع نص كلمته

ـ حفظه الله تعالى ـ التي بعث بها الينا بحروفها تشع نوراً في أُفق سماء الانصاف مُحلّقة تتلالا :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أنزل ماء الفتح على قلوب الأدباء الأخيار ، فأنبتت حدائق أفكارهم أطيب الرياحين وألطف الأزهار ، ليتمتع بشميمها كل ذي قلب سليم ، مغتنماً هِبات شذا عطرها من هَبّات النسيم متمثلا بقول الشاعر الحكيم :

وطيب لا يقـــاس بـــأي طيب ... يُحيِّيـنـــا بـــأنفـــاس الحبيب
متى مـــــا شم أنف حنَّ قلب ... كأن الأنف جـــاســوس القلــوب

☆ ☆ ☆

ويسائل نسيم الصبح عما حمله من الطيب من ريّا الحبيب الطبيب :

ألاَ يـا نسيم الصبـح مـالـك كلما ... تـدانيت منـا فـاح نشرك طيبـا
كأن سُليمى اخبرت بسقـــامنـــا ... فـأعطتـك ريّـاهـا فجئت طبيبـا

☆ ☆ ☆

ويخاطب أحبابه مترنماً ، بما قاله المؤلف مقسما :

وآيـــــات الغرام البينـــــات ... شـذاكم في الريـاح السـاريـاتِ
متى هبّ الصَّبـا أهـدى الينـا ... نـوافجـه الرقـاق الطيبـاتِ
شـذاً يحيي القلـوب وليس بـدعـاً ... فريـح الروح بـاعثـة الحيـاةِ

☆ ☆ ☆

وأفضل الصلاة من الله العظيم وأكمل التحيات والتسليم على الرحمة العظمى والنعمة الكبرى سيدنا محمد القائل : « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وعلى آله وأصحابه كنوز العلم والأدب ، وسادة العجم والعرب .

وبعد فإن الأخ الكريم والمحب العظيم ، الأستاذ السيد عبد الحكيم بن السيد سليم عبد الباسط ـ حفظه الله ورعاه ، وبلّغه ما يتمناه ـ قد تكرم بزيارة إخوانه ومحبيه في حلب الشهباء ، البلدة التي أشار اليها مرارا (غريب الغرباء) وكان اجتماعنا به في منزل الأخ المخلص الودود ، السيد محمد بكري داود ، وأطلعني ـ حفظه الله ـ على كنز مدفون وفُلك مشحون بأصناف المعارف والفنون ، وهو كتاب مخطوط من أنفس الكتب الأدبية الصوفية ولا بدع فمؤلفه رافع أعلام الطريقة الرفاعية ، العلامة الشهير ، والعارف الكبير ، من عمَّت أياديه الحواضر والبوادي ، السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي ـ قدس الله سره ، وضاعف أجره ـ فألفيته كتاباً تشد اليه الرحال جمع فيه مؤلفه أفضل ما جادت به قرائح الرجال من الحقائق والحِكم والأمثال ، مُلحقاً ما قالوه : إما بموازنة أو تذييل نفيس ، أو بما يُطرب ويُرقص من التشطير والتخميس ، وسمّاه (أزهار الحديقة) لما حواه من المعاني الأنيقة واللطائف الرقيقة وهو كما قال الإمام محمد مهدي الرواس في مقدمة ديوانه (فائدة الهمم) : روضة بِر بديعة ، قامت بالنسق الإلهي حسب الفطرة في الطبيعة ، هنا جديلة زرقاء وهنا وردة حمراء ، وهناك سوسن ، وهناك شقيق مُلون ، تأخذ منه عيون العارفين حظ النظرة ، وأفكارهم فائدة العِبرة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

فهو أزهار حديقة العرفان وجنة نُور نَوْرها للمتنزهين دان ، ركزت فيه الفصاحة أعلامها ، وضربت فيه البلاغة خيامها ، كلماته أقداح ، ومعانيه راحة الأرواح :

رُبَّ روح بجملة من كلام   وكلام للسمع فيه مُدام

☆ ☆ ☆

ولا يخفى أن المؤلف ديدنه كتابة الدفاتر ومحاورة المحابر ، والتصنيف والتأليف وإغارة القلم في كل علم شريف ، وهو القائل :

ولولا كتاب لي لطيف كتبته ... وشيء من النظم الرشيق من الشعر
لما سكن القلبُ الخفوق لبُعدكم ... ولو صَيَّغوا لي ذا الترابَ من التبر

☆ ☆ ☆

ومن مؤلفاته هذا الكتاب الجامع لشوارد الآداب والحِكم ومدائح النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد عني السيد عبد الحكيم بنسخه واعداده للطبع ، ليعم به - إن شاء الله - الخير والنفع ، فجزاه الله عن المسلمين أفضل الجزاء ، وحشرنا وإياه تحت لواء شفيع الشفعاء - ﷺ وعلى آله وأصحابه ومتبعيه وأحبابه - وقد أرّخت طبعه بهذه الأبيات ، وإنما الأعمال بالنيات :

كتاب فيه أسرار الطريقه ... وقد جمع الشريعة والحقيقه
به نفحات أزهار المعاني ... لنا تُهدى بألفاظ رشيقه
حوى حِكماً وأمثالاً حساناً ... ووعظاً والتخاميس الرقيقه
وتشطيراً وتذييلاً لطيفاً ... به إيضاح أسرارٍ دقيقه
كأنك إذ تُطالعه بروضٍ ... حوى أصناف أزهار أنيقه
أيا عبد الحكيم طبعت سفراً ... عظيماً فيه نفع للخليقه
وعام الطبع أرّخه أمهدي ... تمتعنا بأزهار الحديقه

٦٠ ... ٩٦١ ... ٢١٦ ... ١٥٨ = ١٣٩٥

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليكم وعلى جميع المحبين ورحمة الله وبركاته .

فضيلة الشيخ السيد

« محمد الحربلي الصيادي الرفاعي »

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تقريظ المحب الصادق الوفي ، الأديب النجيب خادم الرحب المهدوي الهدائي ، الأخ السيد محمد نذير حبوب (الدمشقي الميداني) وافانا بقصيدة نضيدة يُخيم عليها طابع الحب لصاحب التأليف السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي والإعجاب كل الإعجاب بكتابه هذا المسمى (أزهار الحديقة) بل وبكل ما اطَّلع عليه من مؤلفات أشياخه الآل الكرام السادة الرفاعية الأعلام ، وليس هو بالوحيد بهذا الإكبار والإجلال لهؤلاء السادة الأبطال بل أمثاله كُثُر ، وكثيراً ما جمّلوا الطروس بوشيِ الحِبر ، وجَلَوْا فوق منصات الأسفار عرائس الأفكار الأبكار ، فانظر لما شيدَّه هذا الإبن البار لمعرفة الفضل لأهله والدلالة عليه وللتذكار ، قال حفظه الله وتولاه :

ألله أكبر هـذا الفجرُ وافـانـا	بسعـده ورسـول الغيب حيّـانـا
وتلـك بـارقـة الأقـدار قـد لمعت	تبشِّر الكـون أن الـوقت قـد حـانـا
فـأقبـل الفتـح يحـوي ضمن طيَّتـه	مـوائـد العلم أطبـاقـاً وألـوانـا
والبشر عـاد الينـا بعـد غربتـه	كأنـه الغيث لمـا سـحَّ أحيـانـا
وذا نسيم الصَّبـا تسري نسـائمـه	الى القلـوب فتهـواه ويهـوانـا
وطـاف حـولي هَـزار المجـد يسـألني	أمـا سمعتَ بنظم راق ألحـانـا ؟
فقلتُ : هاهي (أزهار الحديقة) قد	عمَّ الـورى نشرهـا شيبـاً وشبّـانـا
حـديقـة بكـلام الآل قـد غُرست	فـأزهرت وجنـاهـا بعـد وافـانـا
سِفر تبرقـع بـالتقـوى مـؤلِّفـه	(أبـو الهدى) فحباهُ الله سلطـانـا
دستـورُ فضـل تسـامى في مقـاصـده	ومنهـجٌ لأولي الأبصـار قـد بـانـا
سر الفتـوح انجلى من سين سبكتـه	نهجـاً وعلمـاً وإرشـاداً وتبيـانـا

بستـــان معرفـــة إن رحت تسبره　　وجـدتـه بعيـون الشّعر مـزدانـا

ازهـاره ازدهرت في أرضنـا ابتسمت　　من شامِنا انتشرت رَوحاً وريحانا

تفجرت منـه أنهـار الهـدى حِكمـاً　　لهـا تصيخ عقول القـوم إذعـانـا

يطيب للروح إذ تُـذكَر نفـائسـه　　وتُترِع القلب أسراراً وإيمــانــا

كالبحر إن غصت في أعماقه انكشفت　　لـك المعـادن يـاقوتـاً ومرجـانـا

هـو السمير اذا مــا كنت في سَفَر　　وهـو الـدليـل اذا مـاكنت حيرانـا

هـو الضيـاء لروح غـاب فرقـدهـا　　وهـو القَراح لفكر بـات ظمآنـا

فخـذه للعقـل تنـويراً وتبصرة　　وللفـؤاد اذا مــا مَـلَّ لقمانـا

لله در مَعـانٍ منـه قـد ظهرت　　ظهـور شمس الضحى نـوراً وبرهـانـا

أنعم بنـاظمـه أكرم بجـامعـه　　أعظِم بمن قلَّدوا بـالبـذل عثمانـا

قـد مكَّنـوا كل فرد من تنـاولـه　　والفضـل ايضـا لمن يبغيـه مجّانـا

جـزى الكريمُ جميـع المحسنين ولاَ　　كما الرسول جزى بـالقرب سلمانا[٧٥]

جلَّ الإلـه الـذي شـاءت مشيئته　　إبراز كنز طـواه الـدهر أزمـانـا

فراح بـالحب والإخـلاص يُظهره　　(عبدُ الحكيم) الـذي والاه مـولانـا

مـا قصـده أبـداً في السعي مرتبـة　　ينـالهـا لا ولا شـوقـاً لـدنيـانـا

ترفَّعت نفســه عن كل منقبـة　　فكان شهماً ولـلأخـلاق عنـوانـا

يغــار لله لا يرضى اذا انتُهكت　　حـدوده ولغير الحـق مـالانـا

عبـدَ الحكيم أيـا شيخي ومعتمـدي　　إن سـامني زمني ظلمـاً وعـدوانـا

يا مَن أخذتَ طريق المصطفى أدباً　　تبثّـه الخلـق إسراراً وإعـلانـا

يـامن حملت لـواء القـوم مـدَّرعـاً　　بـالعلم طـوراً وبـالإخـلاص وجدانـا

---

(٧٥) رأى أحد العارفين الرسول الأعظم ﷺ في الروضة الهُدائية في حماة الشام بحي الحاضر وفضيلة الشيخ محمود الشقفة فوق المنبر يخطب في يوم جمعة وقد أجاد بخطبته وكان سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما بمعية جده فقال : يا رسول الله إن الشيخ محمود قام بواجبه . فقال الرسول ﷺ الشيخ محمود منّا آل البيت .

أحييتَ نهج أبي العرجـاء أحمـدنـا شيخ الطريـق إمـاماً بـل وسلطـانـا
وقمتَ في همـة الصيـاد داعيـةً للخير لم تخشَ في الستـار إنسـانـا
شربتَ حال غريب القوم فـانسابت منـك الحقيقـة آيـاتٍ وعرفـانـا
بـوركتَ من رجـل تسعى لسُـدتـه أمـاجدُ النـاس أنجـاباً وأعيـانـا
سلكتَ مسلـك أهـل الله مُلتحفـاً بحُبهم وإلـه العرش قـد صـانـا
أرادك الله قِـدْمـاً أن تكـون لهم كما ارتضى لهُـداة الخلـق أعـوانـا
فكم جبرتَ بحـول الله مُنكسراً وكم بـذلتَ من المعروف إحسـانـا
جـزاك ربُّ الـورى خير الجـزاء لمـا قـدَّمتَ من عمـل قـد حـاز رضـوانا
فـاهنـأ إذن واشكرِ المولى الكريم وطِبْ نفسـاً وأبْشِر فـإنَّ الأمر قـد كانـا
أزكى الصـلاة مـع التسليم نرفعهـا لحضرة المصطفى حُبّـا وإيمـانـا
محمـدٍ سيـد الأشراف مَن نـزلت في حقـه آيـةُ التعظيم قرآنـا
والآل أهل العبا والصحب ما سحرت وُرقُ الخمـائـل ألبـابـاً وآذانـا

☆ ☆ ☆

المحب الصادق المحبوب
السيد محمد نذير حبوب

ترجمة المؤلف

السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه وقدس سره

إننا رأينا من الواجب ترجمة المؤلف سيدنا السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه وقدس سره فعلمنا علم اليقين أننا إن ذكرنا ما علمناه عنه من الكمالات والفضائل وحلو الشمائل والآثار التي تركها من علوم ومؤلفات قد بلغ عددها المئات ، ومنشئات خيرية كالمساجد والمدارس والرُبط والتكايا والزوايا في سائر الأقطار والجهات ، ونشر الطريق بشكله الصحيح طِبق تعاليم كتاب الله تعالى والسنة السنية في سائر المعمورة ، وذكر نسبه الشريف الشهير الذي هو أشهر وأظهر من الشمس في رابعة النهار ، ورُتبه التي ما فوقها رُتب سواء العلمية المادية أو الروحية المعنوية لظهرنا أمام العارفين الذين يعرفونه حق المعرفة بمظهر التقصير والعجز وضعف المقدرة وضيق الاطلاع وعدم الاحاطة برفيع قدره وعظيم شأنه ، أما عند من يجهله ولا يعلم عنه شيئاً مما كان عليه من الكمالات العلمية والمقامات العرفانية وعند الحسدة الذين لا يرغبون ذكر محاسنه ومزاياه الشريفة بمظهر لا يرغبونه ولحملهم على مالو قلناه فيه الى المبالغة والانحياز الخاص وجعله جُزافاً دون أهلية عنده ولا استحقاق لديه لذا أضربنا عن القول واكتفينا بقول بعض من عاصروه وعاشروه ورقبوا خلاله المحمدية بأنفسهم : منهم صاحب (العقود الجوهرية) سليل آل الخطاب الكرام اللوذعي الفاضل أحمد عزّت الفاروقي العُمري الموصلي وهذا نص قوله في السيد المترجم رضي الله عنه :

رجل تدفّق فضلا وعلماً ، وتجسّم فهماً وحزماً ، قد أعارت الصَّبا والشمال

لطف نسيمها الى شمائله وطباعه وحُسن أوضاعه ، ودرَّت عليه ـ وهو في مهد النجابة ـ أفاويق ثدي العواتك لارتضاعه ، وأعار البرق الى وقّاد فكره سرعة وميضه ، وأهداه زخّار بحر العلوم وتيّار المنثور والمنظوم بسيط طويله وعريضه ، يتوقد ذكاء ، ويتردَّى بالسنا والسناء ، يلوح على أساريره نور النجابة الهاشمية ، ويفوح من تقاريره مسك الطريقة الرفاعية ، وعبير المحجة الأحمدية :

نور النبوة في أسرَّة وجهه ... يُغني اللبيب عن الطّراز الأخضر
تلقاه في ثوب السيادة صدره ... بحر ويقذف من صحاح الجوهر

☆ ☆ ☆

عاشرتُه فرأيته جامعاً لأشتات المعالي ، وناظماً لمنثور سلك اللآلي ، قد أتقن المعقول والمنقول ، وحوى من كل باب سائر الفصول ، فلله دره من رجل قد أحاط بعلم الباطن والظاهر ، فكانت صدور فهمه لتلك العلوم نعم المصادر لكل وارد وصادر ، فحريّ بأن يُسمىَ بذي الجناحين ، طائراً تحت راية أبي العلمين ، فهو المشار اليه بالبنان ، من كل إنسان ، حيث قد تفتحت أكام أخلاقه عن الأزهار الأدبية ، وتأرَّجت جونة سجاياه بالنوافح المسكية ، قد بلغ من العلوم منتهاها ، ومن المراتب العلمية أقصاها وأعلاها ، أقلامه إن حبّرت حيّرت ، أو بسطت سطت ، وهمته إن عاونت ماونت ، أو وصلت ما صلت ، أو نوَّهت ما وهت :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالَم في واحد

☆ ☆ ☆

وبالجملة فان هذا الذات الكامل الصفات ، قد انطوت فيه محاسن الكمالات

واتسم بأحسن السمات ، قد دوَّنت خلفاؤه مُفصَّل حاله ، من حَلّه وترحاله ، خصوصاً ما ألّفه الفاضل الأديب السيد محمد أفندي بن السيد عمر الحريري شيخ السجادة الرفاعية بـ (حماة الشام) المحمية من ترجمة جناب المولى المشار اليه وسمّاها (الذيل الجميل) لكتاب السيد المترجَم المسمى (قلائد الزبرجد) وها نحن نذكر منه مختصر ما حرره السيد الحريري نا سجين من بُروده ما لابد من العلم به ، ومطرزين من سندس منقولاته ولطف مقولاته مالا ينبغي الاستغناء عنه بل يلزم الوقوف عليه ، وإلاّ فهو أظهر من نار على علَم ، وأشهر من تذكُر جيران بذي سلَم :

أسـاميـا لم تـزده معرفـة   وإنمـا لـذة ذكرنـاهـا

☆ ☆ ☆

فهو السيد الشيخ أبو الهدى محمد أفندي الصيادي الرفاعي بن السيد الشيخ حسن وادي شيخ الرواق العالي الصيادي ومقتدى الرفاعية بالديار الحلبية ابن السيد علي بن السيد خزام بن السيد الشيخ علي الخزام دفين قرية (حِيش) ابن السيد الشيخ العارف حسين برهان الدين بن السيد عبد العلام بن السيد عبد الله شهاب الدين الزبيدي البصري بن السيد محمود الصوفي بن السيد محمد برهان بن السيد حسن أبي محمد الغواص ـ دفين الشام ـ ابن السيد الحاج محمد شاه بن السيد محمد خزام ـ دفين الموصل ـ ابن السيد نور الدين بن السيد عبد الواحد بن السيد محمود الأسمر بن السيد حسين العراقي بن السيد ابراهيم العربي بن السيد محمود بن السيد عبد الرحمن شمس الدين بن السيد عبد الله قاسم نجم الدين بن السيد محمد خزام السليم بن السيد شمس الدين عبد الكريم بن السيد صالح عبد الرزاق بن السيد شمس الدين محمد بن السيد صدر الدين علي بن القطب الجواد سبط الامام الرفاعي مولانا السيد عز الدين

أحمد الصياد بن السيد ممهد الدولة عبد الرحيم بن السيد عثمان بن السيد حسن بن السيد عسلة بن السيد الحازم بن السيد أحمد بن السيد علي المكي بن السيد رفاعة ويقال له الحسن نزيل المغرب ابن السيد المهدي بن السيد أبي القاسم محمد بن السيد الحسن بن السيد الحسين بن السيد أحمد بن السيد موسى الثاني بن السيد ابراهيم المرتضى بن السيد الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الحسين السبط شهيد (كربلا) ابن الامام الغالب حضرة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وزوجته المكرمة الزهراء البتول ، بضعة المصطفى خير نبي ورسول :

قوم من الشم الأنوف تورثوا   مجد السيادة كابرا عن كابر

☆ ☆ ☆

ولقد وُلد سنة الألف ومائتين وستة وستين لثلاثة أيام خلت من شهر رمضان المبارك بـ (شيخون) من أعمال معرة النعمان وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ثم شرع بالكتابة فمهر ، وأخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية عن أفاضل الرجال الأعيان فأتقن فنونها كال الأتقان ، وأحسنها كل الاحسان ، ثم تشرف بلبس الخرقة والخلافة الرفاعية من يد والده الطاهر السر . السيد الأفضل المتقدم الذكر .

وله إجازتان أيضا بطريقتهم العلية الرفاعية الصيادية ؛ فالأولى : لبسها باذن والده من شيخه وابن عمه السيد الشيخ علي خير الله الرفاعي الصيادي شيخ المشايخ بـ (حلب) .

والثانية : من حضرة شيخه الأجل الولي الأكمل مولانا السيد الشيخ محمد بهاء الدين مهدي الشيوخي الصيادي الرفاعي الرواس لبس منه الشرعية والتصوفية فعاد مصحوبا بالسلامة للديار الحلبية ثم قُسم له نشر علَم الطريقة

العلية الرفاعية في القسطنطينية مركز الخلافة الاسلامية وعاد منها بنقابة جسر الشغور ثم نقابة الأشراف بحلب وأخذ يترق بالتدريج الى المراتب العلمية وقلده (السلطان عبد الحميد خان) مشيخة المشايخ في دار الخلافة العلية وألحقه الى رتبة قضاء العسكر التي هي منتهى المراتب العلمية وهو مع هذا لازال عاكفاً على خدمة الشرع والطريق ، بأحسن سلوك وأقوم طريق ، مواظباً على التأليف ، ومشتغلا بغرر التصانيف ، حتى انه ألَّف الكتب الجليلة الكثيرة ، والرسائل اللطيفة الوفيرة ، وقد انطبع منها الأكثر فجاء ذلك الطبع موافقاً للطبع ، على ألطف وضع ، تركنا تعداد أسمائها لشهرتها فهي مضيئة كالنجوم عند أرباب البصائر والعلوم . وقد أفرد أيضا لترجمته ومدائحه وحُسن منائحه خليفته صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد أفندي الخردجي الدمشقي وسماه كتاب (قطر الندا) وغيره من الأدباء والفضلاء ، ومدَحته بالقصائد البليغة أفاضل الشعراء منها ما أنشدتُه حين تشريفه الى بغداد وذلك بضمن تهنئة القدوم سنة ١٢٨٣ هـ :

أهلا وسهلا بك من ماجدِ ... مفخرة الذاهب والواردِ
فيك زهت بغداد إذ جئتها ... فكنت خير الوفد من وافدِ
أنت شهاب في سماء العُلا ... يتلو سريعاً أثر الماردِ
من كان من خير أب واصل ... غير قصير الباع والساعد
تصعد للعيّوق آثاره ... من شاكر منها ومن حامد
أنت الذي ترقى الى رتبة ... لا ترتقيها همم الصاعد
فقد تفرست بكم رفعة ... ولست من يكذبني رائدي
فعترة الصياد خصّتكموا ... لطفاً به أوهى قوى الصائد
يا أهل بغداد أتاكم فتى ... في ذهنه زجرة الراعد
ذو فكرة وقّادة لم تزل ... تصب أمواها على الواقدي

قــــدمت لكن من سطــــوة	حرّمت النــــوم على الراقـــــدي
كبــارق السُّحب اذا مــا أضــا	أو كـوكب الصبـح الى الراصـــد
نجــابــة الســادات محصورة	فيــك ولُطف الجــد والـوالــد
أبـوك مـولانــا الــذي ذكره	قــد أعضـد الطــارف بـالتــالــد
قطب لقــد دارت بــأطرافــه	محبــة الراكـع والســاجــد
ذاك الرفــاعي الــذي فعلــه	يعـز في النقــد على النــاقــد
كم ركب الليث وكم راكب	ذلــل من صـولــة مستــأسد
كف رســول الله في لثمهــا	حــاز بهــا الفخر على الجــاحــد
قــد مــدّهــا من قبره نحـوه	لاحت الى الحــاضر والشــاهــد
بمــوقف قــد غص في أهلــه	من ســامـد قـد كان أو عــابـد
فهــذه منــدوحــة لم تكن	لغير ذاك الكف من عـــاضــد
فهـل لــذاك الرحب من وافـد	وهــل لــذاك الصفـو من وارد
أنت ابنــه وهـو أبـوك الــذي	لم يخـل في الآثــار من حــاســد
أبـو الهـدى أنت وفيـك الهـدى	وبغيــة النــازح والقــاصــد
نجني من العــز ثمــاراً زكت	كم قـد حماهـا ساعـد الـذائـد
وغيركم رام لحـــوقـــاً بكم	كشــارد يلحـق بــالطــارد
بفكرة جــامــدة خِلتهــا	غيماً همى بــالبَرَد الجــامـد
قـد فقـد الرشـد ومـا فـاقـد	لرشــده في الأمر كالــواجــد
يـا أهـل هـذا البيت يـا من غـدا	زنـد عُـلاه ليس بــالصــالــد
ذكراكمـــوا أشهى الى مهجتي	من ريــق ذات الشنب البـــارد
قــد عــادني من لطفكم نفحــة	إذ صِلـة المـوصـول بـالعـائـد
ونــاقص الحب اذا مـــا انتهت	أدواره عــاد الى الــزائـــد
قلبي لقــد ضيعتــه عنـدكم	فهـل لمـا قـد ضـاع من نـاشـد

غـدا فنـائي بـك عين البقـا وواجـدي ليس كمن فـاقـدي
ولن أُبـالي بـالفنـا فيكمـوا أعـائقي في الحب أم قـائـدي
لازلت في رفعـة جـاه عـلا وذكر عـز في الـورى خـالـد

☆ ☆ ☆

ولـو أردنـا استقصـاء مـآثره ، ولطف مفـاخره ، لضـاق نطـاق الأوراق ، وعجز فم القلم ، عن حصر ما خوَّله الله تعالى من مزيد النعم ، لازال محروسـا ، وبالمكارم مأنوسا . انتهى كلام الفاضل أحمد عزت الفـاروقي العُمري رحمـه الله تعالى .

☆ ☆ ☆

﴿ **تحفة** ﴾ تتناسب مع وضع الترجمة أتحف السيد محمد أبو الهدى المترجَم أتحف بها ولده الروحي السيد محمد نورس بن السيـد محمد وجيـه الكيلاني رحمهما الله تعالى .

يقول سيدنـا السيـد محمد أبو الهدى الصيـادي الرفـاعي رضي الله عنـه :
ولشيخنا (يعني السيد محمد مهدي الرواس) ـ رضي الله عنه وعنـا بـه ـ وديعة منـا لولـدنـا السيـد محمد نورس أفنـدي آل الكيلاني ليتنوَّر ويزداد حـالاً وإلاّ فنحن لاشيء والفضل بيد الله :

أبـو الهـدى ليَ روحٌ فيـه طـويتُ شـؤوني
نسَّقْتُ فيـه طرازي برمـز كاف ونـون
ففيـه كلُّ علـومي وفيـه كلُّ فنـوني
وحـاسـدوه عُماة تقضِ بـداء الجنـونِ

☆ ☆ ☆

ومن الودائع لولدي الروحي السيد محمد نورس من كلام شيخنا القطب الأنفس ذي النَّفَس الأقدس رضي الله عنه وعنا به :

قولوا لكل عارفِ وكل جحجاح ولي
مقالة مني لها ألف دليل أكملِ
أبو الهدى روحي التي معنىً جرت بهيكلِ
وبعد طيّ في الثرى أبو الهدى وجه علي
وهذه مقالتي تُحكى لذي نور جلي
اذنته بقولها لأهلها فليقلي
بين النبي وعلي معراجه السامي العلي

☆ ☆ ☆

يقول الناشر (أفقر الورى لمولاه) : وجدتَ هذه التحفة على ظاهر (أزهار الحديقة) وتحت الجلد مكتوبة بقلم السيد محمد أبي الهدى رضي الله عنه وحيث ان المؤلف لم يضعها ضمن كتابه بيده لم أدخلها فيه ولكن للمناسبة وضعتها هنا فليعلم .

عبد الحكيم عبد الباسط

☆ ☆ ☆

واستحسن حفيد السيد المترجَم سيدي السيد محمد تاج الدين الصيادي الرفاعي ـ حفظه الله ـ أن نأتي بالقصيدة التي تلي هذه الكلمة هي من نظم جده المترجم يخاطب فيها جده الرسول الأعظم ﷺ يصف ما يعانيه من أهل زمانه رغم زهده في دنياهم وحطامها ، وبُعده كل البعد عن زخرفها ومتاعها ، وينسب لنفسه الذنب هضماً لها وتواضعاً وهو الوارث الشريف المحمدي ، الطاهر المطهر التقي النقي ، راجيا أن يكون تحت أنظار جده الشريفة داخلاً في شفاعته الخاصة والعامة وهذا لعمري حاصل لرفيع شرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ دون عناء ولا طلب ، ولكن يُعلّم بذلك أتباعه وأحبابه وكل من تشرف بالاطلاع على شيء من سيرته الأدب ، واتخاذ أشرف الوسائل لنجاح القصد وبلوغ الأرب ، والاعتماد كل الاعتماد على كرم الله تعالى وإن تعاطى المرء لغايته ما جلَّ وشرف من السبب ، حتى ولو كان في أعلى قمة الحسب والنسب ، قال سيدنا المترجَم السيد محمد أبو الهدى رضي الله عنه :

رسول الله ضاق بي الديارُ	وأجَّ بقلبيَ المحزون نارُ
ولي حمل وهنتُ به ثقيل	ومالي غير ظل حماكَ جارُ
وهمي يا عريض الجاه أضحى	كبيراً دونه هممي صغارُ
وحسادي عليَّ عدوا بزورٍ	وطاشوا يا ابن آمنةٍ وجاروا
ولي قصص أُسطِّرها بوزري	نتيجتها المذلة والصَّغار
ولي رأي أُقالبه بأمري	فيغلبه لديَّ الاعتذار
ولي ذنب عظيم جلَّ منه	مصابي والعناءُ والانقهار
ومالي في بلاد الروم خِلٌّ	يواسيني اذا صار المصار
وجُنحي آهِ والهفي كسير	ويجبرني اليك الانكسار
فلاحظني بعين العطف إني	اليك يصونُ وجهيَ الافتقار
ولا تجعل لغير الله فقري	اذا ما ثار من خطب أُوار

فـــإن كبـــائر الآثـــــام مني بـذيـل جنـابـك العـــالي صغـــار
ألا فـــاسبـل عليَّ طـويـل ذيـل تلـوذ بظـل رأفتـــه الكبـــار
وأدركني بغـوثـــك من زمـــان قليـلا صــار فيـــه الانتصــار
فلي رحم اليـــــك وحُسن ظني بجـاهـك لا يُـدنسـه غبـــار
أجـــلّ المرسلين تـــولّ أمري فـــإني قـــد تسـوّرني اضطرار
بشـــأني أضمر الحســـاد ســوءً ولا ورِق لـــديّ ولا نُضـــار
وحـــولي عيلـــة وصغـــار آلٍ لهم نسب اليـــك بـــه الفخـــار
فـــــإن أهملتني لعظيم وزري ففي من يـــا حبيبي يُستجـــار
تــــداركني رسـول الله يــــامن يُقـال بجـاهـه العـالي العِثـار
وأسعفني ولا تقطـــع حبـــالي وأنقـــذني فقـــد عظم الخســـار
وخـــذ بيـدي ولا تفصم رجـائي فمثلـك لا يـذل لـديـه جـار
جعلتُ الليـل معنى عرضِ حـــالي اليـك فقـل سيرضيـك النهـــار
عسى بجليـل قــدرك عنـــد ربي أرى فرج الصبـــاح لـــه ازدهـــار
وتُجبر كسرتي ويُسَرّ قلبي ويُخـذل حـاسـدِيَّ بمـا تجـاروا
حبيب الله ادركني فــــــإني كطير مـــا لجنحيــــه مطـــار
لقـــد سلبتني الأعـــداء ريشي ولكنّي بطـوْلـــك لي اشتهـــار
فـلا ترضَ افتضـاح حجـاب ستري ولي بظـلال دولتـــك استتـــار
أبٌ لي في الحمى شيــــخ كبير عراه لفُرقتي ثم انكســــــار
وكم يــدعـو بجـاهـــك مستجيراً ومن يـــدعـوك منكسراً يُجـــار
وإني قـد دعـوتـــك والخطـــايـا لهـــا بخـــواطري مني اغبرار
وبي خـوف من الآثـــام منـــه على وجهي ذبـــــول واصفرار
أغثني يـــا عظيم القـــدر إني خـــؤوف لا يَقَر لـــــه قرار
وأنت يُعـــزك المـــولى بنصري ولـــو جفَّت لأوزاري البحـــار

وخالقنا بتبديل التجلي — يُجلُّك والضعيف له يغار
فذنبي سد بالظلمات دربي — وأنت بنور وجهك يُستنار
فأتحفني بغوثك يا حبيبي — فلي في ذمة الأيام ثار
وسامحني برحمة وصفح — فما لي إن كففت الطرف دار
رفعتَ بعزك الوضاح بيتي — وطال له بدولتكم جدار
فلا تهدم بناء فيك طالت — دعائمه وطال لها منار
بآلك والصحابة يا ابن فهر — فهم قوم صغارهمُ كبار
وبالأتباع والأصهار طراً — ومن لهمُ بنسبتكم فخار
تداركني بكشف الكرب عني — ودارك غربتي فلك اقتدار
وحل قيود عجزي بانتهاض — قويٌّ فالهموم لها ابتدار ١٣
وحوّل ذلتي كرماً لعز — وفخر لا يقابله دمار
وطوّقني بإيمان ومجد — وخير إذ عليك بنا المدار
ففي أعتابك العليا دخيل — وصدق الحُب لي أبداً شعار
تلقّاني ببشرك وامحُ عسري — بإسعاف وقل حصل اليسار
عليك الله صلّى كل حين — مدى ما عاقب الليل النهار
وكل الرسل والأصحاب طراً — وآلك من لهم كرم النّجار
وأهل الله والغوث الرفاعي — سليلك من لديك به أُجار

☆ ☆ ☆